لصاحب الكشاف رحمه الله

١

يا من يرى مد البعوض جناحها

في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها

والمخ في تلك العظام النحل

ويرى ويسمع كل ما هو كائن

في قعر بحر مظلم متهول

اصواتها مرفوعة عند الندا

وارزاقها مقسومة لم تنسل

اني سالتك بالنبي واله

الهاشمي المصطفى المتفضل

امنن علي بتوبة تمحوا بها

ما كان مني في الزمان الاول

فهرست الكتاب بما تضمنه الابواب من الحكايات

الدالة على العقل

والمحكية عن الصبر

والموجبه للشكر

ولنفع المشوره

ومحاسن العدل

وقوة الاتفاق والائتلاف

ومدح الوفا

ولحمد التيقظ وانتهاز الفرصه

وحلاوة العفو

مزية الصدق

من خفي الطلعه بشرف نفس يشفع به شرف ميلاده واتاه زمام ذلك
كله فادعن له الاقبال باصحابه وانقياده ودرت له اخلاف كل
شيمة نماها الى العليا طول نجاده وحاز رهان السبق في طلبة العلا
بذى شرف من صافنات جياده وانضاف الى ذلك ان جرى في
الايام السالفه من ضيف احسانه عباده وانزلني من قلبه الشريف
على بعد عهدي لمقامه الكريم ومزاره منزلة فرضت على ترسل
حمده تبلاوته وتكراره فالالهام الالهي في نفسي ان لم تقم بشكر المحسن
اليه فانه لكنود وان جنح الى الانكار والجحود فهو على اثار المبار
التي شملته بين شاهد ومشهود فرايت انني لا اقوم في هذا المقصد
المطلوب والمطلب المقصود من شكر سبيل احسانه السابغ
البرود وحمد منهل انعامه السايغ الورود الى تاليف كتاب يكون
جواهر معرفته ازين لعارفه من حلا العقود ويزداد العالم به
مهابه وجلالا الاسيما يوم حضور الجمع ووفود الوفود ويطلع
بطلعته على قسيم الحاضرين بين يديه في كل صدور وورود ويختبر
اقدارهم فيبدو في العالم ونقصي الجاهل كما يختبر الصيرفي بمحكه
انواع النقود وتكون على الحقيقه خلاصة الصفات البشريه
وزبدة الاخلاق الانسانيه التي عليها مدار قطب شرف السجايا
وبها تدرك اخلاق كرم المزايا وهي شجرة مثمرة لابانة الاخلاق
التي بها سعد الغارسون وفي مثلها فليتنافس المتنافسون
فاخذت في تاليفه وشرعت في تصنيفه قضا لما اسداه من
احسانه السالف وقياما بحقه الذي يقصر عن وصفه فصاحة
لساني الواصف وانا ارجو من الله تعالى ان يجعله كتابا يقر
بمطالعته العيون وتصدق في ارتياحه الظنون وشحنته
من فرايد الفوايد وسوارد المقاصد ما جعلته كالفلك المشحون
وضمنته من اللالفاظ والمعاني ما كلما قرا منها مطالعها شيا دفعه

الى حدث ذي شجون وحيث صنفته برسمه رسمته باسمه وسميته
العقد الفريد للملك السعيد وجعلته مشتملا على مقدمه وقواعد
اما المقدمه ففي الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكم المقصوده
من مطالعته والجد على ادمان قرائته وملازمة النظر فيه وفي امثاله
يقول والله الموفق

قد رسخ في اذهان اهل الدرايه والعرفان وثبت عند ذوي
العقول بالدليل والبرهان ان الانسان وان كان نوعا من
الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله تعالى خلقه وركب فيه من
القوى المختلفه والاخلاق المتباينه والشهوات الغالبه
ما يقتضي خروجه في اكثر الاوقات عن الدوام على حالة واحده
فهو ان راى تمكنه واستعداده ظهرت عليه دلايل الطغيان
ومخايل التجبر ودليله من القران الكريم قوله تعالى كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى وان راى عجزه واحتياجه ظهرت عليه
دلايل الضعف والاستكانه ودليله من التنزيل قوله تعالى
وخلق الانسان ضعيفا وان راى كمال يقظته ورزانة عقله
ومواقع تدبيره وخدعته نفسه بانواع المراوغات واوقعته
افكاره في الوساوس والتقديرات والقته ريح وهمه في
اودية الخبالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
وان راى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مرغوبه
ظهرت عليه مخايل الطيش فاسرعت به الى التلبيس بالامور
وقت تمامها وحملته على مباشرة الاشيا قبل ابرامها ودليله
من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل وباعتبار
هذه الاسباب والقوى حصل فيه ما حصل فتارة مسرورا
وتارة يكون محزونا وتارة يكون منبسطا وتارة يكون

منقبضا وتارة راضيا وتارة ساخطا وتارة شجاعا وتارة جبانا
وتارة جوادا وتارة بخيلا وتارة قويا وتارة مسيئا وتارة ضاحكا
وتارة باكيا وتارة محسنا وتارة مسيئا وتارة مطيعا وتارة عاصيا
وتارة مستيقظا وتارة غافلا وتارة ذاكرا وتارة ناسيا وتارة
متجاوزا وتارة منتقما فما من صفة من هذه الصفات وحالة من
هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولنقيضها وقد اشار امير
المومنين علي بن ابي طالب رضه في بعض كلامه الى كشف الغطا عما هو عليه الانسان
من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذي شرحناه والتقسيم
الذي اوضحناه فقال كرم الله وجهه اعجب ما في الانسان قلبه له مواد
من الحكمه واضداد من خلافها ان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج
به الطمع ملكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان هاج به الغضب
اشتد به الغيظ وان اسعف بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف
فضحه الجزع وان افيد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقه شغله
الفقر وان اجهده الجوع اقعده الضعف وان افرط في الشبع
كضته البطنه فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقد وضح بما ذكره
امير المومنين رضه في هذه الكلمات التي هي جواهر الكلم وغرر الحكم صحة
ما ذكرناه من استعداد النفس البشريه لانواع الاخلاق والشيم
وقد جعل الله لكل صفة منها سببا يحدثها وموجبا يقتضيها وهي
تنقسم الى صفات حسنه مرغوب فيها كالسرور والانبساط والرضا
والشجاعه والجود والقوه والاحسان والطاعه والتيقظ وغير ذلك
من الصفات الحميده والاخلاق المرضيه والى صفات مذمومه
وحالات قبيحه تنفر النفس المطمئنه السليمه عن التحلي بشي منها كالحزن
والانقباض والسخط والتجبر والبخل والضعف والاساة والمعصيه
والغفله وغير ذلك من الصفات المذمومه والاخلاق الرديه فلا
جرم من اراد ان يحصل له شي من الحالات المرغوب فيها والصفات

الممدوح صاحبها سعى فى تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن اراد
شي من الحالات المذمومه والصفات القبيحه سعى فى ازالة سببه
او فى تحصيل سبب يقتضيه فانه اذا حصلت له الصفه الحميده زالت
عنه الصفة القبيحه الناقضه لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الاسباب
فلا جرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل على معرفة هذه
الاسباب وملازمة قراته تودي الى تحصيل المرغوب ودفع المرهوب
فحينيد يتصور فى النفس صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحموده
المرغوب فيها فيتسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة
المهروب عنها فيبعد منها ويحصل له من معرفة الاسباب وتفاصيل
لوازمها علم يستحضر به اجوبة ما يسال عنه وما يجرى بين يديه من
انواع المخاطبات واصناف المحاضرات اذ كم من ملك تختلف
لديه عظايم الامور وتتعارض بين يديه اسباب الحزن والسرور وترد
عليه رسل ملوك الاطراف بمجناز ومحدود ومحتاج فى ذلك الى رد
وقبول وعلو ونزول واشراق وافول واسعاف بمامول وايصال
لمقطوع وقطع لموصول بحسب ما يقتضيه مصلحة المملكة التى لا يجوز
عنها صدود ولا عدول فاذا عرف اصول قواعد الاسباب ومحصول
عقايد ذوي الالباب وصح له على الحقيقة صواب الجواب واتى
بالغرض المطلوب فى هذا الباب ونطق بما يشهد له بان الله تعالى
قد اعطاه الحكمة وفصل الخطاب فمن طالع ما قد اشتمل عليه هذا
المصنف من المقاصد واذمن الفكر فيما تضمنه من الحكم الشوارد
وحلى جيد فكرته بجواهر ما فيه من فرايد القلايد وهى عقيدته وعادته
على ما فيه من قواعد العقايد واقتفى سنن من عرض بذكره من
العظما الاماثل والملوك الاماجد حصل لنفسه زيادة شرف توجب
تعظيمه ونبله استفاد به نباهه تشفع فى اقتراع ذري الفخار
اصله وتزكى فعله وتحقق بذلك انه قد رزق فضل عناية من الله تعالى

فانه

فانه ياتى كل ذي فضل فضله وحيث انتهى القول فى المقدمه الى هذا
المقام فلنشرع الان فى بسط الكلام فنقول مقصود ما ومت الاشارة
اليه وثمرة ما وقع التنبيه عليه متحصل باربع قواعد كل قاعده منها
تشتمل على جواهر اذا انظمت فى الاجياد ظهر حسن وجهها الوسيم ورجح
وزنها فى نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلى بها انه لعلى خلق عظيم

القاعدة الاولى

فى مهمات الاخلاق والصفات وهى تشتمل على عشرة ابواب

 انما بدانا اولا بذكر
العقل اذ به يقع الوصول الى معرفة الاشيا وعليه مدار التكليف
الذى جات به الشرايع الانبياء وهو شرط ترتيب الثواب والعقاب
على الاعمال يوم الجزا ولولا العقل وفضيلته لعم الحكم بالاستوا
بين ذوي الدرايه والاغبيا فاقول والله الموفق لما يرضاه واباه

اسال الاعانه على ما اقصده واتوخاه

الباب الاول في العقل

نص الله تعالى في محكم كتابه ومنزل خطابه وقد ضرب الامثال واوضحها وبين بدايع مصنوعاته وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الآيه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ونقل عن النبي صلعم انه قال اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال عز من قايل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك احاسب وبك اعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزياده والنقصان وقسم يقبلهما اما الاول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلا وهو قوة غريزيه يتاتى بها درك المعقولات وهذا القسم هو الذي يناط به تكليف الاحكام ويجري القلم على صاحبه عند حصوله اما بالسن او الاحتلام واما الثاني فهو العقل التجربيي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقايع وباعتبار هذه الحاله يقال الشيخ اكمل عقلا واتم درايه وان صاحب التجارب اكثر فهما وارجح معرفه ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته واخلقت التجارب ابراد جدته وارضعه الدهر من وقايع الايام اخلاف ذرته واراه الله لكثرة ممارسته تصاريف اقداره واقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدرايه فهو في قوم بمنزلة النبي في امته وقد يختص الله تعالى بالطافه الخفيه من يشا من عباده فيفيض عليه من خزاين مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفه يخرج عن حد الاكتساب يصير بها راجحا على ذوي التجارب والاداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عم فيما اخبر الله تع به في محكم كتابه العزيز حيث قال واتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقه من الله سبحانه في قسم السعاده وادركته عنايه ازليه لحظته بعين الرعايه اشرقت على باطنه

انوار

مثل

انوار ملكوتيه وهدايه ربانيه فاتصف بالذكا والفطنه قلبه واسفر عن وجه الاصابه ظنه وتشابه من فرط ادراكه حدسه وعلمه وادركت خفايا الامور فكرته ولم يكد تخطي الا ان يشا الله فراسته وان كان حدث السن قليل التجربه كما نقل عن سليمان وهو صبي حيث رد حكم داود عم في امر الغنم والحرث وشرح ذلك مما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عم احدهما صاحب غنم والاخر صاحب حرث فقال احدهما ان هذا دخلت غنمه في الليل الى حرثي فاهلكته واكلته ولم يبق لي فيه شيا فقال داود عم في الحكم بينهما ان الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان وكان عمره ذلك اليوم على ما نقله بعض ايمة التفسير احد عشر سنه فقال بما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عم وقالا له ما قال ولده سليمان فدعاه وقال ما الارفق بالفريقين فقال سليمان عم تسلم الاغنام الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد بدت عناقيده ونمت قضبانه في اكثر المفسرين فياخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل من لبنها وينتفع بدرها ونسلها وتسلم الكرم اليه ليقوم به فاذا عاد الكرم في هيبته وصورته التي كانت ليلة دخلت الغنم اليه يسلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها ويتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال داود القضا كما قلت وحكم به على ما قال سليمن وفي هذه القضيه نزل قول الله تع في محكم التنزيل وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث الايه فهذه المعرفه والدرايه لم تحصل لسليمان بكثرة التجربه وطول المده بل حصلت بعنايه ربانيه والطاف الاهيه واذا قذف الله شيا من انوار مواهبه في قلب من يشا من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوي التجارب في كثير من الاسباب ويستدل على

سليمان

حصول كمال العقل في الرجل بما يوجد منه وما يصدر منه فان العقل
معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهده من خصايص الاجسام
وما لا شك عنها بل يعرف باثاره واحكامه فاقول يستدل على
عقل الرجل بامور متعدده منها ميله الى محاسن الاخلاق
واعراضه عن رذايل الاعمال ورغبته في اسدا صنايع المعروف
وتجنبه عن كلما يكسبه عارًا او يورث سوا يسمعه وقد قيل
لبعض الحكما بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في كلامه
وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غايبا فقال باحد ثلاث
اسباب اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قايم
مقام نفسه وهديته عنوان همته وكتابه يصف نطق لسانه
فبقدر ما يكون فيها من نقص فيحكم به على صاحبه وقيل من
اكبر الاشيا شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس
ويكفي ان حسن المداراه يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى
اياه فانه روى عن النبي صلعم انه قال من حرم مداراة الناس
فقد حرم التوفيق فمقتضاه ان من رزق مداراة الناس
لا يحرم التوفيق ولا يكفي في الدلاله على كمال عقل الرجل الاغترار
بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفه ونظافة
بزته اذ كم من كنيف مبيض وبعر مفضض وقد قال الاصمعي
رايت بالبصره شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخره
وحوله حاشيه وهرج وعنده دخل وخرج فاردت ان
اختبر عقله فسلمت عليه قلت ما كنية سيدنا فقال ابو
عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت
منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه
غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسومًا بالعقل
مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف حقيقة

حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله ويستحيل في دعواه
العقل تمويهه ومحاله كما ذكر ابو علي ابن القاضي التنوخي
عن عضد الدوله انه كان قد قدم في دولته ابا القاسم عبد
العزيز بن يوسف واعتقد في كمال عقله ورزانة نبله ورجحان
فضله فناط به ازمة عقده وحله واعتمد عليه في امر ملكه كله
وكان نفاق الحاشيه يغطي عواره ويستره والسن الخدم
والاتباع لميل عضد الدوله تعرض عنه فلا تذكره وهو يبجح
بدعوى العقل وهو اجهل من باقل ويتحلا بحسن التدبير
وهو بجيد عن المعرفه عاطل ويظهر الاستطاله على فضلاء
الاماثل وهو خال عن الفضايل واستمر ذلك برهة من
الدهر الى ان اناخ القدر المحتوم والقضا المعلوم ان سافر
عضد الدوله من العراق الى همدان فتبعه ابو محمد الخزنباذي
يطلب خدمة وكان ذا درايه وفضل ومعرفة وعقل ورزانة
ونبل فلما راه ابو القاسم قد خرج في جملة الجماعه خشي من
تقدمه عند عضد الدوله فيفضح مستوره ويقبح اموره
فحسن لعضد الدوله رده من الطريق وابعاده عن الصحبه
وان يجري عليه شي من الرزق بالبصره ويقيم بها قال
ابو علي ابن القاضي كنت بين يدي عضد الدوله وقد قال
لابي بكر بن شاهويه وهو من اصحاب ابي القاسم عبد العزيز
تمضي الى ابي محمد الخزنباذي وتقول له يمضي الى البصره ونحن
نجري لك معيشة ترتزق منها فقد طال تبعك لنا وتعبك
معنا وقد تبرمنا بك ولبس لك في حضرتنا ما تحبه والسلامه
لك في بعدك عنا وصاحبنا ابو القاسم عبد العزيز قد
استصحب جماعة كثيره في بعضهم غنيه فانصرف عنا والقا
بما نرتبه لك ان شا الله ثم ان عضد الدوله سير من خاصته

شخصا مع ابي بكر ليشهد ما يقوله ويسمع ما يجاوبه ابو محمد بحيث لا
يكتم ابو بكر شيا من الجواب لكونه من اصحاب ابي القاسم فلما حضرا
عند ابي محمد قال له ابي بكر صورة ما قاله عضد الدوله جميعه فقال
ابو محمد لما سمع ذلك الامر للملك والامتثال لامره ولا خلاف له
والسمع والطاعه لتقدمه ولعمري ان الناس بجدودهم ينالون
وبحظوظهم يستديمون اقسامهم ولو اني تقدمت عند الملك
ونفقت عليه ما كان عجبا فقد نال منه وتقدم عنده من انا ارجح منه
ولكن المقادير غالبه وليس للانسان عنها متقدم ولا متاخر
وقد قيل من غالب الاقدار غلب ولكن ايها الشيخ ان لي حاجه
احب ان تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحه وشفا
لما في الصدور فقال ابو بكر قل فاني ابلغها الملك فقال قول
له اني انا صاير الى امرك متوجه الى البصره لامتثال ما رسمت ولكن
بعد ان تقضي وطرا في نفسي وفيه شهره لعظمتك وتنبيه لك
على انك لا تخدع في ملكك ولا يلتبس عليك محق بمبطل
وعاقل بجاهل ومسئ بمحسن ويقظان بغافل وجواد بباخل
وهو ان يتقدم فيقام عبد العزيز الحاجب ابي القاسم بين اثنين
على روس الاشهاد فيستنطقا منه انتقاما بالغا ويقول له اذا لم يكن
عندك مرحمه ولم تبذل جاهك لملهوف ولا لمديك بر لضعيف
ولا فرج لمكروب ولا عطا لسايل ولا جايزه لشاعر ولا مرعا
لمنتجع ولا ماوى لضيف ولا ذب عن عرض مخدومك ولا
استجلاب ثمار الالسنه بالادعيه والمحامد لدولة اوحدتك ولا
لك من العقل ما تميز به بين ما تكسب حمدا او ذما فلم الزمت
الناس ان يخاطبوك بسيدنا وتمد يدك ليقبلها الداخلون
ويقوم لك عظما الدوله عند طلوعك عليهم ثم ان ابا محمد
قام وركب وعاد قال ابو بكر ابن شاهويه فعدت وقد سبقني

الذي

الذي كان معي مشرفا وذكر ذلك للملك عضد الدوله فلما حضرت بين
يديه وعنده ابو القاسم سكت فقال ما ذلك الجواب الذي ذكره
ابو محمد فاستحييت من ابي القاسم ان اذكره فقلت قد سمعه الملك
من المرسل للتشريف معي فقال قل فانت كنت الرسول فاذكر
الحديث على صورته فوالله ان تركت منه كلمه واحده لم تلق خيرا
فما امكنني الا انني سردت كلام ابي محمد على ما قاله ولم اترك منه
شيا وابو القاسم يتقدد في اثيابه ويتمزق في جلده ويتغير
وجهه ويتلون الوانا عند كل كلمة منه فاقبل عليه عضد الدوله
وقال كيف ترى يا عبد العزيز لا جزاك الله خيرا الآن علمت
انك لا تعتمد حالة ترضي الله تعالى ولا تبني مكرمة ولا تحفظ
مروة ولا تحرس امانة ولا تخرج فكرك عنك ولا همتك الا في
مال تجدبه واقطاع تثمره وتجعلني بابا من ابواب معاشك
ووجهة من جهات ارباحك تبعد من ينفعني وتقرب من ينفعك
فمذهبك معروف وسيرتك معلومه وقد كنت اسمع من حركك النار
الى فرصك وشربك في جميع احوالك واذاك لمن يقصد
ابوابنا ولكن لكل اجل كتاب ثم امر به فطهرت بسو فعله
قلة عقله وبقبح قصده ضعف رايه ۞ وفي امثال هذه
من الوقايع الشاهد لاربابها باختلال الدرايه وقلة العقل
كثيره وانما خوف الاكثار اوجب الاقتصار على هذا المقدار
وما احسن جواب بزرجمهر وقد ساله انوشروان فقال ما خير
ما اعطي الرجل قال العقل قال فان لم يكن قال صمت طويل
يستره قال فان لم يكن قال اخ صديق يستشيره قال فان
لم يكن قال خلقا حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال
ميتة عاجله تريحه وتريح منه ۞ وقال ابو الرشيد الرازي دخلت
بغداد ولم اعرف احدا ولم اعلم ما افعل في امري فرايت شيخا

خ شفيق

الرازي

عليه اثر الديانه وزي الصلاح فسلمت عليه وقلت له يا سيدي
انا رجل غريب وقد وصلت الى هذه البلده الان ولا اعرف
فيها احدا وقد ضاق صدري اذ لم اجد بها معرفه من بلدي
يهديني الى سلوك الطريق الارتفاق قال فلما سمع كلامي لم يزدني
على ان انشدني هذين البيتين

اذا كنت ذا عقل فلا تخش غربةً ۞ فما عاقل في بلدة بغريب
يُعد رفيع القدر من كان عاقلا ۞ وان لم يكن في اهله بحسيب

ثم تركني ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت ان العقل هاد مرشد
ومشير مسعد فاهتديت بنوره الوقاد فرزقني الله تعالى كل
مرام ومراد ۞ وقد وقعت من المتقدمين نوادر هداهم الله
اليها بنور العقل وابداها الينا ايمة النقل تشهد لمن صدرت
عنه بالراي الجزل وترشد سامعها الى معرفة رد الفرع الى الاصل
منها ان كسرى كان من عقلا ملوك الفرس واثبتهم جنانا
وابسطهم قدرة وامكانا فراى في منامه رويا احدثت عنده ضيق
صدره واضطراب فكره فاستحضر من بلاده الى عنده علما عصره
وقصها عليهم ليكون على بينة من امره فاتفقت كلمتهم واتحدت
اشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولا شك فيما ادت اليه
معرفتهم فقالوا له ايها الملك ان هذه الرويا تدل على ان ولدك
شيرويه لابد ان يقتل اباه ويجلس على سرير الملك ويتصرف
في الخزاين فالملك يسمع هذا القول ولا يشيعه ويكتمه عن كل
احد ولا يذيعه فانه لابد ان يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعتمد
كسرى حالة اداه اليها عقله واستخرجها فكره فان لم تصح
روياه وكان المنام اضغاث احلام فما يضره فعلها وان
صح منامه يقتص من قاتله بها واخذ سما قاتلا من ساعته وخلطه
بمعجون ووضعه في قاروره وختمها وكتب عليها بخط دوا

للجماع

كسرى مع شيرويه

للجماع من تناول منه وزن درهم جامع مهما شا من غير ضرر
ووضع تلك القاروره في خزانته تحت ختمه بحيث لم يعلم
به احد من الناس قاطبةً بها فما مضت ايام حتى قتله ولده
شيرويه وجلس على سرير الملك ثم اخذ يعتبر الخزاين فلما
وقف على القاروره وقرا ما عليها فرح بها فرحا عظيما
وقال بهذا المعجون كان ابي يستعين على جماع شيرين
واخذ من المعجون وزن درهم فمات من ساعته وعدت
هذه الحالة من كمال عقل كسرى وحسن فكرته وكان كسرى
يقدم يونان الوزير على ساير وزرايه واصحابه ويعظم
امره ولا يعتمد مع بقية الوزرا مثل ما يعتمد معه فقالوا
له ما السبب في ان الملك يرجح علينا يونان ويقدمه فقال
لهم ما معناه ان من خصه الله بكمال عقله وزيادة معرفته
يقدم على نظرايه وابنا جنسه وهذا يونان لما افضت
اليَّ نوبة الملك تشاغلت اياما بالصيد فكتب الي يقول يعلم
الملك ان خمسة اشيا ضايعة مع خمسة المطر في الارض
السبخة والسراج المشتعل في ضو الشمس ۞ والمراة الحسنة
الصوره عند الرجل الاعمى والطعام الطيب عند المريض
والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره فعلمت ان يونان
قصد بهذه الحكمة ان يوقظني لتدبير المملكة فلما دخلت
من الصيد احضرته وقلت له صف لي ملوك الدنيا في
سيرتهم في رعاياهم لاختار ما اعمل به منها فقال في
الملوك ثلثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويتجاوز
عنهم ولا ينتصف منهم لنفسه فذلك اعلاهم درجة واقومهم
سيرة واكملهم عقلا وادومهم ملكا واطوعهم رعية واعمرهم
بلادا واملكهم لقلوب رعاياه وواحد ينتصف منهم له

كسرى ويونان

وينتصف لهم من نفسه فهو اوسطهم درجه فانه عمل بالعدل
ولم يصل الى درجه الفضل وواحد ينتصف منهم لنفسه
ولا ينتصف لهم فهو انزل درجه واقبح سيره واخرب
بلادا لا تقر قلوب رعاياه من الاضطراب ولا السنتهم
من التضرع الى قيم العالم في ازالة ملكه وتعجيل هلكه فهذه
احوال الملوك في سيرتهم في رعاياهم فانظر ايها الملك
الى هذه الثلثة فاختر لنفسك ما اردت منها وانا اعلم
ان الملك لا يختار لنفسه الا السيرة الاول لان نفس الملك
شريفه وهمته عاليه فهو يرغب في ارتقاء اعلى الدرجات
ويميل الى اقتنا حميد الذكر وجميل السيره ويؤيده عمارة
نواحي بلاده واقطار مملكته ويحب ما تنمي به مواد امواله
وجهات اعماله ويود ان تملك اخيار القلوب ويخلد
بعده سيرة يضرب بحسنها الامثال فلما سمعت كلامه
علمت انه قد رزق عقلا وفضلا فعملت بقوله واهتديت
بحكمته ولم اجد عند غيره ما وجدته عنده فلذلك خصصته
بالتقديم وانزلته منزلته التي يستحقها ومنها ما ذكره
تميم بن حمزة اليربوعي قال كنت مع عبد الله بن العباس
عند منصرفه من دمشق فسالته في بعض الايام بم ذا يتم
عقل الرجل فقال اذا صنع المعروف مبتديا به وجاد
بما هو محتاج اليه وتجاوز عن الزله وجازى على المكرمه
وتجنب مواطن الاعتذار فقد تم عقله فحفظت ذلك منه
والصقته بقلبي ثم بعد ايام نزلنا منزلا فطلبنا طعاما
فلم نجده ولا قدرنا عليه فان زادنا كان قد نزل بذلك
المنزل قبلنا بايام قليله في جمع كثير فاتوا على ما فيه من الطعام
فقال عبد الله لوكيله اخرج الى هذه البريه فلعل تجد بها

عبد الله بن العباس مع العجوز

راعيا

راعيا معه طعام فمضى الوكيل ومعه غلمان فطالوا الطواف
فلما كادوا يرجعون لاح لهم خبا فاموه فوجدوا فيه عجوزا
فقالوا لها هل عندك طعام نبتاعه منك فقالت اما طعام
بيع فلا ولكن عندي اكلة لي ولاولادي ونحن امس حاجة اليها
قالوا واين اولادك قالت في رعيهم وهذا وقت عودتهم قالوا
فما اعددت لهم قالت خبزه هي تحت ملتها انتظر بها ان يجوا
قالوا فجودي لنا بنصفها قالت لا ولكن بكلها قالوا ولم منعت
النصف وجدتي بالكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطا
الشطر من خبزة نقيصه واعطا الكل فضيله فانا امنع ما ينقصني
واجود بما يرفعني فاخذوا الخبز لفرط حاجتهم اليها فلما اتوا
عبد الله اخبروه بخبر العجوز قال ارجعوا اليها واحملوها في دعه
واحضروها فرجعوا اليها وقالوا ان صاحبنا احب ان يراك
قالت ومن هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما
اعرف هذا الاسم قالوا العباس بن عبد المطلب وهو عم
النبي صلعم قالت والله هذا الشرف العالي ذراه الرفيع عماده
ابن عم هذا النبي الذي دعا الى الحق وكان قومي انصاره قالوا
نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد ان يكافيك على ما كان منك
قالت لقد افسد الهاشمي ما اثل له ابن عمه عم والله لو كان ما
فعلت معروفا لم اخذت عليه ثوابا فكيف وانما هو شيء
يجب على كل انسان ان يفعله قالوا فانه يحب ان يراك
ويسمع كلامك قالت اصير اليه لاني احب ان ارى رجلا من
جناح النبي صلعم وعضوا من اعضايه فلما صارت اليه رحب
بها وادنى مجلسها وقال فمن انتي قالت من كلب بن دبره
قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد بلغته
واني الان اعيش بالقناعه واصون القرابه وانا اتوقع مفارقه

الذينا صباحًا ومساءً قال اخبريني ما الذي اعددت لاولادك
عند انصرافهم بعد اخذ الخبزه قالت اعددت لهم قولي العربي

ولقد ابيت على الطوى واظله ۞ حتى انال به كريم الماكل ۞

فاعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خبائها فاذا
اقبل بنوها فجئ بهم فقالت للغلام انطلق فكن بفنا البيت
فانهم ثلاثه فاذا رايتهم تجد احدهم دايم النظر نحو الارض
عليه شعار الوقار اذا تكلم افصح واذا طلب انجح والاخر
حديد النظر كثير الحذر اذا وعد فعل واذا ظلم قتل والاخر
كانه شعلة نار وكانه يطلبك بثار فذاك الموت المايت
والداء الكابت فاذا رايت هذه الصفه فيهم فقل لهم عني لا
تجلسوا حتى تاتوني فانطلق فما بعد امده حتى جاوا
فاذا بهم عبد الله وقال اني لم ابعث اليكم والى والدتكم الا
لاصلح من اموركم واصنع لبعض ما يجب لكم فقالوا
ان هذا لا يكون الا عن مسيله او مكافاه فعل جميل
تقدم ولم يصدر من واحده منهما فان كنت اردت
التكرم مبتديا به فمعروفك مشكور وبرك مقبول مبرور
فامر لهم بتسعة الاف درهم وعشرة من النوق فقالت
لهم امهم ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله فقال الاكبر

شهدت عليك بحسن المقال ۞ وطيب الفعال وصدق الخبر ۞

فقال الاوسط

تبرعت بالبذل قبل السوال ۞ فعال كريم عظيم الخطر ۞

فقال الاصغر

وحق لمن كان ذا فعله ۞ بان يسترق رقاب البشر ۞

فقالت العجوز

فعمرك الله من ماجد ۞ ووقيت ما عشت مر القدر ۞

ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم اليربوعي فالتفت الي وقال يا تميم
وددت لو وجدت مزيدا في اسدا المعروف الى هذه المراه
وبنيها وجعل يبدا وه من تقصيره عن مراده في ذلك فقلت
له لقد احسنت واربحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك
فانت اتم الناس عقلا واكملهم مروة ومن كمال عقل ابن عباس
رضه انه قيل له ما منع عليا ءم ان بعثك مع عمرو ابن العاص
في التحكم فقال حاجز القدر ومحنة الابتلا وقصر المده اما والله
لو كنت مع عمرو لجلست في مدارج انفاسه ناقضا ما ابرم ومبرما
ما انقض اطير اذا اسف واسف اذا طار ولكن جرى قدر
وبقي اسف ومع اليوم غدا والاخره خير لامير المومنين وقديما
قيل ان اياس بن معاويه القاضي كان من اكابر العالم وكان
عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها
وكان من جملة الوقايع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل
الراجح والفكر القادح انه كان في جماعته رجل مشهور بين
الناس بانه امين يستودع لهم فاتفق ان رجلا اراد ان يحج فاودع
عند هذا الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد
بعد مده جا الى الامين وطلب منه كيسه فانكره وجحده
فجا الى القاضي اياس وقص عليه القصه فقال له القاضي هل علم
احدا غيري فقال لا فقال هل علم ذلك الامين انك اتيت
الي لتخبرني فقال لا فقال هل نازعته بحضرة احد فقال لا
فقال له انصرف واكتم امرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان
القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له قد حضر مال كثير
وقد رايت ان اودعك اياه واتركه عندك فاذهب ورتب
موضعا حريزا فمضى ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعه فقال
له اياس القاضي امضي الى خصمك واطلب منه ودبعتك فان

جدك فقال له تمضي معي الى القاضي لاعلمه بذلك والحاكم انا وانت
فلما جا اليه دفع اليه كيسه فجا الى القاضي واعلمه انه قد رد عليه
وديعته وانصرف في ذلك الامين الى القاضي لوعده طامعا
في ان يتسليم المال فسبه القاضي سبا كثيرا وابطل قوله وكانت
بده من جملة ما يدل على كمال عقله وصحة فكره **خاتمه** لهذا الباب
مشتملة على حكم متنوعة اخرجتها التجربه من ينبوع العقل
تفيد ناظرها فضل اعتبار وتكسبه زيادة استبصار قيل
كان رجل من حكما الاوايل له عقل ودرايه وادب وتجربه فسمع به
ملك ارضه وسلطان اقليمه فاستدعاه اليه وقربه منه وبسطه
باقباله عليه ومحادثته اليه فقال له الملك ما معناه انك ايها
العاقل الحكيم قد خصصت بسمت قويم وعقل بين وادب
واف ومنظر مقبول وتجربة تجري بها على حقايق الامور فلم
رضيت لنفسك بالمقام على التقصير عن حظك بالبعد عنا وقد
تفتحت لك ابواب الرغبه فيك والميل اليك والانتفاع بعلمك
واجتنا ثمره معرفتك فقال العاقل ما معناه ان كان قصد الملك
في مقاله ان يطلع الى جواب احتج اليه لا اقيم به عذرا في تباعدي
عن رتبة القرب من الملك وقنوعي بالدرجة السفلى دون
الدرجة العليا فهذا امر لا يثقل على كاهل العقل ولا يجدي كثير
نفع في ايالة الملك وان كان قصد الملك ان تحرك ساكن العقل
ليفيض على اللسان من لالى الحكم ما ينضد منه الملك عقودا
يحلي بها جيد افعاله ويتخذ بها جنة واقيه من طارقة الحوادث
فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التلبس به وتنفعل
القوى الانسانيه له ويشرق نور العقل فيهدي الى سلوك سبيله
فقال له الملك ما معناه ان كل واحد منهما غرض مطلوب
ومنبع مقصود فاذكر مبتديا عذر نفسك ثم اتبعه بجواهر
حكمك

حكمك ونتايج عقلك فقال العاقل ما معناه ان الملك قد
افاض على لباس قربته واحلني في الدروة العليا من رتبته
ومنحني بسطة في كل مبتغى ومكنه من كل مشتهى ولا مني
على التقاعد عن المبادره الى هذه المحاب ولا مرد لما قاله الملك
ولا يتطرق اليه شك مريب غير اني بقنوعي بالبلغه واقتصاري
على دفع الضروره وتجنبي لمواطن المنن فعفني واعراضي عن البدا
الى الدخول في ابواب الكرامه التي فتحها الملك وفتح ارتعا
مربعها اوحدني امن السرب فارغ السر قليل الحرص لا اقصد
احدا بمكروه ولا استهدف لاذى مخلوق وليس واحد
من اتباع الملك الواجبين ابوابه الا وقد ملكه الحرص واستهواه
الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فكل منهم
يرمي بمطامح نظره الى زيادة يستميلها ليرضي بها ساخط
حرصه ويمد مدا اطماعه الى جمرة سحت يتوقعها ليجرها
الى قرصه قد استفادوا بكثره ما خولوه من الملاذ المستحبه
لديهم ففقر النفس لا يحصل معه غنا ولا يفارقه فاقه
فهم من فرط احتيا لهم في طلب المزيد يدابون في دفع
من يتوهمون عنده ادني جنوح الى اقتراب مدارجهم
وانتهاج مساعيهم متى بدا لهم مرهوب يقطع ما مولا
حملهم الجزع على ارتكاب كلما فيه بوار ودمار واذا لاح
لهم مرغوب ينيح سولا الجاهم الحرص على اقتناصه الى العمل
ما يعقبه وبال وعطب وقد قيل الحرص يورد موارد الهلكه
ويحمل على التغرير بالمهجه وينزع لباس السلامه ولقد بلغني
ما معناه ان عظيما من الاكاسرة الفرس جلس يوم نوروز
لدخول الناس عليه بطرف التحف فحضر بزرك موبدان وهو
اسم حاكم الحكما ومعه منديل مشدود على شي فوضعه

بين يدي كسرى وحله فاذا فيه فحمه كبيره فقال له ماهذا فقال له
انني كنت اليوم قد خرجت الى مكان للنزهه فرايت بازا قد تبع
دراجه فجات الدراجه الى اجمه قد وقعت فيها نار فالقت
نفسها في الاجمه فهلكت فدخل البازي من حرصه خلفها فاحترق
وانا اراه فوقفت متفكرا في نفسه حاله وما فعل به حرصه ثم اخذته
وقد صار فحمه ورايت انه من ابلغ المواعظ فاحضرته بين
يديك لتعلم ان الحرص يقود الى الهلاك والبوار وحيث اتصف
من بباب الملك بهذه الصفات التي ايسرها الحرص والاخلاق
التي اهونها الطمع فاذا امتثلت امر الملك وحللت بالمكان
الاثيل والمنزلة الساميه من دولته فوقوا الي سهام العناد
وقدحوا الى زناد العداوه ونصبوا في مدارجي حبايل الغوايل
فان تركت الاستعداد لهم ولم اعمل الحيله في دفعهم تهدم ما
بنيت واشرفت على خطة خسف وان حذرت بغيهم ولبست
جنن التحفظ من كيدهم اتعبت فكري واضعت عمري ولا
انفك عن ظهورهم علي وظفرهم بي وقد قيل من رقد حذره عن جانبه
حل بساحته العطب ومن ايقظته الاوجال حرم لذة الدعه
وراحة العيشة وانا امرؤ احب السلامه واكره زوال العافيه
ولو ابتليت بمعاند لم اجد فلي مكافيا له على بغيه ولا محاضيا
لكيده وقد قيل المرء امين على نفسه واللبيب من ترك ما لا
طاقة له به فانه استر لمكنون امره وابقى للامال فيه وانني قد
رايت الملك قد استقر عنده الاستغناء بمن في كنفه واقباله
طرا عليه لا ينفك عن ملل واستثقال وذو النفس المهذبه
يصونها عن التعرض لذلك فهو اعذر لا يسوغ للعاقل ان يطوي
دونه كشحا ولا يعرض عنه جانبا واما ما يستفيده الملك من حكم
يقتدي بها وجواهر عقل ينظمها زينة في اجياد افعاله اذا

اشكل عليك امران لا تدري ايهما ارشد فخالف اقربهما الى
هواك فان اكثر ما يكون الخطا مع الهوى والاقدام مع العقل
بعد التاني فيه احزم واحسن من الامساك عنه بعد الاقدام
عليه واجتهد كل الاجتهاد ان تكون خبيرا عالما بامور ولايتك
واحوال عمالك وافعال نوابك متطلعا الى ذلك فان المسيء
منهم والمقصر والمتعدي والخاين يخاف من خبرتك وعلمك
باموره قبل ان تصيبه عقوبتك فيرتدع وان المحسن يستبشر
بعلمك لحاله قبل ان ياتيه معروفك فيدوم على نصحه ويزداد
فيه ولا تتركن حراسة الملك ولا تعرضن على مباشرة جسيم
امره فيعود شانه صغيرا ولا تشغل نفسك بمباشرة
صغير امره فيصير كبيره ضايعا ولا يجمعن الملك بين المحسن
والمسيء في منزلة واحده ويجعلها عنده سوا فان ذلك
يحمل المحسنين على التقصير والمسيئين على الاقدام على زيادة
الاساءه لكن يقابل كل منهما بما يستحقه من اكرام وانتقام
فهي تمام الحراسه والسياسه وليكن ابغض رعية الملك اليه
اكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فان في الناس معايب
واحق من سترها وكره كشف ما غاب عنه منها الملك فانما
عليه احكام ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن واعلم ان رايك
ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجملة الاشيا فاجعله للمهم
منها فان ما صرفته من رايك ووقتك لغير المهم ازدراء
بالمهم وعليك بحب العلم واهله العاملين به ورحمة الضعفا
والرفق بهم والنظر في امور الرعيه والاجتهاد في مصالحهم فهم
عباد الله الذي استرعاك لهم ويسئلك عنهم وقد قال
صاحب الشريعه كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يغفل
الملك عن اقامة شعاير الشرع واتباع قوله جملة في تثبيت قواعد

والايمن

العدل وتقريرها على ما يصلح به الناس فان ذلك يحيي الحق
ويميت الباطل ويكتفي به دليلا عليه ولا بد للملك من خاصة
من خدمه وبطانة من اتباعه وجماعة من جنده يجعلهم محل
اعتماده ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر
الملك في مبتداء الامر اخلاقهم وشيمهم وصفاتهم ويزلف
اليه من تحلى بحميدها ويقصي من اتصف بذميمها فلا يركن الى
خاين ولا يعتمدن على شره ولا يثقن بكذوب ولا يسمعن نصيحة
جهول ولا يقبلن قول حسود ولا ياخذن براي دني ولا يكثرن
محادثة سيئ الخلق وليتفقد الملك اخلاق حاشيته انتقاد
الجهيد اخلاط النقود فينفي الزيوف فيرمي الزايف منها
ويخلص بخالصها وقد جرى على السنة الحكما والعلما السالفين
الفاظ من الحكم المنتقاة من جواهر الكلم ما هو انفع لمتامله والمستعمل
له من كنوز الذخاير منها من قام من الملوك بالعدل والحق
ملك قلوب رعاياه ومن ملك بالجور والقهر لم يملك منهم
الا التصنع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها ومنها لينظر
الملك الى المتنصح له فان دخل من حيث العدل والصلاح
فاقبل منه نصحه وان دخل من حيث مضار الخلق والرعيه
فاحذره وتحرز منه ومنها زمان الجاير من الملوك اقصر
من زمان العادل لان الجاير مفسد والعادل مصلح والافساد
اسرع من الاصلاح ومنها من مدحك بما ليس فيك من الجميل
اذا رضي عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح اذا سخط عليك منك
ومنها موت العلماء والعقلا وان كان عظيما فهو اهون
من تقدم السفلا من الناس على رقاب الاحرار فلما سمع الملك
مقاله في الاعتذار وفهم ما تلا عليه من الحكم العظيم المقدار
النفيسة الاقدار عرضه على ما قد افاد عقله وثاقب فكره

مما يجب فهمه وحفظه

فتلقاه

فتلقاه بالقبول والاقرار وعلم صدق مقصده وصحة
معتقده فصدف عن الانكار واتخذ ما سرده من جواهر
الكلم نهجا يهتدي به في انا الليل واطراف النهار وفي
هذا المقدار بلاغ ومقنع في حصول البغيه للمقتدي به
وظهور لعلو رتبة العقل وفضل صاحبه وحيث ظهرت
فضيلة العقل وتجز المطلوب من اثبات ما يحرر في بابه
وان الله سبحانه به ياخذ ويعطي فانه مناط التكليف
فلنردف بابه ببيان ما اوجبه الله سبحانه وتعالى على
خلقه وما افترضه على عباده عند حصول صيغة العقل
لهم من العقيدة التي يجب العمل بها والوقوف
عندها والاعمال التي تلزم المحافظة عليها واتباع طريقها
وهي التي كان الصحابه رضوان الله عليهم والسلف
الصالح تغمدهم الله برحمته يتقربون الى الله تعالى باعتقادها
ويحملون على المحافظة عليها والعمل بها انفسهم بجدها
واجتهادها وقد صنف الايمه العلما كتبا في بيانها
وتعظيم شانها وتقسيم اركانها وتعليم الامه انه لا بد
من اعتقادها في حصول ايمانها فمنهم من بسط المقال
فاسهب واطال الكلام فاطنب وحاول ان يحصر ما قيل
في ذلك فتعب واتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى
كاد ان لا يقوم بما وجب فمحصت اوطاب الاقاويل
وطويت بساط التطويل واستخرجت زبدة مقاصد
ما قيل ولخصت هذه العقيده وسميتها مفتاح الفلاح
في اعتقاد اهل الصلاح وهي عقيدة اهل السنه والموثر
لمعتقدها ان شا الله تعالى دخول الجنه وهي ان الله
سبحانه واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ند

عقيده

له قديم ازلي دايم ابدي لا اول لوجوده ولا اخر لابديته
قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والاخر
والباطن والظاهر منزه عن الجهة ليس كمثله شي ولا يشبهه
شي مستو على العرش وما المعنى الذي اراد والسموات
والعرش والكرسي في قبض قدرته وهو فوق كل شي هو
فوقه لا يزيده بعدا عن عباده وهو اقرب الى العبد
من حبل الوريد وهو على كل شي شهيد فهو معكم
اينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته
ذات الاجسام منزه عن ان يحده زمان مقدس عن ان يحيط
به مكان تراه ابصار الابرار في دار القرار على ما دلت عليه
الايات والاخبار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور
ولا تاخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت
خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم واجالهم لا تحصى مقدوراته
ولا تتناها معلوماته عالم بجميع المعلومات ولا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر واخفى
ويطلع على هواجس الضماير وخفيات السراير مريد للكاينات
مدبر للحادثات لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير
خير او شر نفع او ضر الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته فما شا
كان وما لم يشا لم يكن فهو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا
معقب لحكمه ولا راد لقضايه ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته
لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في
العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا
سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلامه كلام خلقه والقران
والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقران

الكريم

الكريم مقرو بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب
وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث اوجده بقدرته فهو الخالق
الباري المصور له الاسما الحسنى حكيم في افعاله عادل في
اقضيته منزه عن الظلم فانه لا يتصرف في ملك غيره ليكون تصرفه
فيه ظلما متفضل بالايجاد متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة
لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا واثابته لعباده على
الطاعات متمحض منه كرما لا يسال عما يفعل وهم يسالون بعث
الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده
فوجب على الخلق التصديق فيما جاوا به ثم بعد اعتقاد كلمة التوحيد
على ما ذكرناه الشهادة بان محمدا صلعم رسول الله بعثه برسالته
الى الخلايق كافة وجعله خاتم الانبيا ونسخ بشريعته الشرايع وجعله
سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وجب على الخلق تصديقه
فيما اخبر به بعد الموت من سوال منكر ونكير وهما ملكان من ملايكة
الله تع يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك ويومن بعذاب القبر وانه
حق وان الميزان حق وان الصراط حق وان الحوض المورود حق وان
الحساب حق وان الجنة حق وان النار حق وان الله تع يدخل
من يشا الى الجنة بغير حساب وهم المقربون وانه يخرج عصاة
الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه
مثقال ذرة من الايمان ويومن بشفاعة الانبيا ثم بشفاعة
الشهدا وان يعتقد فضل الصحابة رضهم وترتيبهم ويحسن الظن
بجميع الصحابة على ما وردت به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد
جميع ذلك مومنا به موقنا له فهو من اهل الحق والسنة مفارق
لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله تع الثبات على هذه العقيدة
وجعلنا من اهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك بالاعتصا

م

بجبلها انه يسمع ويجيب فهذه العقيده اشتملت على احد اركان
الاسلام الخمسه وبقيت الاربعه الاخري فلابد للتعرض لها فان
الاسلام بني على قواعد خمس على ما نطق به الحديث النبوي فان رسول الله
صلعم قال بني الاسلام على خمس شهاده ان لا اله الا الله وان محمدًا
رسول الله واقام الصلوه وايتاء الزكوة وصوم رمضان والحج الى
بيت الله الحرام هذا لفظ الحديث الصحيح المتفق على صحته فالركن
الاول وهو التوحيد وما يتعلق به فالعقيدة المذكوره كافيه فيه
والركن الثاني الصلوة ولابد من التعرض للطهاره قبلها فانها

الطهاره

شرطها فنقول الطهاره تنقسم الى قسمين طهاره من الخبث وهو
النجاسه وطهاره عن الحدث وهو ما ينقض الوضو ويمنع من الصلوة
ولا يحصل الطهارتان الا بالما المطلق والنجاسه سوا كانت على
البدن او على الثوب يجب ازالتها ويجب الاحتراز من مقاربه
النجاسه خصوصا من رشوش البول عند قضا حاجة الانسان
ويجب الاستنجا من البول والغايط وهو بالما افضل منه
بالحجر واما طهارة الحدث فينقسم الى وضو وغسل فاما الوضو

الوضو

فهو ان تبتدي بالتسميه وغسل الكفين وينوي رفع الحدث
او استباحة الصلوة ويستصحب النيه ويتمضمض ويستنشق
ويغسل وجهه ثم يغسل يديه مع المرفقين ويطول الغره فوق
المرفقين ثم يمسح راسه يبدا بمقدمه ثم يمسح اذنيه ظاهرًا وباطنا
ثم يغسل رجليه مع الكعبين ويطول الغره فوق الكعب ويبدا
باليمين ويخلل بين اصابعه ويفعل ذلك ثلثا ثلثا والوضو
مشتمل على فروض وسنن فاما الفروض فالنيه عند غسل الوجه
وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الراس وغسل الرجلين
مع الكعبين والترتيب واما السنن ما عدا ذلك والبدايه
باليمين من السنن لا من الفرايض وكذلك الاذكار وتفصيلها

ان

ان يقول عند المضمضه اللهم اعني على ذكرك وعند
الاستنشاق اللهم اوجدني رايحة الجنه ويقول عند
غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه
اوليايك وتقول عند غسل اليد اليمنى اللهم اعطني كتابي
بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى
اللهم اني اعوذ بك ان تعطني كتابي بشمالي او من وراء
ظهري وتقول عند مسح الراس اللهم اظلني تحت عرشك يوم
لا ظل الا ظلك ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلني ممن يستمع
القول فاتبع احسنه اللهم اسمعني منادي الجنه مع الابرار
وان مسح رقبته كان حسنا ويقول اللهم فك رقبتي من النار
اعوذ بك من السلاسل والاغلال وتقول عند غسل الرجل
اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام وعند
اليسرى اللهم اني اعوذ بك من ان تزل قدمي عن الصراط يوم
تزل اقدام المنافقين واذا فرغ من الوضو يرفع راسه
الى السما ويقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين
واجعلني من المتطهرين فهذه الاشاره المختصره تغني في حصول
المقصود من الوضو ومعرفته وحيث ظهرت فرايضه

ما ينقض الوضو

وسننه فلا بد من شرح ما ينتقض به وتلخيص الكلام فيه ان
الوضو ينتقض باربعة اسباب الاول ما خرج
من السبيلين كيف ما كان الثاني زوال العقل الا
بالنوم قاعدًا متمكنا الثالث لمس بشره المرا بشي من
بشرته الرابع مس الفرج من الادمي بباطن الكف ولا
ينتقض الوضو بالفصد والحجامه ولا بالرعاف ولا بالشك
في الحديث بعد تيقن الطهاره ومن انتقض وضوه لا يجوز

الغسل

له ان يصلي ولا ان يحمل المصحف ولا يمسه باب
الغسل من الجنابه فاول ما يعتمده ان يغسل فرجه من
اذى ان كان عليه ثم يتوضى وضوه للصلوة ثم ينوي
الغسل من الجنابه او استباحة الصلاة ويبتدي
بجانب راسه الايمن فيفيض عليه الما ثم على الجانب الايسر
ثم على وسطه ويخلل اصول شعره ثم يصب الما على جسده كله
ويدلك ما يصل اليه يده من بدنه ويكرره ثلاث وان يقول
اذا تم اللهم طهرني كما طهرتني من الحدث والغسل مشتمل
على فرض وسنه فاما الفرض فالنيه وايصال الما الى جميع
الشعر والبشره والباقي سنن وقد استقصينا تفصيل
ذلك في الكتاب المسمى امثال الاشاره في اعمال الطهاره
وفي ذلك غنيه عن الاطاله وبسط العباره الغسل تاره
يكون واجبا كما ذكرناه وتاره يكون مندوبا تنبيه فاذا
كان واجبا على ما شرحناه بالجنايه فكان في ازالة ما حرم
على الجنب فان كان قبل ان يغتسل يحرم عليه ان يصلي
وان يقرا القران وان يحمل المصحف ويمسه وان يمكث
في المسجد فاذا اغتسل جاز له ذلك كله واما السنه
فهو غسل الجمعه وغسل العيدين وما في معناه من غسل الكسوف
والاستسقا والغسل من غسل الميت وغسل الكافر
اذا اسلم الى غير ذلك من السنن واثرها في حصول الثواب
لفاعلها من غير عقاب على تركها خاتمه قد تدعوا الحاجه
في بعض الاحوال الى لبس الخف والمسح عليه بدلا عن غسل
الرجل فلا غنا عن الاشاره الى شي من احكامه فان
كان في الاقامه فمدته يوم وليله وان كان في السفر المجوز
لقصر الصلاه فثلاثه ايام ولياليهن واول المده من وقت

المسح

الحدث بعد لبس الخف ويشترط بالجواز المسح ان يكون الخف
ساترا المحل الفرض من الرجل يمكن المشي عليه وقد لبسه على
طهاره كامله والشك في انتها المده او في ابتدايها في السفر
وفي الحضر يوجب غسل الرجلين واذا خلع الخف وهو على طهارة
المسح كفاه غسل رجليه على الاصح ويكفي مسح القليل من اعلاه
دون اسفله فهذا ما يتعلق بالطهاره وقدمنا ذكرها لكون
الصلاه تتوقف عليها فان الطهاره مفتاح الصلوه على ما
نطق به الحديث النبوي وقد تعين القول في الصلوه

اوقات الصلوة

واحكامها فالصلوات المكتوبه في اليوم والليله خمس وقد
بين جبريل لرسول الله صلعم اوقاتها واول الوقت افضل من
اخره فاول وقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط الفلك
واخره اذا صار ظل كل شي مثله فاول وقت العصر اذا
زاد الظل عن اخر وقت الظهر ادنى زياده واخره الى
غروب الشمس واول وقت المغرب غروب الشمس ويمتد
اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب الشفق الاحمر واول
وقت العشا غروب الشفق الاحمر ويمتد الى طلوع
الفجر الثاني واول وقت الصبح الفجر الثاني ويمتد الى
طلوع الشمس فالصلاه اذا وقعت في وقتها المفروض لها
كانت اذا في اوله وفي اخره لكن اوله للفضيله واخره
للجواز وان وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء
ولا بد في صحة الصلاة من ستر العوره وعورة الرجل
ما بين سرته وركبته وكذا عورة المراة المملوكه فاما الحرة
فجميع بدنها عوره سوى الوجه واليدين وكذا لا بد من
استقبال القبله في النافله في السفر وفي المحاربه اذا
اشتد القتال وفي فروض وسنن فان ترك شيا من فروضها

الصلاة

بطلت صلاته وان ترک شيا من سننها لا تبطل الصلاة وهى
النيه وتكبيرة الاحرام والقيام وقراة الفاتحه والركوع والرفع
من الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين والطمانينه فى
هذه الاربعه والجلوس فى اخر الصلوه والتشهد فيه والصلاه
على النبى صلعم فيه والتسليمة الاولى ونيه الخروج على قول وترتيبها
على الوجه المذكور وما عدا ذلک فسنن ولا يجوز ترک الصلاة
بعذر المرض بل اذا عجز عن القيام صلى قاعدًا فان عجز عن القعود
صلى على جنبه او مستلقيا على قفاه على اختلاف فيه ولا يتركها
مادام عقله ثابتا فقد ورد فيها احاديث كثيره خصوصًا فى
صلاة الجمعه فان النبى صلعم شدد فى امرها وذمّا على تاركها
وتلخيص ما نقله الايمه فى ذلک انه صلعم قال فى الجمعه من تركها
وله امام جاير او عادل استخفافا بها او جحودا لوجوبها الا
لا جمع شمله ولا بارک له فى امره الا لا صلاه له الا لا زكاة
له الا لا صوم له الا لا حج له الا ان يتوب فيتوب الله عليه الركن

الزكاة

الثالث من اركان الاسلام الزكاة فمن جحد وجوبها
فقد كفر ويجب على من وجبت عليه اخراجها من ماله وصرفها الى
مستحقها وقد بين الله تعالى مصارف الزكاة فى قوله انما
الصدقات للفقرا والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم
وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فمن
امتنع من اخراجها اخذها السلطان منه وصرفها الى جهة
استحقاقها ولا يجب الزكاة الا فى نصاب كامل بعد
حولان الحول ونصاب الذهب عشرون مثقالا وزكاته
نصف مثقال ونصاب الفضه مايتا درهم وزكاتها
خمسة دراهم وما زاد فيهما بحسابه وهو ربع العشر
ويستحب الاكثار من الصدقة تطوعا فقد قال النبى صلعم

المؤمن

المومن فى ظل صدقته يوم القيمه وقد وعد الله تع على الصدقه
ثوابا عظيما تنبيه من جملة الواجب من انواع الزكوه زكوة
الفطر وهى صدقه عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة
العيد على قول وبطلوع فجره على قول ويجب اخراجها
يوم العيد ويجوز تعجيلها فى جميع شهر رمضان وهى صاع
من غالب القوت والصاع خمسة ارطال وثلث بالبغدادى
واما بقية انواع الزكوة مثل الابل والبقر والغنم وزكوة
التجاره وزكوة المعدن والركاز فما يدخل ذكرها فى مقصود
هذا الكتاب فلهذا لم يذكرها وهى مستوفاه فى الكتب التى
هى مقصوده من تاليفها واما صوم شهر رمضان والصوم

الركن الرابع الصوم

قربه عظيمه وثوابه جسيم وهو مع عظم ثوابه وظهور فضيلته
لا يترجح على الصلاه بل افضل عبادات البدن الصلاه
وقد استقصينا القول فى ذلک فى المصنف الموسوم بتحصيل
المرام فى تفضيل الصلاه على الصيام والصوم ينقسم الى
فرض ونفل فاما الفرض فصوم رمضان وتثبيت شهر رمضان
بشهادة عدل واحد فان غم كمل شعبان ثلاثين يوما ويشترط
فى صحة صوم رمضان وفى كل صوم واجب كالقضا
والنذر تبييت النيه من الليل ففى القضا ينوى انه
يصوم غدا قضاءً وفى النذر ينوى انه يصوم غدا عن
النذر وفى رمضان ينوى كل ليله انه يصوم غدا فريضة
رمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالاكل والشرب
والجماع والاحتقان وما فى معناها ولبس الاكتحال والفصد
والاحتجام من المفطرات ولا ما يدخل الحلق عن غير قصد
كغبار الطريق والذبابة ولا اذا اكل وشرب ناسيا ويستحب
ان يعجل الفطر اذا غربت الشمس وان يفطر على تمرٍ او ماءٍ وان

يزه صومه عن كلما ورد النهي عنه كالغيبة والشتم والاذى وان
يقول عند الافطار اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت فقد كان
رسول الله صلعم يقول ذلك ويجتهد في كثرة فعل الخيرات والصدقات
في رمضان وان يفطر الصايمين على طعامه فقد وردت في هذه
الاسباب كلها اخبار واثار واما النفل فكل الايام سوى شهر
رمضان والايام المنهي عن صومها محل لصوم النفل وبعضها اشرف
من بعض ولا يشترط في صحته ان يكون نيته من الليل والايام التي
لها فضيلة الاختصاص فصيامها نفلا يوم عرفه ويوم عاشورا
ومن شوال ستة ايام الوداع وايام البيض من كل شهر ثلاثة
ايام ومن الاسبوع الاثنين والخميس الركن الخامس
الحج وهو من جملة القواعد الاسلاميه ولوجوبه واحكامه اسباب
ولما لم يكن من مقاصد هذا الكتاب لم يتعرض لشرحها فهذا تلخيص
ما دعت الحكمة الباعثة على تاليف هذا الكتاب الى بيان ما
لابد من ذكره في ذلك وبتمامه نجز ما رمنا اثباته في باب العقل

الباب الثاني

في مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتسرع قد مدح الله تع الصبر في
كتابه العزيز في مواضع كثيره وامر به وجعل اكثر الخيرات مضافه
الى الصبر واثنى على فاعله واخبر انه سبحانه معه وحث على
التثبت في الاشيا ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تع
يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة وقوله ان الله
مع الصابرين وقوله يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا وقوله
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله وجعلنا منهم ايمة
يهدون بامرنا لما صبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرايل بما صبروا وقوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
وعلى الجملة فقد ذكر الله تع الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين

موضعا وامر نبيه صلعم به فقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
ولا تعجل وقوله تع يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
فتثبتوا وفيها قراتان في التبيين والتثبيت وكذلك قوله تع
ان جاكم فاسق بنباءٍ فتبينوا كل هذه الايات مع اختلاف
مواضعها والفاظها مشتركه في الامر بالصبر والتثبت وترك
الاستعجال وقد ورد عن النبي صلعم اخبار كثيره كقوله عم النصر في
الصبر وقوله صلعم بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله والعجلة
من الشيطان وقال صلعم لاشج عبد القيس ان فيك لخلتين يحبهما
الله الحلم والاناة ونقل عن المسيح عيسى بن مريم صلعم انه قال
للحواريين ما معناه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما
تكرهون واعلم ان الصبر محمود العاقبة يثمر النجح ويورث القصد
ويكبت العدو ويغيض الحسود ويفضي لصاحبه بالسياده ويكسوه
فضيلة الحزم ويدفع عنه نقيصة الحرمان فمن هداه الله تع
بنور توفيقه الهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في
حركاته وسكناته وكثيرا ما ادرك الصابر مرامه او كاد وفات
المستعجل غرضه او كاد ولهذا قال امير المومنين المامون وقد
ذكر عنده بعض عظما علما دولته نعم من ذكرتم لولا عجلة فيه
وقال الاشعث بن قيس دخلت على امير المومنين علي بن ابي طالب
رض فوجدته قد اثر فيه صبره على العباده الشديده ليلا
ونهارا فقلت يا امير المومنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة
فما زادني على ان قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر … وفي الرواح على الطاعات في البكر
اني رايت وفي الايام تجربة … للصبر عاقبة محموده الاثر
وقل من جد في شي يومله … واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه والزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة

حديث ابن الحسن

ذلك وحسن اثره ٭ ونقل عن محمد بن الحسن رحه كنت معتقلاً
بالكوفه فخرجت يوما من الحبس مع بعض الرجاله وقد زاد
همي وكادت تزهق روحي وضاقت علي الارض بما رحبت
واذا برجل عليه بزة زريه وعليه اثر الهيبه وله هيبة جيده
وعلي وجهه اثر عباده فوقف علينا وراني ما انا فيه من
الكابه فقال ما حالك فاخبرته القضيه فقال الصبر الصبر قد
روي عن المصطفى صلعم انه قال الصبر ستر المكروب وعون
الخطوب وروي عن ابن عم علي انه قال الصبر مطية لا تدبر
وسيف لا يكل وانا اقول

ما احسن الصبر في الدنيا واجمله عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفاً عند مولمة الوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحه فقال
ما يحضرني شي عن النبي صلعم ولكن قال ابراهيم بن ادهم
رضه من اراد الفوز فليجر مع الزمان في ميدانه وليصبر
على حدثانه وليكن للدهر مستسلما ولما اصابه منه مسلما
فان لا يعتذر الي احد من الناس فالطيش نقص والصبر
حزم وعزم ثم قال وهو منصرف

اما والذي لا يعلم الغيب غيره ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرا مذاقه لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسالت عنه فما وجدت احدا يعرفه ولا اراه قبل
ذلك في الكوفه ثم اخرجت من الحبس في ذلك اليوم وقد
حصل لي سرور عظيم بما سمعته منه وانتفعت به ووقع في
نفسي انه بعض الابدال السايحين فيضه الله لي يوقظني
ويوذنني ومما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر
ويسهل لذوي البصاير سلوك طريقة الوعر افضاوه بعد

مطاردة

المرتمي ...

مكابدة العسر الى سعة اليسر فانه قلما اخفق مطلب صابر
ولا انقلب الا وهو بما يحاوله اسعد طاير ولقد قرع ابواب
المسامع للاستفتاح ما يشهد لمتدرع الصبر بالفوز والنجاح
وهو ما رواه ابو العباس احمد ابن حماد الكاتب بطريقة عن ابي
محمد المرتمي قال قصدت ابا الجيش خمارويه بن احمد بمصر ممتدحاً
له فاقمت ببابه زمانا لا اصل اليه فرثا لي كل من عرف حالي
وارشدت الى كيثر المغني فصرت اليه وسالته ان يشفع لي فقال
ما جرت العاده انني اكلمه في احد ولكن ان قدرت ان تعمل شعرا اغني
به بحضرته فان سالني عن قايله عرفته من حالك ما يكون فيه عايده
صلاح عليك فعملت شعرا على البديه وهو

هم علموني البكا لا ذقت فقدهم فليتهم علموني كيف ابتسم
كتمت حبهم صونا ومكرمة فما دري غير اضماري بلى وهم

فصاغ لهما لحنا وغنى به فيهما ثم قال لي من سعادتك
انهما مطربان فكن بالباب ولازمه الى ان اجد فرصة في
امرك فاقمت في باب ابي الجيش اياما وضاق صدري
من مخالطة النفاطين ورجالة النوبه ثم ورد الى كتاب العجوز
تذكر فيه ما لحقها من الضروره ببعدي وما هي عليه وما يليها
من الفاقه والضر فلحقني هم وغم وسهو فانسيت المديح الذي
عملته في ابي الجيش في البيت الذي كنت اوي اليه وترنمت
بابيات من الشعر في معنى ما ورد به كتاب العجوز وقضيت
النهار في شوارع مصر فلما هجم الليل ضعفت نفسي عن المسير
الى دار ابي الجيش وسئمت من كثرة التردد وهممت بالقعود
فقلت اصبر لعل الصبر يعقب فرجا فقويت نفسي وراجعت
فكري ودخلت دهليزا من دهاليز داره وبقيت اكثر ليلتي
اردد فكري في وجوه المطالب وفيما انا فيه من عظيم التحير في

امري وام العجوز بما ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من حجابه
وبين يديه فراش يحمل شمعه والفراش يصيح اين فقلت ها انا ذا
فقال اجب الامير فنهضت وانا اكل لحمي واعض يدي ندمًا على
تركي القصيده التي امتدحته بها في الموضع الذي كنت به ثم دخلت
الى حضرته فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع معنبر
موكبي والخدم محدقون به فلما راني قال هات يا مرتمي ما قلت
فقلت بعد ان قبلت الارض وقلت ايها الامير ان عظم ما انا فيه
انساني ما قلته من المدح في الموضع الذي كنت فيه غير اني
مترنم بابيات في معنى ما ورد به كتاب امة مولانا الامير والدتي
فقال هات ما حضر فانشدت

كتبت تسال الاياب وتوصيني بتعجيله اتم وصيه
واشتكت علة لفقدي وقالت صر الينا ولو بغير هديه
قد لبسنا ثوب التصبر من بعدك حتى لم يبق فيه بقيه
اتشاغلت ام ملكت بمصر بطة غضة الشباب طريه
اتشاغلت عن عيون كليلات تراعيك بكرة وعشيه
فجعلت الجواب مهلا فاني عن قليل اتيك بالامنيه
بالوف تروق عينيك صفر من خمارتيه ومن احمديه

قال فلما سمعها بكى وقال والله لنصدقن ما وعدتها به ولنصدقن
ظنها بك ثم اشار الى خادم من خدمه بشي لم اعلم فمضى الخادم
ومكث غير بعيد ثم اقبل يحمل منديلا تقبيلا فقال ابو الجيش
تسلم يا مرتمي الالوف التي وعدت عجوزك الوالده بها واخذتها
وهي ثلثة الاف دينار ثم امر الخادم بشي فمضى ورجع مجلا
الي وقال ان مولانا امر لك بجارية من جواره فقبلت الارض
فقال يا مرتمي اردنا ان نحقق ما ظنت العجوز فدعوت له
واخذت ثلاث الاف دينار وجارية بجميع حليها وثيابها

ورحلها وخادمها وثلثة الاف درهم نفقة للطريق وانصرفت
غنيا الى اهلي فما امر ما كانت مكابدة الصبر وما احلى ما كانت
عاقبته فلما وصلت الى اهلي نمت تلك الليلة فبينما انا نايم واذا
بكثير المغني قد دخل علي فقمت اليه وقبلت وجهه وقلت له يا اخي
جزاك الله عني وعن اهلي كل خير فقال يا ابا محمد كيف رايت ثمرة
الصبر في اخر الامر عليك في امورك كلها بها فانه لا يحقق عليه
مبتغا ولا يخيب لك امل واعتبر بقول الشاعر

ان الامور اذا اسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومد من القرع للابواب ان يلجا
لا تياسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بامر ان ترى فرجا

ثم انصرف فاستيقضت ولم تزل وصيته والابيات
نصب عيني فالصبر لا يحتمله الا من رجا بالصبر حصول ما يتوقعه
او خاف ان لم يصبر من فوات ما يحبه كما نقل ان رجلا
كان يضرب بالسياط ويجلد جلدًا بليغا ولا يتكلم ويصبر
ولا يتاوه فوقف عليه بعض مشايخ الصوفيه فقال له اما
يولمك هذا الضرب الشديد قال بلى فقال لم لا تصيح فقال
ان في القوم الذين وقفوا علي صديقا لي يعتقد في الشجاعه
والجلاده وهو يرقبني بعينه فاخشى ان صحت ان يذهب
ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا اصبر على شدة الضرب
واحتمله لاجل ذلك ومن ذلك ما حكاه الامام ابو القاسم
العشيري رضه في كتاب التحبير عن عمرو ابن عثمان الزاهد قال
كان في اصحابي رجل فقير طال به المرض مده وهو يصبر ولا
يتكلم فدخلت عليه اعوده فقال لي يا سيدي معك
من يقول لي شيا فقلت نعم ثم اشرت الى واحد من اصحابي
حسن الصوت والانشاد فقلت له قل شيا فانشد

الضرب بالسياط

عثمان صاحب الزاهد

مالي مرضت فلم يعدني عايد منكم ويمرض عبدكم فاعود
واشد من مرضي على صدودكم وصدود من اهوى علي شديد
فطرب الفتى ولم يزل يستعيد مني النشيد واخذه الوجد
فصاح ورفع طرفه الى السما وقال الهي علمت صبري على
ما قضيت وصدقي في صبري والان فقد فنى الصبر وطالت
المده وطلبت النفس الخروج مع شيخي واصحابي الى
مواطن عباداتك فازل عني المرض واعد الي عافيتي قال
الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السباحه كانه ما كان مريضا
فقلت لاصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة ثمرته
ومن لم يصبر في مواطن الصبر لا بد ان يجد ندامه كما نقل
عن ابي الحسن العلوي الهمداني رحه قال كنت تلميذا للشيخ
جعفر بن نصير فقال لي يوما يا ابا الحسن اني قد حصل لي
خاطرا اريد ان اقعد في مراقبة قلبي ومحاسبة نفسي ثلثة
ايام ولياليهن فتصبر معي فقلت كرامه فقعد وقعدت
معه يومين فلما كان اخر النهار جا ولدي وقال قد اشترينا
طيرا سمينا وقد عملناه في التنور وتحته جوادب فتقوم
تجي الى البيت لاجل ذلك فقمت معه فقال الشيخ الى اين قلت
ان ولدي قد طلبني لحاجة قد عرضت ما يمكنني ان اصبر عنها ثم تركته
ولم اصبر معه واتيت البيت وبت عند اهلي وقلبي معلق بما
في التنور فلما كان بكره اخرج الطير من التنور فوضع بين يدي
وباب الدار مفتوح فدخل كلب وسلب الطير وعدا فعدت
الجاريه خلفه فتعثرت بالجوادب فبددت القدر فقمت
بسرعه لاتناول القدر قبل ان ينصب جميع ما فيها فاحترقت
يدي وندمت على ما فعلت فعدت الى الشيخ ابي جعفر فلما راني
قال لي انظر عاقبة من لم يصبر كيف يسلط عليه كلب توذيه وبان

يحترق

ابي الحسن مع شيخه ابن نصير

يحترق يده وانها لاهون من نار الاخره وفي هذه الواقعه
تنبيه على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى به دليلا على تطرق
الندم الى من لا يصبر ولقد احسن القايل حيث يقول
على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ويحمد منه الصبر فيما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره لقد قل مما يرتجيه نصيبه
تذكره نافعه وتبصرة جامعه قيل ان رياضة النفس بنور
العقل يورث التنزه في رياضة عاقبة الصبر فمن تفوق
شرابها جرعه ناله في الدنيا علو القدر وفي الاخره مرجو الاجر
وقد جرت ادوار الاقدار بما يستحل عند حاكم التجربه حقيقة
هذا الامر فان يوسف الصديق صلعم وعلى ابايه لما صبر واتقى
علا في معارج العلا ومدارج الالا وارتقى ووصل الى فلك
الممالك الفاخره وظلل الارايك بالاخره في اشرف مرتقا
حتى قيل له لما اشتدت مرامي امره واسدت نواحي ازره
وامتدت في النواحي والاقطار منوهات ذكره وازدنت
الاكره بالمساحي من الجهات الى عمارة ريف مصره بم نلت
الملك ودانت لك الامور ودلت لديك العظما وخضعت
لك الفراعنه واطاعك من عصى على من سواك فقال ما معناه
نلت ذلك بصبري على غيابة الجب وضيق الحبس وفراق
الالف والبعد عن الوطن هدايه واضحه وبدايه صالحه
الصبر وان امرت موارده فستحلوا مصادره وان قصرت
نوادره فستعلوا اواخره وكم من صابر ادرك غاية مامولة
وبلغ بصبره نهاية سوله ومن نظر الى سر قول الله تع حيث امر
نبيه صلعم بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا
تستعجل وقف بصفا بصيرته وضيا معرفته على ما في
الصبر من موفور الفضل الوافي الوافر وما يحصل به من نور

النيل الزاهي الزاهر ولقد قال صلعم لعايشة رض يا عايشه ان
الله تعالي لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم
يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا
والنبي صلعم لما صبر كما امر اسفر وجه صبره عن ظفره ونصره
وكذلك اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين لما صبروا ظفروا
وانتصروا وقد اختلف اهل العلم في اولي العزم من الرسل علي
اقوال كثيره لا حاجة الي ذكرها كلها ولكن احسنها ما قال ابن
عباس رض وقال قتاده هم نوح وابرهيم وموسي وعيسي
عم وقال مقاتل رض هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب
ويوسف وايوب صلي الله عليهم وبيان ما صبروا عليه حتي سماهم الله
تع بسببه اولي العزم اما نوح صلعم قال ابن عباس كان يضرب ثم
يلف في لبد ويلقي في بيته يرون انه قد مات ثم يعود فيخرج
الي قومه ويدعوهم الي الله تع هكذا حتي اذا ييئس من ايمانهم
جاء رجل كبير يتوكا علي عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا ولدي
انظر الي هذا الشيخ واعرفه لا يغرك فقال له ابنه يا والدي
امكنني من العصاه فاخذها من ابيه فضرب بها نوحا عم ضربة
شج بها راسه وسالت الدما علي وجهه فقال رب قد تري
ما يصنع بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني
الي ان تحكم فاوحي الله تع اليه انه لن يؤمن من قومك الا
من قد امن لا به واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك
قال بيت من خشب يجري علي وجه الما انجي اهل طاعتي
فيه واغرق فيه اهل معصيتي قال يا رب واين الما قال اني
علي ما اشاء قدير قال يا رب فاين الخشب قال اغرس
الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعايهم وكفوا عن

ضربه

اولي العزم

نوح

ضربه الا انهم يستهزون به فلما ادرك الشجر امر بقطعها وتخفيفها
ثم قال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله علي ثلثة صور وبعث
الله تع اليه جبريل يعلمه واوحي اليه ان عجل عمل السفينه فقد اشتد غضبي
علي من عصاني فلما تجزت جا امر الله بانتصاب نوح ونجاته واهلاك
قومه وعذابه الا من امن معه وفار التنور وظهر الما علي وجه الارض
وقذفت السما بامطار كافواه القرب حتي عظم الما وصارت امواجه
كالجبال وعلا فوق اعلا جبل في الارض اربعين ذراعا وانتقم الله تع
من الكافرين ونصر نبيه نوحا صلعم بصبره وجعله الاب الثاني للبشر
وفي تمام قضيته وحديث السفينه كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا
الكتاب موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح وانتصاره
واما ابرهيم صلعم فلما كسر اصنام قومه التي كانوا يعبدونها
هموا في قتله ونصرة الهتهم ابلغ من احراقه فاخذوه وحبسوه في بيت
مظلم ثم بنوا حيرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الي سفح جبل
عال ونادي منادي ملكهم احتطبوا لاحراق ابرهيم ومن تخلف
عن الاحتطاب احرق فلم يتخلف منهم احد وفعلوا ذلك اربعين
يوما ليلا ونهارا حتي كان الحطب يساوي روس الجبال وسدوا
ابواب ذلك الحير وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها حتي كان
الطاير ليمر بها فيحترق من لهيبها وحرها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا
فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابرهيم صلعم علي راس البنيان فرفع ابرهيم
طرفه الي السما ودعا الله تع وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره
يومئذ ستة وعشرون عاما فنزل اليه جبريل عم فقال يا ابرهيم الك
حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل فسل ربك فقال حسبي منه
سوالي علمه بحالي فقال الله تع يا نار كوني بردا وسلاما علي ابرهيم
فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فاجلسه علي الارض واخرج له عين ما
عذب قال كعب ما احرقت النار منه غير كتافه واقام في ذلك الموضع

ابرهيم

سبع ايام وقيل اكثر من ذلک ونجاه الله تع ثم اهلک نمرود وقومه
باخس الاشيا وانتقم منه وظفر ابرهيم صلعم بهم فهذه ثمرة صبره
على مثل هذه الحالة العظما ولم يجزع منها وفوض امره الى الله تع وتوكل
عليه ووثق به ثم جاءت قضية ولده وامره الله تع بذبحه فقابل امره بالامتثال
وسارع الى ذبحه من غير امهال ولا اهمال وقضيته مشهوره وتفاصيل
القصة فى كتب التفسير مسطوره فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته
الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره عليه وقضاه عاوضه عن ذبح
ولده وفداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه واما

اسحق

اسحق ع م فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تع لما ابتلى ابرهيم
صلعم وامره بذبح ولده قال لولده اسحق فان اكثر اهل التفسير
على انه اسحق انى اريد ان اقرب قربانا فقم فقام واخذ ولده
والسكين والحبل وانطلقا فلما دخلا بين الجبال قال له ابنه اين
قربانک يا ابه قال ان الله تع قد امرنى بذبحک قال يا ابت
افعل ما تومر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا ابت اشدد
رباطى حتى لا اضطرب واجمع ثيابک حتى لا يصل اليها رشاش
الدم فتراه امى فيشتد حزنها واسرع امرار السكين على حلقى ليكون
اهون الموت على واذا اتيت امى فاقرا عليها السلام منى فاقبل
ابرهيم صلعم يقبله ويبكى ويقول نعم العون انت يا بنى على امر الله تع
قال مجاهد لما امر السكين على حلقه انقلبت فقال ما لک يا ابه قال
انقلبت السكين قال اطعن بها طعنا قال السدى جعل الله تع
حلقه كصحيفة من نحاس لا تعمل السكين فيه شيا فلما ظهر منهما صدق
التسليم نودى يا ابرهيم هذا فدا ابنک فاتاه جبريل صلعم ومعه
كبش املح فاخذه واطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم حصل
لاسحق ببركة هذا الصبر على هذا البلا المبين ان جعله الله تع نبيا
وبشر ابرهيم بذلک فقال عز وجل فبشرناه باسحق نبيا من الصالحين

يعقوب
يوسف

واما يعقوب صلعم لما ابتلى بفقد ولده وذهاب
بصره وشدة حزنه قال فصبر جميل وكذلک يوسف
ع م لما ابتلاه الله تع بالقايه فى ظلمة الجب وبيعه كما
يباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه
فيه بضع سنين وانه تلقى ذلک كله بصبره وقبوله فلا
اورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدره بالملک

ايوب

فى الدنيا مع ملک الاخره واما ايوب ع م فانه
ابتلاه الله بهلاک اهله وامواله وتتابع المرض المزمن
والسقم المهلک حتى افضى امره الى ما يضعف القوى البشريه
عن حمله ونذكر شيا مختصرا من ذلک وهو ان ملکا من
ملوک بنى اسرايل كان يظلم الناس فكلمه فى الظلم جماعه
من الانبيا وسكت عنه ايوب ع م لاجل خيل كانت
لايوب فى مملكته فاوحى الله تع الى ايوب تركت كلامه
لاجل خيلک لاطيلن بلاک فقال ابليس لعنه الله يا رب
سلطنى على اولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته
من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها
جميعها فقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زروعه
وجنانه فاحرقوها وبعث بعضهم الى منازل ايوب
وفيها اولاده وكانوا ثلثة عشر ولدا وخدمه واهله
فزلزلوا فهلكوا ثم جا ابليس الى ايوب وهو يصلى
فتمثل له فى صورة قيم من غلمانه فقال يا ايوب انت قايم
تصلى ودوابک ورعاتک قد هبت عليها ريح عظيمه
وقذفت الجميع واحرقت زروعک وانهدمت منازلک
على اولادک واهلک فهلک الجميع ما هيدة الصلاه
فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى رزقنى ذلک كله ثم قبله

منى وقام الى صلوته فرجع ابليس خايبًا فقال يارب
سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخت
ولازال يسقط لحمه من شده البلا الى ان بقى امعاوه
تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض امره الى الله تع
وكان الناس قد هجروه والقوه خارجًا عن البيوت
من نتن ريحه وكانت زوجته بنت ابن يوسف الصديق ع م
قد سلمت فتتردد اليه تتفقده فجاءها ابليس يومًا فى صورة
شيخ ومعه سخله وقال لها ليذبح ايوب هذه السخله
باسمى وقد يبرى فجاءته فاخبرته فقال لها ان شفانى
الله لاجلدنك مايه تامرينى ان اذبح لغير الله فطردها
عنه فذهبت عنه فبقى ليس له من يقوم به فلما راى انه لا
طعام له ولا شراب ولا احد من الناس خر ساجدًا وقال
الهى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فلما علم الله منه
ثباته على هذه البلوى طول هذه المده وهى على ما
قيل ثمانية عشر سنه وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما
شكى الى مخلوق ما نزل به عامله تع بالطافه عليه فقال
عز وجل فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم
رحمة من عندنا وافاض عليه من نعمته ما انساه بلوى نعمته
ومنحه من اقسام كرمه ان افتاه فى يمينه لتحلة قسمه
وجمع له بين فتياه ومدحه فى نص الكتاب فقال تع وخذ
بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب فلو لم يكن الصبر من اعلى المراتب
واسنى المواهب واهدى المذاهب لما امر الله تع به
رسله ذوى الحزم وسماهم بنسبة صبرهم اولى العزم
وفتح لهم بصبرهم ابواب مرادهم وسولهم ومنحهم من

لذته

لذته غاية مرامهم ومامولهم فما اسعد من اهتدى بهدايهم واقتدى
بهم وان قصر عن مداهم اشاره مستعذبة المجانى وعباره مستغربة
المعانى قيل العسر يعقبه اليسر والشده يعقبها الرخا والتعب
يعقبه الراحه والضيق يعقبه السعه والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى
الامر تنزل الرحمه فالموفق من رزق صبرًا واجرًا والشقى من ساق اليه
القدر جزعًا ووزرًا ومما شنف السمع من نهج هذه الاشاره والحف
النفع فى نهج هذه العباره ما روى عن الحسن البصرى انه قال
كنت بواسط فرايت رجلا كان قد نبش من قبر فقلت ما ذاك
يا هذا فقال اكتم على امرى حبسنى الحجاج من ثلث سنين فى اضيق
حال وانا مع ذلك كله صابر لا اتكلم فلما كان بالامس اخرج جماعه
كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض اعوان السجن ان غدًا
يضرب عنقى فاخذنى حزن شديد وبكا مفرط واجرى الله على
لسانى فقلت الهى اشتد الضر ونفد الصبر وانت المستعان
ثم ذهب من الليل اكثره فاخذتنى غشيه وانا بين اليقظان والنايم
اتانى آت فقال لى قم وصل ركعتين وقل مثلما اقول يا من
لا يشغله شان عن شان يا من احاط علمه بما درا وبرا انت عالم
بخفيات غيوب الامور وتحصى وساويس الصدور وانت
بالمنظر الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوًا كبيرًا يا غياث
اغثنى وفك اسرى واكشف ضرى فقد فقد صبرى فقمت
وتوضات فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم
يختل على منه كلمه واحده فلم اتم القول حتى سقط القيد من رجلى
ونظرت الى ابواب السجن فرايتها قد تفتحت فقمت وخرجت
ولم يعارضنى احد فانا والله طليق الرحمن واعقبنى الله بصبرى
فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانطلق يقصد
الحجاز خاتمه لهذا الباب الفقر المرصوعه والدرر المسموعه من

صبر على ما يكره ولم يجزع كبت عدوه وسر صديقه ومنها من صبر
على عدوه الى ان يلوح له الفرصه عليه امكن نفسه من الانتقام منه
واستيصال ساقيه وقطع دابره ومنها من استعجل في امر يحاوله
كان جديرًا ان لا يناله وجديرًا ان ناله ان لا يدوم له فان العجلل
يلأم العجل ومنها يجب على الملك ان لا يعجل في الانتقام ممن
سعى به اليه حتى يكشف عن اعراض السعاه وما حملهم عن السعايه فرب
عدو يضع زورًا ويلقيه الى مسامع الملك ليسلطه على المكذوب
عليه ومنها الصبر والتثبت حسن وهو في الملوك احسن والسرعه
والاستعجال في الانتقام قبيح وهو في الملوك اقبح لاسيما اذا كان
في امر لا يمكن تداركه ومنها كم من صبر افضى بصاحبه الى جذل وسرور
وكم من استعجال اشرف بصاحبه على هم وندامه وعنوان ذلك ان
الصبر يتوقع خيرًا والمستعجل يتوقع ذللًا

الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه

وذم الكفران وقبحه لما كان الشكر عظيم الموقع وافر الحظ وافي
المكانه موجبا للزياده في النعم المشكوره امر الله تع في كتابه العزيز
بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قايل اذكروني اذكركم واشكروا لي
ولا تكفرون وقال سبحانه وتعا لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم
ان عذابي لشديد وقال تع ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
وقال تع وسيجزي الشاكرين وروي عن النبي صلعم لما قام في
الصلاه حتى تورمت قدماه قيل له ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال افلا اكون عبدًا شكورا والشكر المتعارف بين
الناس هو اظهار النعم والتحدث بها وبسط اللسان بالمحمده
والتعظيم للمنعم بها والتنويه بذكره ورفع قدره وقد انعقد
الاجماع على وجوب شكر المنعم عقلا وشرعا وان من انعم عليه
واحسن اليه ولم يمدح المنعم ولم يشكر المحسن لجدير ان يحكم عليه

بلومه وخساسته وان يسلب النعم او تنقطع عنه موادها فلقد
انصف بعض بني اميه حين سيل فقد زوال ملكهم وانقراض
سعاداتهم وانقضا دولتهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف
بكم والبلا النازل عليكم فقال قلة شكرنا الله تعا على ما انعم
به علينا واشتغالنا بلذاتنا عن النظر بمصالحنا وتفويضنا
امورنا الى من لا دين له ولا امانه فيه وظلم نوابنا لرعايانا
لغفلتنا عنهم ففسدت علينا النيات واختلف علينا الجند
لقلة عطاهم واستدعاهم اعداونا فاجابوهم واعانوا علينا
واسترت عنا الاخبار لقلة الانصار فآل امرنا الى ما آل
ومما يعم نفعه ويعظم في هذا المقام وقعه ويروق لذوي الافيده
المستيقظه سمعه ما قيل في حديث المحدث الموب عن بعض
عظما المغرب حين نمت نعمته واتسعت بسطته وامتدت
مدته ونفذت في دولة مخدومه كلمته فقال له يوما بعض من
له جراة في سواله ومعرفة تقديم حاله وافلاله ما الذي
اوصلك الى التقرب من الملك والتقرب في انواع نواله
وافضاله حتى الحقك في احسانه اليك وانعامه عليك بخواص
اهله واله فقال ما معناه اعلم انه لما امحل هذا الصقع
في تلك السنه التي سمعت بها عم القحط واضطرب الناس
واشتدت الازمة وضاق الامر وكثر الجوع وقل المسعد واستوي
في الشده المقل والمكثر ونفدت ذخاير الاغنيا وسحبت
المنيه ذيل الهلاك على الضعفا بقيت انا واهلي اياما في
قبضة الحاجه والقله فدعت الضروره الى ان كتبت الى الملك
ورقة لطيفه وكان ذا ميل الى الفضل ورعايه لاهل العلم
وبعثت بها اليها وصورتها هذه لقد عرضت فاقه اسقطت
ردا الحيا عن منكب الحريه وانطقت لسان التعفف على

خلاف العاده بالمسيئله واحوجت اهل الصيانه الى تحمل ذل
الابتدال وقد وقع فى الانفس ان فى رافة الملك وبره ما يكشف
ضرا ويسترق حرا ويستوجب على الابد حمدا وشكرا فامنن بما
يغنى ويتمرد ايما حمدا يدوم على مدا الايام فلما وقف عليها وقعت
منه بموقع فارسل غلاما على يده ما دفع الحاجه وسد الخله فكتبت
على يد الغلام كلاما كثيرا منثورا واعقبته بهذين البيتين

شكرتك عنى كل قافية تختال بين المدح والغزل
فلقد ملأت بما مننت به كف الرجا وناظر الامل

فلما وقف عليها اطربته وقال هذا الرجل اهل للاحسان اليه فانه
اذا كان شكره للقليل من يدنا هكذا فكيف اذا الحصناه بانعامنا
والحقناه بخواصنا فاستدعانى وخصنى بلطايف بره وفعل بى
ما هذا الذى رايته بعض اثره على وجدير ممن شكر ان يشمله المزيد
ومن دعا الاحسان ان يبلغ فوق ما يريد فان رب العالمين
جلت قدرته وتعالت عظمته مع استغنايه عن الناس فلا
ينفعه كثرة شكرهم ولا تضره زيادة كفرهم قد بذل المزيد
لمن شكر واوعد العذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه لين
شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان عذابى لشديد فما ظنك
بالانسان الذى يستميله نشر الشكر والدعا ويطربه ذكر الحمد
والثنا وتنفره جحود ما جاد به من النعما ويتاثر باثر مظهر
اثره على بشرته بهذه الاشيا وكان الشكر اذا نطق به المنعم
عليه من العبيد والاتباع والاماثل والاشياع يقضى لهم بزيادة
الحبا وادامة الاحسان على الانا ولذلك اذا راى الملك
او السيد او المنعم بعض اصحابه وخدمه وحاشيته وحشمه قد
اسفر وجه صبحه عن نصحه واضا زناد نجحه وقدحه فحمده على حسن
صنعه ومدحه بالقيام بما فى جهده ووسعه فانه بهذا القول

البسير

البسير يسترق رقاب الاحرار ويستجد من مناصحتهم اخلاصا
فى الاعلان والاسرار حتى يهون عليهم فى تحصيل مراده ركوب
الشدايد والاخطار وتستهل عندهم مكابدة الصعاب لنيل
ماله من المقاصد والاوطار كما قيل عن المهلب بن ابى صفره لما كان
فى قتال الازارقه وكان معه من اهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب
يوما ومعه اولاده فقال لابنه يزيد يا بنى تقدم الى هذه الطايفه من
الازارقه فاكفنى امرها فاخذ يزيد جماعه وتقدم فلما التقيا الجمعان
كان مع يزيد الحرث بن يربوع من وجوه كنده فنكا الحرث من
الازارقه نكاية عظيمه وابلاهم بلاء حسنا والمهلب واقف ينظر
الى صنعهم ويتعجب من شهامة الحرث وفعلاته دون الباقين
فلما جا الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحرث
فلما راه المهلب زاد اكرامه وقال يا حارث مثلك من يسدى اليه
المعروف ويستندب لدفع الكريهه فلقد بيضت وجه قومك
وصدعت بصحة نسبك وصدقت المخيلة فيك وارضيت
ربك فى دينه واميرك فى نصرته قال الحرث فلما سمعت
هذا القول من المهلب قوى حرصى على القتال وهان على القا نفسى
فى غمرات الموت بين يديه فلما اصبح ركب ابنه يزيد واصحابه
فجمعت عشيرتى واخذت عليهم مواثيق الموت او الظفر فلما التقى
الجمعان صيحت عشيرتى وحملت بهم فلا والله الا ان هزمناهم
واوقعنا السيف فيهم وغنمنا هم والمهلب ينظر فلما اتينا
بالغنيمه قال لى المهلب بك ولعشيرتك يا حارث كسرهم
يزيد قال لى كيف وانا واقف لكم اتحرك فقلت ذاك
الشكر منك بالامس لى والكلام الذى هو عند ذى الفطنه
واللب اعلى قدرا من الملك هو الذى اوجب ما رايت
ولولا خوف الاطاله لامليت من امثال هذه الوقايع جملا

فاضربت عند كل قضية منها لمن يتاملها مثلا وتلوت من
شواهدها ما يدل على ان الشاكر بشكره اكمل معرفة واحسن
عملا وما احسن قول القايل

اوليتني نعمًا ملكت بعضها رقي فراقت مدحتي في شكرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها

تذكره وتبصره كما ان شكر المنعم يستدر للشاكر اخلاف
الازدياد ويبعث على امداده بمعاودة الاسعاف
والارفاد فكذلك كفران النعم يعرضها للزوال والنفاد
ويلبس جاحدها لباس سو السمعة بين العباد وقديما خص
بالازدياد من شكر وحل الانتقام بمن كفر وفي قصة مكة
حرسها الله وحال اهلها عبرة لمن استبصر وموعظة لمن تذكر
وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما افاض عليهم سوابغ نعمه
وجعلها بلدا امنا وشرفه فوسمه بحرمه ومنحهم من لطايف رفده
فضلا ومنا واوسع غاية مرامهم استغناء وامنا وقال في
كتابه العزيز اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا
من لدنا ثم بعث نبيه ورسوله محمدا صلعم رسولا من انفسهم
فدعاهم الى الايمان وتلا عليهم ايات القران وامرهم بالمعروف
ونهاهم عن المنكر وحرصهم على صلة الرحم وحثهم على مكارم الاخلاق
فكذبوه وكفروا النعمة التي انعم الله عليهم بها فسلط عليهم انواع
الانتقام وضرب بهم المثل لذوي الافهام فقال سبحانه وتعالى
وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمينة ياتيها رزقها رغدا
من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون وفي هذا تنبيه لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد ومما ينقل من الحكم

المطربه والكلمات الماثورات عن ذوي التجربه ان من
قابل النعمه عليه بكفرانها وجازى المحسن بالاساة فقد
استفتح باب سخط العزيز ذي الانتقام ولقد بلغني
ان الخليفه المنصور امير المومنين لما احسن الى عبد الجبار
وولاه الامرة بخراسان وناط بيديه ازمة امرها وفوض
اليه قليلها وكثيرها وافاض عليه من نعمه ما شهدت به
السبير ونشرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن
سبيل شكرها واغراه باتباع هواه فارداه في هوة
كفرها فكتب صاحب خبر المنصور اليه بما شامه من برق
عبد الجبار ولمحه من صفحات وجهه وسمعه من فلتات
لسانه فضاق المنصور بذلك ذرعا وعظم لديه وقعا
واثار اضطرابه منه في وجه كيفيه عمله نفعا وعلم ان الانتقام
نازل بمن كفر النعمه وان كان اشد قوه واكثر جمعا فاستحضر
في الحال لديه من هو موثوق بديهته من الكبرا ومرموق
بعين الاصابه عند اشتباه الاراء ومنزه عن مواقف
التهم بمتابعة الاهوآء ومطلع بنور البصيره على معالجة
معضل الادوا وقديما قيل من استضا بنور الاراء
في ظلمات الخطوب يهدي الى الظفر بالمرغوب والنجاة
من المرهوب فلما اطلعهم الخليفه المنصور على ما طولع
به من كفران عبد الجبار لاحسانه وتغييره عما كان عليه
من انقياده للطاعه واذعانه وتنكره على من عنده
من انصار المنصور واعوانه واستشارهم في كيفيه
استدراجه لحضرته قبل ان يجاهره بمخالفته وعصيانه
فما منهم الا من استنزل من سماء فهمه صيب صوابه
ونقل بيد فكره وترويه خفايا خفايا به والخليفه يسمع ما يلي

عبد الجبار بن عبد الرحمن يزيد بن عبد الملك

المنصور مع عبد الجبار

كلامهم لا يزيد على ان يسمع ويرى وتنجز سهام افهامهم
ليختار الشد مما في اصابة مقتل ما قد عرى فلما نقلوا اكابر
الافكار وخرجوا من عهدة الامانة الواجبة على المستشار
حمدهم على نصحهم واذن لهم في الانصراف وقد علق بقلبه
مقال واحد منهم يعرف بابي ايوب الجوزي فانه استصوب
تدقيق فكرته واستعذب تحقيق مشورته فاستحضره
وحده وقد حسنت فيه نوادر عقيدته فلما حضر استعاد
منه مقالة وساله عما كان قد ذكره وقاله فقال يا امير
المومنين بادر الان بالكتاب الى عبد الجبار واعلمه بانك
تريد الغزو الى الروم وقد استدعيت الجنود من جهاتها وامره
ليوجه اليه جيش خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا منه
وانصرفوا عنها سير من شئت الى عبد الجبار يحضره فما يقدر على
الامتناع وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى
عبد الجبار بتلك الصورة فاجابه عبد الجبار عن كتابه بان الترك
قد جاست وهي مجاورة لخراسان فان فرقت الجنود ووجهت
العساكر منها الى حضرة امير المومنين ذهبت خراسان فلما وصل
كتاب عبد الجبار بذلك استحضر المنصور ابا ايوب والقى
اليه كتاب عبد الجبار فقراه وعلم ما قصده فقال للمنصور يا امير
المومنين الان قد امكنك الله منه اكتب الان اليه ان خراسان
اهم عندي من غيرها وحيث قد ذكرت عن الترك انهم قد
جاسوا فحفظ خراسان متعين علينا وانا موجه بالجنود
اليك ليكونوا بخراسان عندك تستعين بهم لحفظها ثم
يجهز الامير الجنود ويسيرها الى خراسان فان بدا من عبد الجبار
خلاف اخذوه بعنقه فكتب المنصور الكتاب وسيره فلما وصل
كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره فكتب الى المنصور

ان

ان خراسان لم يكن قط اسوأ حال منها في هذا العام فان دخلها
الجند هلك اهلها لضيق ما هم عليه من غلا السعر فلما اتى المنصور
كتاب عبد الجبار قراه ودفعه الى ابي ايوب فلما وقف عليه قال
يا امير المومنين ان هذا الرجل قد ابدا صفحة الخلاف وتقمص
بلباس كفران النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمد المهدي
واصحبه العساكر وقدم لمحاربته حازم بن خزيمة فتوجه محمد المهدي
بالعساكر فنزل بنيسابور وتوجه حازم بن خزيمة الى عبد الجبار
وهو يومئذ بمرو الروذ فبلغ ذلك اهلها وعلموا كفران عبد
الجبار لنعمة المنصور ومخالفته له فخاف منهم فهرب واختفى
فطلبوه حتى ظفروا به واسروه وسلموه الى حازم فالبسه مدرعة صوف
واركبه على جمل ووجهه الى ذنب البعير وسيره الى المنصور ومعه ولده واصحابه
فلما وصل هو وولده واصحابه المساعدون له على كفران النعمة وجحود
الاحسان والمجاهرة بالمخالفة والطغيان صب المنصور عليهم انواع
العذاب والانتقام ثم في اخر الامر امر بقطع يدي عبد الجبار ورجليه
وضرب عنقه واشهار ذلك ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران
وجازى بالاساءة على الاحسان ومما قيل من الحكم الحسان
النازلة في جيد الزمان منزلة قلائد العقيان منها اشكر
لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا
شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت ومنها شكرك من
اولاك ما يستقل لك تبعته على ان يمنحك ما يستكثر في حق
امثالك ومنها من خطب النعم بالشكر نكحها بالدوام
والعاقل من يرغب في الشكر ويبذل امكانه في امتنانه
ويراه افضل ما يقتنيه من ذخايره ومنها من رفع عن الناس
بترك بره وكفاهم مونة شكره واراحهم باهماله من تلاوة
حمده فقد يئس من مكارم الاخلاق كما يئس الكفار من اصحاب القبور

ومنها النعم رزق بديمه الشكر والشكر موهبه يهدي اليها العقل
والعقل فطنه يوقظها التوفيق والتوفيق عنايه ربانيه يمنحها
الله من يشا من عباده فمن زال توفيقه فقد عقله ومن فقد
عقله فقدت موهبته ومن فقدت موهبته قل شكره ومن قل
شكره حرم رزقه فهذه فقر فايقه ودرر رايقه

الباب الرابع في المشوره

من شرف المشاوره وعموم نفعها وعلو درجتها وعظيم
وقعها ان الله تعالى امر نبيه صلعم بها مع استغنايه عنها
فقال تعا وشاورهم في الامر وقال تعا يمدح من وصفهم
في كتابه بصفات حميده لا يجوزها الا الموفقون والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلوه وامرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون فجعل امرهم شورى بينهم وكفى ذلك
في فضيله المشوره دليلا والى نهج فضلها سبيلا وقد قال صلعم
في مواطن كثيره لاصحابه اشيروا علي وسيل صلعم عن الحزم
فقال ان يسترشد وقال صلعم ما خاب من استخار ولا ندم
من استشار وقال صلعم ما شقي عبد بمشوره ولا سعد
باستغنا راي وفي التوراه من لم يستشير في امره يندم
وقال ابو هريره رض ما رايت احدا اكثر استشارة لاصحابه
من النبي صلعم وقد شاور اصحابه في قصص كثيره وقضايا
معدوده منها لما اراد مصالحة عيينه بن حصن والحرث
ابن عوف حين قصده الاحزاب يوم الخندق على ان يعطيهم
ثلث ثمار المدينه ويرجعان عنه بمن معهما من غطفان قال
صلعم حتى اشاور السعود يعني سعد بن معاذ وسعد بن عباده
وسعد بن فزاره فشاورهم فاشاروا ان لا يعطوه شيا
فعمل بمشورتهم وكمشتشارته في اساري بدر فاشار ابي بكر

بالفدا

بالفدا واشار عمر رض بالقتل فعمل صلعم براي ابي بكر ومنها
لما نزل صلعم ببدر بادنى ماء هناك قال له الحرث بن المنذر
يا رسول الله ارايت هذا المنزل منزل انزلكه الله تعا ليس لنا
ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو الراي والحرب والمكيده
فقال الحارث ان هذا ليس بمنزل فانهض يا رسول الله
بالناس حتى ناتي ادنى منزل من القوم فننزل على ماية ثم
نعود ما نزواه من القليب والابار ونعمل لك حوضا فنملاه ما ثم
نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال النبي صلعم لقد اشرت بالراي
فنهض صلعم ومن معه حتى اتى ادنى ماء من القوم فنزل عليه وفعل ما
اشار به الحرث بن المنذر وقال امير المومنين علي بن ابي طالب ع
في المشوره سبع خصال استنباط الصواب واكتساب
الراي وتحصن السقطه وحرز من الملامه ونجاة من الندامه
والفة القلوب واتباع الاثر وقال لقمان لابنه يا بني اجعل
عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجه الى فعله فقال يا ابة كيف
اجعل عقل غيري لي قال تشاوره في امرك وقال اذا استخار
الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد في رايه فقد قضى ما عليه
ويقضي الله في امره ما يحب وقيل للاحنف بن قيس باي شي
يكثر صوابك ويقل خطاوك فيما تاتيه من الامور وتباشره من
الوقايع فقال بالمشورة لذوي التجارب ومخض زبدة الاراء
تهذيب واضح وتنبيه لايح بلغ من واردات الحكم ومنذ ما
عن اكبر اساطين الحكمه ومورد ما ما بال العاقل ذي اللب مشورته
على نفسه تقصر به عن اصابه الصواب ومشورة غيره له يظفره بذلك
فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة بالهوي ومشورة غيره
له سالمه من ذلك ولا اصابة مع الهوي وقديما قيل سبعه لا ينبغي
لذي لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراي وجبان

وبخيل وذو هوي فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والجبان
من رايه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رايي له في غيره
وذو الهوى اسير في هواه فهو لا يقدر على مخالفته ومما يقطع بصحة
هذا المقال وصدقه وتطلع انوار تحققه من مطالع افقه ان رسول
الله صلعم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل
واحد منهما صارفا عن الحق المبين وواقفا في وجه السنن المستبين
اشاره عزيزه وعبارة عزيزه لابد في اهلية المشوره من صفا
فكره وضياء حس وجودة فهم وقوة نفس وسبق تجربه وصحة
حدس واطلاع على مختلفات الامور واجتماع ديانه ومروه
تمنع من مقاومة المحذور ومقارنة قول الزور فاذا حصلت هذه
المزايا اطلعه الله بنور البصيره على ما ورا الحجاب المستور فاصاب
عند مشورته بصدق فكرته مواقع المقدور وحصل بالعمل بما شا
ربه خروج من الظلمات الى النور وشفا لما في الصدور ومما قرع
المسامع واطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بان المهتدي
بنور الاستشاره مصيب لسوا السبيل وكيف يضل من بين يديه
من اتباع الشرع وضيا العقل اوضح دليل وتلخيص القضيه بعد
افراغها في قالب الاختصار وابلاغها من البيان مستحقها مع
مجانبة الاطناب والاقتصار ان الشعبي رح لما قدم به على
الحجاج في الواقعة التي اخذت فيها شيعة علي بن ابي طالب ع م
وكل من مال اليهم حين خرجوا عليه فظفر بهم فسفك وقتل وهتك
وانتهك واستباح المحظور وارتكب من النكال ما جاوز حد
الانتقام وكان من يتعذر اليه في موافقتهم وليس منهم يقبل
عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحجاج صديقا
لي فقال يا شعبي اعتذر اليه عساك تنجو من اذاه فحدثتني
نفسي ان اختلق اعذارا يقبلها فلما كان الليل ظننت على اقوام

الشعبي مع الحجاج

اعرفهم لي في ارايهم حسن ظن وعلى عقولهم اعتماد فقلت لهم ما
تشيرون علي فغدا يبدا بي الحجاج في اول مجلسه فاتفقت اشارانهم
مع اختلاف عباراتهم على ان الصدق اولى ما نطقت به واعتمدته
معه فلما اصبحت وادخلت عليه سلمت عليه بالامره وقلت له اصلح
الله الامير ان الاعتذار بغير ما يعلم الله انه الحق القبيح عند من هو
دون مكانتك وايم الله لا اقول في مقامي هذا الا الحق والصدق
لقد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقويا الفجره ولا بالاتقيا البرره ولقد
نصرك الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت
فبحلمك والحجة لك علينا فضحك الحجاج بعد قطوبه وسكن
بعد وثوبه وقال انت احب الينا قولا بصدقك ممن يدخل علينا
وسيفه يقطر من دمائنا ويعتذر ويقول ما فعلت ولا شهدت
انت امن يا شعبي فقلت ايها الامير اكتحلت بعدك السهر واستشعرت
الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم اجد بعدك خلفا فقال صدقت
فطب نفسا وابسط املا فخرجت وقد امنت ببركة المشوره
واستعمال الصدق وقديما قيل من اعرض عن قبول قول المشير
الا واستغشى لباس الندم على التقصير وقد قيل ما ضل من
استخار ولا زل من استشار وقد نقل ان ابن عباس رضهما
قال لما قتل طلحه بن عبد الله رض وقد وقعت تلك الوقعه المشهوره
خرج علي رض راكب بغلة رسول الله صلعم والكراهة تبين في
وجهه فقال رحم الله عمي العباس كانما كان يطلع على الغيب من
وراء ستر رقيق صدق والله ما نلت من هذا الامر شيا الا بعد
شر لا خير معه فقلت يا امير المومنين لو قبلت مشورته لاسترحت
فقال وكان امر الله قدرا مقدورا قال ابن عباس فسالني
بعض اصحابه عن مشورة العباس فقلت قعد العباس وعلي
رض في ايام عثمان فقال لعلي يا بن اخ كنت اشرت عليك

مشورة العباس

باشيا فلم تقبل مني قال فرايت في عاقبتها ما كرهت وها انا اشير
عليك يا ابن اخ فان كنت تقبل والا انا لك ما تكره كنت اشرت
عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تساله ان
كان هذا الامر فينا اعطانا وان كان في غيرنا اوصى بنا فقلت
ان منعناه لم يعطناه احد بعده فمضيت تلك ثم لما قبض رسول
الله صلعم جا ابو سفيان ابن حرب تلك الساعه فدعوناك وقلت
لك ابسط يدك نبايعك فانا ان بايعناك لم يختلف عليك مثلي
فيه وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قريشي وان
بايعتك قريش لم يختلف عليك العرب فقلت في جهاز رسول الله
صلعم شغل ولن يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفه
فقلت ما هذا يا عم فقلت لك ما دعوناك اليه ثم لما طعن عمر رضه
اشرت عليك ان لا تدخل نفسك في الشورى فانك ان اعتزلتهم
قدموك وان ساويتهم لم يقدموك فدخلت معهم فكان ما رايت
وها انا اقول لك الان ارى هذا الرجل يعني عثمان بن عفان رضه
ياخذ في امور وكاني بالعرب قد سارت اليه حتى ينحروه كما ينحر الجزور
والله لين كان ذلك وانت حاضر بالمدينه لترمينك الناس بدمه
ولان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيا الا بشر لا خير معه فهذا
راى العباس ومشورته ولكن حاجز القدر يمنع من العمل بهذه
المشوره ليقضي الله امرا كان مفعولا وقد كان عمر بن الخطاب
رضه يشاور في كثير من الوقايع حتى قال يوما لاصحابه اشيروا على
ودلوني على رجل استعمله في امر قد اهمني وقولوا ما عندكم
فاني اريد رجلا اذا كان في القوم وليس اميرهم كان كانه اميرهم
واذا كان اميرهم كان كانه واحد منهم فقالوا انرى لهذه الصفه
الربيع بن زياد الحارثي فنشير على امير المومنين به فاحضره وولاه
فوفق في عمله وقام فيه بما اربا على رجا عمر فيه وزاد على امله

فشكر امير المومنين عمر من اشار عليه بولاية الربيع وكان يحث
على المشوره في الامر الكبير الرفيع والحقير الوضيع وقد قيل
في ذلك من استشار فقد اعتصم من الراي بالمعقل المنيع
ومن استبد فلا يامن ان يختل مراده او يضيع وعلى الجمله
فمثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ولطالما ادرك
المستشير بغيته فالقلب يقدح العارض ولولا الاستشاره
لكان عن ادراك ماموله من العاجزين وقد ورد من مستحسنات
ما يطرب عن بعض سالكي يثرب ويعرف بالاسلمي قال ركبني
دين اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي
الى ما لا بد منه فضاقت علي الارض ولم اهتد الى ما اصنع
فشاورت من اثق به من ذوي الموده والراي فاشار
علي بقصد المهلب بن ابي صفره بالعراق فقلت له يمنعني
بعد الشقه وتيه المهلب ثم انني عدلت عن ذلك المشير الى
غيره فلا والله ان زادني على ما ذكره الصديق الاول
فرايت ان قبول المشوره خير من مخالفتها فركبت ناقتي
وصحبت رفقه في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت
دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلح الله الامير
اني قطعت اليك الدهنا وضربت اكباد الابل من يثرب
فانه اشار علي ذوي الحجى والراي بقصدك لقضاء
حاجتي فقال هل اتيتنا برساله او بقرابه او غيره فقلت
لا ولكنني رايتك لحاجتي اهلا فان قمت بها فانت اهلا
لذلك وان يحل دونها حايل لم اذم يومك ولم ايس من
غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب وادفع ما في خزانة
مالنا الساعه فاخذني معه فوجد في خزانته ثمانين الف
درهم فدفعها الي قال الاسلمي فلما رايت ذلك لم املك نفسي

الاسلمي مع المهلب

فرحا وسرورا وعادني مسرعا اليه فقال هل ما وصلك يقوم
بحاجتك فقلت نعم ايها الامير وزياده فقال الحمد لله على
نجح سعيك واجتنا ايك جنا مشورتك وتصديق
ظن من اشار عليك لقصدنا قال الاسلمي فلما سمعت كلامه
وقد احرزت صلته انشدته وانا واقف بين يديه شعر

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك اهل الارض قاطبة فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح لديه في مبتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على اهلي
وجزيت المشير بن علي خيرا وعاهدت الله تعالى انني لا اترك
الاستشاره في جميع امري مهما عشت وكم من نبيه
دهمته حادثة اظلم من الليل اذا يغشى فهدته الاستشاره
الى كشف كربته نهجا اوضح من النهار اذا تجلى فامن سربه
وزال كربه اذا سمعته المشوره قالت لا تخف انك انت الاعلى
وقد ورد من معجبات القصص ومستغربات القصص ما
يصف هذا القول بالصواب ويكشف عن وجه تصديقه
نقاب الارتياب وتقذف في نفس سامعه ان حدس
واصفه قد اصاب وان سحاب فهمه ورباب علمه قد تنزل
بالحكمة وصاب فانه قيل في مسطور السير ومزبور وقايع
العبر ما معناه ان الخليفه المنصور كان قد صدر من عمه
عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس امور مولمه لا يحملها
حراسة الخلافه ولا يتجاوز عنها سياسة الملك والايالة فحبسه
عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على
الكوفه ما افسد عقيدته فيه واوحشه منه وصرف وجه
ميله اليه عنه فتالم المنصور من ذلك وساء ظنه وتارق

المنصور مع عمه عبد الله

جفنه

جفنه وترادف خوفه وحزنه وقديما قيل من جانبه الاساءة
من جانب توقع الاسعاف كان المه اشد ونكايته قرحه
اعظم ومن اعوب قلبه استشعار زوال ملكه وتوهم تطلع
القلوب الى تدبير دماره وهلكه كان جديرا به مجانبة
الرقاد ومخالفة السهاد ومجافاة جنبه عن المهاد واعمال
فكره وتخيله في اصلاح ما عرا امره من الفساد فادت
فكرة المنصور الى امر دبره ونظر كتمه عن جميع حاشيته وستره
واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى واجراه على عادة اكرامه
واخرج من كان بحضرته ثم قال له ما معناه يا ابن العم اني
مطلعك على امر لا اجد غيرك من اهله ولا ارى سواك
مسعدا الى حمل ثقله فهل انت في موضع ظني بك وعامل
ما فيه بقا نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى
انا عبد امير المومنين ونفسي طوع امره ونهيه فقال ان
عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد ما في بعضه
ما يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا
ثم سلم عبد الله اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه
عيسى اذا قتل عمه عبد الله الزمه القصاص وسلمه الى
اعمامه اخوة عبد الله ليقتدوه به ويقتلوه قصاصا فيكون
قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما اخذت
عمي وافكرت في قتله رايت من الراي ان اشاور في قتله
من له راي عسى ان اصيب الصواب في قضيته فاحضرت
يونس بن فروه الكاتب وكان لي حسن ظن في رايه وعقيدة
صالحة في معرفته فقلت له ان امير المومنين رفع الى عمه وامرني
بقتله واخفا امره فما رايك في ذلك وما تشير به فقال لي
يونس ايها الامير احفظ نفسك تحفظ عمك وعم امير المومنين

فانی اری لک ان تدخله فی بیت داخل دارک وتکتم امره
عن کل من عندک وتتولی بنفسک حمل طعامه وشرابه
الیه وتجعل دونه مغالیق وابوابا وتجعل بین کل من هو من
بطانتک وبین المعرفه بهذا الحال حجابا واظهر الی امیر المومنین
انک انفذت امره وفعلت ما امرک به وانتهیت الی العمل
بطاعته فکانی به اذا تحقق منک ذلک وانک قتلت عمه امرک
باحضاره علی روس الاشهاد فان اعترفت انک قتلته بامره
انکر امره لک واخذک بقتله وقتلک به قال عیسی بن موسی
فقبلت مشورته وعملت بها وادخلت عمی الی خزانة فی
داخل داری وافردت له موضعا وترکت عنده ما یاکله ویشربه
ایاما واغلقت علیه ابوابا واقفالا وجعلت مفاتیحها معی
واظهرت لامیر المومنین انی انفذت امره ثم حج المنصور فلما
قدم من حجه وقد استقر فی نفسه اننی قتلت عمه عبد الله فدس
الی عمومته اخوة عبد الله وحثهم علی ان یسالوه فی عبد الله
ویستوهبوه منه واطمعهم فی اجابتهم فجاوا الیه وقد
جلس والناس بین یدیه علی مراتبهم فسالوه فی عبد الله
فقال نعم حقوقکم تقتضی اسعافکم بحاجتکم کیف وفیها صلة
رحم واحسان الی من هو فی مقام الوالد ثم امر باحضار
عیسی بن موسی فاحضر لوقته فقال یا عیسی کنت دفعت الیک
قبل خروجی الی الحج عبد الله عمی وعمک لیکون عندک
فی منزلک الی حین رجوعی فقال عیسی قد فعلت یا امیر
المومنین فقال المنصور قد سالنی فیه عمومتک وقد رایت
الصفح عنه وقضا حاجتهم وصلة الرحم باجابة سوالهم فیه
فاتینا به قال عیسی بن موسی فقلت یا امیر المومنین الم تامرنی
بقتله والمبادره الی ذلک فقال المنصور کذبت ما امرتک

بذلک

بذلک ولو اردت قتله لسلمته الی من هو بصادد ذلک ثم اظهر الغیظ
وقال لعمومته قد اقر بقتل اخیکم مدعیا انی امرته به وقد کذب علی
قالوا یا امیر المومنین فادفعه الینا لنقتله به ونقتص منه فقال شانکم
به قال عیسی فاخذونی الی الرحبه واجتمع علی الناس فقام واحد من
عمومتی الی وسل سیفه لیضربنی به فقلت یا عم افاعل انت قال ای والله
کیف لا اقتلک وقد قتلت اخی فقلت لهم لا تعجلوا ردونی الی امیر
المومنین فردونی الیه فقلت یا امیر المومنین انما اردت قتلی بقتله
والذی دبرته علی عصمنی الله منه ومن فعله وهذا عمک باق حی سوی
فان امرتنی بدفعه الیهم دفعته فاطرق المنصور وعلم ان ریح فکره
صادفت اعصارا وان انفراده بتدبیره فارق خسارا وقد ما
قیل من اتبع هواه وشرع فیما یهواه وقطع نظره عن عواقب
ما اتاه واقتنع برایه عن مشاورة من سواه کان احقاف مسعاه
اقرب الیه من ادراک ما امله ورجاه فقال المنصور لعیسی ائتنا به
فمضی عیسی واحضر عبد الله فلما راه المنصور قال لعمومته اترکوه عندی
وانصرفوا حتی اری فیه رایا قال عیسی فترکته وانصرفت وانصرف
اخوته فسلمت روحی وزالت کربتی وکان ذلک ببرکة الاستشاره
لیونس وقبول مشورته ثم ان المنصور اسکن عبد الله فی بیت قد
بنی علی الملح ثم ارسل الماء حوله لیلا فذاب الملح فسقط البیت فمات
عبد الله ودفن فی مقابر باب الشام وسلم عیسی من هذه المکیده
ومن سهام مرامیها البعیده وقد وضح من غصون هذه القضیه
وارکانها ان ترک الخلیفه استعانته بانوار الافکار وارایها
قطع عن مواد مراده ووقف فی قوی قصده واعضاده فلم تظفر
نفسه المتالمه بشفایها ولا زال عنها ما خامرها من ادوایها بما اعتمده
من طرق دوایها وان استسقا عیسی ما المشورة واستتر له من
سحاب سمایها واستضائه بنور مشکاتها فی دجی الحیرة وظلماتها

مشورة القطيعي على الامين

اروى صداه واهدى اليه هداه فجرت له الاقدار بسلامة نفسه
وبقايها ومارغب فى المشوره وعمل بها الامن غنم ولا زهد فيها
واعرض عن قبولها الامن ندم بلغنى ان امير المومنين محمد الامين
لما قصده عبد الله بن طاهر بعساكر المامون وحصر بغداد واشتد
عليه الامر وضاق بين يديه المسلك الى النجاة قال من استشار
ذا راي ومعرفه وخالفه وقع فى ما يكره وندم على التفريط فانه لما
حصل عندي من اخى المامون حالة احضرت الشيخ ابا الحسن
القطيعي وكان ذا راي ومعرفه بموارد الحوادث ومصادرها
فحادثته بامر اخى المامون وما الذي اعتمده حتى يقع فى يدى واطلعته
على حقيقة الحال واستشرته فى كيفية العمل فى ذلك فقال لي ان
استعجلت لم تنتفع براى ولا فعل وان تمهدت وقبلت مشورتي
وعملت بما اقوله تمكنت من اخيك وبلغت ما تومله وذلك انك تدعوا
حجاج خراسان اذا قدموا بغداد وتجلس لهم مجلسًا عاما وتقول لهم
ان اخى كتب الى يمدحكم ويذكر حسن طاعتكم وجميل انقيادكم وحميد
مذاهبكم ويجزيهم خيرًا وتقول قد اطلقت عنكم الخراج سنه واخوك
فى خراسان وهى بلاد رجال بلا مال وليس له فى رد قولك حيله وسينا له
من ذلك خلل عظيم حتى ينتقض كثير من امره ثم تفعل فى السنة المقبلة مثل
ذلك وتسقط عنهم خراج سنتين فان لم تاتى فى السنة الثالثة باخيك
فى وثاق والا فاضرب عنقى ان كنت حيا فخالفته وما قبلت مشورته
وعجلت الى خلع المامون وعقدت الامر لابنى حتى قد وقع ما وقع فمن
خالف المشير ندم على التقصير قيل ما معناه ان بعض صدور
العراق كان لو رق اورتبة مكانه فى دولة الخلافه وعليه من ملابس النباهه
حلة سنيه ويجله من الولايه مطيه وطيه ففوقت اليه الايام من حوادثها
سهمًا واقامت له من الحاسدين القاصدين خصما فاترم له خيل احتيا له
ليسومه باغتياله ظلما وهضما وكان قد علم ان التوفيق عهد بالاستشاره

لكن

لكن فنسى ولم يجد له غرما فاعرض عن الاستشاره فيما عراه استكبارا
ولم يرض لنفسه ان يقلد فى امره مستشارا فاهواه تهوره فى مهواه
الحيرة عشارا ولم يجد له عن دفع ما كاده به الحاسد القاصد انصارا
قال فحسنت ظهور المرامى لاسهم الرامي وضاقت عليه فى المدافعه
فسيحات المرام فاغفيت اغفاوه فرايت فى منامي انسانا واقفا
امامي وهو يقول عليك بشعر الازدي فقلت وما قال الازدى فقال
تمسك باهداب المشورة واستعن بحزم نصيح اونصيحة حازم
ولاتجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافى قوة للقوادم
فاستيقظت وقد حفظت البيتين فسالت عنها لمن هما فاخبرت
انهما للحجاجى الازدي كما قال ذلك القايل فعملت بهما فشاورت
فيما حدث واعتمدت العمل بالمشوره فاندفع عنى ما كنت اتوقعه
من الاذى المردي والتلف المتوقع فعاهدت الله تعالى ان لا
اترك مشاورة اهل الراى وذوي المعرفه فى جميع ما يعرض لي
ولزمت ذلك فرحت واسترحت قيل لرجل من عبس
ما اكثر صوابكم فى مباشرة ما تاتونه ومجانبة ما تعرضون عنه فقال
نحن الف رجل وفينا رجل حازم ذو راي ومعرفه فنحن نشاوره
فى الجليل من الامر والحقير منه ونعمل برايه وكاننا اذا صدرنا
عن رايه ومشورته فى الف حازم وجدير بالف حازم ان يصيبوا
وقديما قيل
اذا ما عرى خطب وزمت وروده فشاور فكم نجح بهذنه المشاور
وانفع لمن شاورت من كان ناصحًا شفيقا فابصر بعده من تشاور
خاتمه لهذا الباب فى الحكم المنقوله والالفاظ المقوله منها
لا معين اقوى من المشوره ولا عون انفع من العقل فالمشوره
تقوى العزم وتمنح النجح وتوضح الحق وترشد الى الاصابه وتبسط
العذر وتزحزح عن مواقف الندامه والعقل يهدي صاحبه

الى اجتنا ثمرة المشوره ومنها من استشار ذوي الراي
والمعرفه في فعل ما عناه فقبل المشوره منهم واقتدي بارايهم فيها
ولم يعدل عن قويم نهجها قل ان يخيب مسعاه وان يفوت
مطلبه فان اعجزه فهو معذور وغير ملوم ومنها من ترك المشوره
وعدل عنها لم يظفر بحاجته صار هدفا لسهام الملام ومضغة في
افواه العاذلين ومنها من فضل المشوره انها تكشف
لك طباع الرجال فمتى طلبت اختبار الرجل فشاوره في امر من
الامور يظهر لك من رايه وفكره عدله وجوره وخيره وشره ومنها
من اكثر الاستشاره لم يعدم عند الاصابه مادحا وعند الخطا عاذرا

الباب الخامس في العدل والانصاف

اي في الرعيه والظلم والاجحاف في البريه قال الله تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى الايه وقبل الشروع
في مقصود هذا الباب وكشف الغطا عن وجه المطلوب فيه لا بد
عن الاشاره الى معنى هذه الايه الجامعه لهذه الصفات الجميله
والخلال الحميده فاقول نقل عن قتاده رضه انه قال ان الله تعالى
امر عباده في هذه الايه بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفساف
الاخلاق ومذامها وقال ايضا انه ليس من خلق الانسان حسن
كان اهل الجاهليه يعملون به ويستحسنونه الا امر الله به وليس من خلق
سيء كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله تعالى عن ذلك وبلغني
ان الشعبي قال جا شتير ومسروق فقال شتير اما ان تحدث
ما سمعت من عبد الله بن مسعود فاصدقك واما ان احدث
فتصدقني فقال مسروق لا بل حدث فاصدقك قال قال سمعت
عبد الله يقول ان اجمع ايه في القران لخير او شر ايه في النحل ان
الله يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربا الايه قال مسروق
صدقت وقال ابن عباس بينا رسول الله صلعم جالسا بفنا بيته

بمكة

مكة اذ مر به عثمان بن مظعون فكشر الى رسول الله صلعم فقال له
رسول الله صلعم الا تجلس فجلس الى رسول الله صلعم مستقبله فبينا هو
يحدثه اذ شخص رسول الله صلعم ببصره الى السما فنظر الى السما ساعة
واخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الارض فتحرف رسول الله
صلعم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره واخذ ينغض راسه
حتى كانه يستفقه ما يقول له ثم شخص رسول الله صلعم ببصره
الى السما كما شخص اول مره فاتبعه بصره حتى توارى في السما
فاقبل على عثمان كجلسته الاولى فقال عثمان يا محمد فيما كنت اجالسك
ما رايتك تفعل فعلتك هذه قال وما رايتني فعلت قال رايتك
شخصت ببصرك الى السما ثم وضعته عن يمينك فتحرفت
اليه وتركتني فاخذت تنغض راسك كانك تستفقه شيئا
يقال لك قال او فطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال اتاني رسول
الله انفا وانت جالس قال عثمان رسول الله قال نعم قال فما
قال لك قال ان الله يامر بالعدل والاحسان الايه قال عثمان فذلك
حين استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا وقرا رسول الله صلعم
هذه الايه على الوليد وكان كبيرا في قريش فقال له يا ابن اخي
اعده علي فاعاده عليه فقال ان له لحلاوه وان عليه لطلاوه
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمورق وما هو بقول البشر والمراد
بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ما هو عدل والمراد بالاحسان
العفو عن الناس واسدا المعروف والمراد بايتا ذي القربى
صلة الرحم فلا يقطعها والمراد بالنهي عن الفحشا ما قبح من الافعال
والاقوال وبالمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وبالبغي الظلم
والعدوان وفي هذه الايه مقنع وبلاغ في فضل العدل وعلو
درجته وكمال منقبته والحث على اجتهاد الانسان في التحلي
بصفته وقال سبحانه وتعالى واذا قلتم فاعدلوا وقال رسول الله

صلعم عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنه
وقال صلعم احب الناس الى الله واقربهم السلطان العادل وابغضهم
الى الله وابعدهم السلطان الجاير وروي عنه صلعم انه قال
والذى نفسى بيده ليرفع السلطان العادل الى السما مثل عمل
جملة الرعيه وقال صلعم حد يقام فى الارض خير من ان تمطر
اربعين صباحًا وقال صلعم ان المقسطين فى الدنيا على منابر
من لولو يوم القيمه بين يدي الرحمن بما قسطوا فى الدنيا وروي
بلفظ اخر ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين
الرحمن الذين يعدلون فى حكمهم واهاليهم وما ولوا وروي عن
رسول الله صلعم انه قال من عبد ولاه الله امر رعيه فغشهم ولم
ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنه وقال صلعم
رجلان من امتى يحرمان شفاعتى ملك ظالم ومبتدع غال لتعدي
الحدود وقد قيل الملك يدوم مع العدل وان كان
صاحبه كافرًا وكان كسرى انوشروان يسمى بالملك العادل
ويكفيه فى الشرف والفخر وعلو الذكر والقدر ان رسول الله
صلعم سماه بذلك حيث قال ولدت فى زمن الملك العادل
ولما قيل لكسرى بما استحق الملك بهذه الصفه قال لانى
جعلت العدل اكبر همى وحملنى عليه قول الحكيم الفاضل لا ملك
الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا من البلاد ولا بلاد
الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت
عليه فامنت الرعايا وعمرت البلاد وتثمرت الاموال وكثر
الجند والامر الى ما ترى وقد نقل عن امير المومنين
على ابن ابى طالب ع م فى هذا المقام ما هو افصح وضعا وارجح
نفعا وابلغ لانواع البلاغه والفصاحه جمعا وهو قوله
عليه السلم العالم حديقه سياجها الشريعه والشريعه سلطان

بط

يجب له الطاعه والطاعه سياسه يقوم بها الملك والملك
راع يعضده الجيش والجيش اعوان يكلفه المال والمال رزق
تجمعه الرعيه والرعيه سواد يستعبدهم العدل والعدل اساس
به قوام العالم اعتبار واستبصار قيل ان عمر بن عبد العزيز
لما ولى الخلافه كتب الى الحسن البصري ان يكتب له بصفة
الامام العادل فكتب اليه الحسن اعلم يا امير المومنين ان الله تعالى
جعل الامام العادل قوام كل مايل وقصد كل جاير وصلاح
كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع
كل ملهوف والامام العادل يا امير المومنين كالراعى الشفيق
الحازم الرفيق الذي يرتاد لها اطيب المراعى ويذودها عن
مراتع الهلكه ويحبسها من السباع ويكنفها من اذى الحر والقر
والامام العادل يا امير المومنين كالاب الحانى على ولده يسعى لهم
صغارًا ويعلمهم كبارًا يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد
وفاته والامام العادل يا امير المومنين كالام الشفيقه البرة
الرفيقه بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا وسهرت
لسهره وتسكن لسكونه ترضعه تارة وتفطمه اخرى تفرح
بعافيته وتغتم لشكايته والامام العادل يا امير المومنين
كالقلب بين الجوارح يصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده
والامام العادل يا امير المومنين هو القايم بين الله وبين عباده
يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله ويريهم وينقاد لله
ويقودهم اليه فلا تكن يا امير المومنين فيما ملكك الله كعبد
ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال
وافقر اهله واهلك ماله واعلم يا امير المومنين ان الله تعالى
انزل الحدود ليزجر بها عن الخبايث والفواحش فكيف اذا
اتاها من يليها وانزل الله تعالى القصاص حيوة لعباده فكيف

اذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المقاله فلما قدم كتاب
حسن البصري على عمر رض وقع منه بموقع وعظ ومحل اليقظه
ومن مند اول الالسنه على تطاول الازمنه قولهم عدل
السلطان يقوم مقام خصب الزمان زعمت الفرس ان
فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور كان ملكا عادلا واتفق في
زمانه ان الناس قد قحطوا في ايامه سنوات متواليه حتى غارت
الانهار والعيون ومحلت الاشجار والغياض وهلكت جملة
من الوحوش والطيور وصارت الدواب والانعام لا تطيق حملا
لشدة القحط وقلة القوت فبسط من احسانه ونشر من اثار
عدله وكف عن جباية الحقوق واستخراج الخراج والمستحقات
واخرج من بيوت الاموال ما فرقه وامر باخراج ما في الاهرامات
والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستيثار به وساوى
في ذلك غنيهم وفقيرهم واخبر رعاياه انه متى بلغه ان انسانا
مات جوعا عاقب اهل تلك البقعه ونكل بهم فقيل لم يمت في تلك
المجاعة العظيمه جوعا الا رجل واحد من كورة ازدشير فقام
عدله في الرعيه مقام الخصب حتى جا الخصب وعادت السعه
ورعاياه على ما يوثرون وكان يوصي عماله فيقول سوسوا
الناس بالمعدله واحملوهم على النصفه واحذروا ان
تلبسونا جلودهم وان تطعمونا لحومهم وان تسقونا دماهم
قيل ان قيصر ملك الروم سير رسولا الى امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشاهد احواله ويكشف
افعاله ويسمع اقواله فلما وصل الرسول الى المدينه قال
لاهلها اين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا امير قد خرج
الى ظاهر المدينه فخرج الرسول في طلبه فراه نايما في الشمس
على الارض فوق الرمل وقد وضع درته كالمخده له والعرق

زعمت الفرس

رسول قيصر الى عمر

يسقط

يسقط من جبينه فلما راه الرسول على هذه الحاله وقع الخشوع
في قلبه وقال رجل يكون جميع ملوك الارض لا يقر لهم قرار
هيبة له ويكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فامنت
فنمت وملكنا يجور فلا يزال خايفا ساهرا اشهد ان دينكم
لدين حق ولولا انني رسول لاسلمت ولكنني ساعود بعد هذا
واسلم قيل من سعادة السلطان محبته للعدل ومن
علامة محبته للعدل مخالطته لاهل العلم ذوي الدين ورغبته
في محادثتهم ليذكروه بما يجب عليه من العدل الذي به
سعادته في الاخره ودوام ملكه في الدنيا وحسن سمعته
في العالم وميل القلوب اليه وجريان الالسن بالدعا له كما
نقل عن امير المومنين هرون الرشيد انه احب ان
يرى شقيق البلخي فلما دخل عليه قال له انت شقيق الزاهد
قال انا شقيق ولست بزاهد فقال اوصيني قال عليك
بالعدل فانه اول ما يطالبك الله تعالى به واعلم يا امير المومنين
ان الله تعالى اجلسك في موضع ابي بكر الصديق وهو يطلب
منك مثل صدقه واعطاك موضع عمر بن الخطاب وهو يطلب
منك ان تفرق بين الحق والباطل واحلك محل عثمان بن
عفان وهو يطلب منك مثل قيامه في الرعيه واقعدك
موضع علي بن ابي طالب وهو يطلب منك العدل والعمل
به كما يطلب منه فانظر لنفسك يا امير المومنين قال الرشيد
فانتفعت بكلامه ورسخ في نفسي منه ما نفعني الله تعالى به وقديما
نقل انه قيل ليزدجرد ملك الفرس ما الذي اوجب لملوككم
انتظام الامور ودوام السرور فقال ما معناه اننا استعملنا
العدل والانصاف فعمرت بلادنا واستعملنا تاديب
الخاين وتقريب المشفق الامين فنمى ملكنا واستعملنا الاحسا

ن

الى رعايانا ملكنا قلوبهم واستعملنا الصدق فدانت لنا
ملوك الطوايف واستعملنا مكارم الاخلاق فاكتسبنا حسن
السمعة وبقا الذكر ولم يختلف علينا من نكره اخلاقه لنا واستقام
بذلك امورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى البسيط بهذا
القول الوجيز من استعمل ذلك فقد اسعده الله بتوفيقه ولكن
التوفيق عزيز نافع وتذكار جامع قرع المسامع ان
عمر بن عبد العزيز لما آل امر الخلافة اليه بذل جهده في اقامة
العدل واستعمال القسط ودحض الظلم ومعاملة العالم
بالانصاف فكتب اليه عدي بن ارطاة كتابا مختصرا مضمونه
اما بعد فان قبلنا ناسا لا يودون ما في جهتهم من الخراج
الا ان يمسهم شي من العذاب فكتب اليه عمر اما بعد فالعجب
كل العجب من استيذانك اياي في عذاب البشر كاني
جنة لك من عذاب الله او كان رضاي ينجيك من سخط
الله فاذا اتاك كتابي هذا فمن اعطاك ما في قبله عفوا
فاقبله ومن انكر ما في قبله فاستحلفه فوالله لئن يلقوا
الله تعالى بجناياتهم احب الي من ان القى الله تعالى بعذابهم
والرواة الثقات نقلت ان مالك بن انس امام دار الهجرة
رض قال بعث الي ابو جعفر المنصور والى ابن طاووس
فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه
انطاع قد بسطت ودخلا وزراه بايديهم السيوف تضرب
رقاب الناس فاومى الينا بالجلوس واطرق عنا طويلا
ثم التفت الى ابن طاووس فقال حدثني عن ابيك قال
نعم سمعت ابي يقول قال رسول الله صلعم اشد الناس عذابا
يوم القيامة رجل اشركه الله في حكمه فادخل الجور في عدله
قال مالك فضممت ثيابي مخافة ان يملاني دمه ثم التفت

اليه

(هامش: حكاية مالك مع المنصور)

اليه ابو جعفر فقال عظني يا ابن طاووس قال نعم اما سمعت الله
تعالى يقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الى قوله
لبالمرصاد قال مالك فضممت ثيابي ايضا مخافة ان يملاني دمه
فامسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طاووس ناولني هذه الدواة
فامسك ابن طاوس ولم يناوله اياها وهي في يده فقال ما يمنعك
ان تناولني اياها فقال اخشى ان يكتب بها معصية الله فاكون
شريكك فيها فلما سمع المنصور ذلك قال قوما عني قال ابن طاووس
ذلك ما كنا نبغي وقديما قيل ما ينسب الى سقراط الحكيم
ينبوع فرح الانسان وحفظ بدنه القلب المعتدل المزاج وينبوع
فرح العالم وحفظه السلطان العادل وينبوع حزن الانسان
القلب المختلف المزاج وينبوع حزن العالم وفساده السلطان
الجاير قال هرون بن ابن محمد بن عبد الملك الزيات جلس الى
المظالم يوما فلما انقضى المجلس راى رجلا جالسا فقال له الك
حاجة قال نعم تدنيني اليك فاني مظلوم قد اعوزني العدل
والانصاف قال ومن ظلمك قال انت ولست اصل اليك
فاذكر حاجتي فقال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال
يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وقضا حاجتك اطراد
حجتك قال ففيم ظلمتك فقال في ضيعتي الفلانية اخذها
وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج اديته باسمي
لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك ياخذ غلتها
وانا اؤدي خراجها وهذا لم يسمع بمثلها في الظلم فقال له محمد هذا
قول يحتاج الى بينة وشهود واشيا فقال له الرجل ايومنني الوزير
من غضبه حتى اجيب قال نعم قال البينة هم الشهود واذا
شهدوا فليس يحتاج معهم الى شي اخر فما معنى قول الوزير
بينة وشهود واشيا ايش هذه الاشيا الا العي والحصر

(هامش: قضية المظلوم مع ابن الزيات)

والتغطرس وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال قد
صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني لاري فيك مصطنعاً
ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق كر حنطة وكر شعير وماية
دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من اصحابه
وكان قبل ان يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته
اليه يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم ولا
ينتصر وظالم ولا ينتصف فلما صار من اصحاب محمد بن عبد
الملك الزيات ورد عليه ضيعته وانصفه قال له ليلة كيف
الناس الان قال بخير قد اعتمد معهم الانصاف ودفع عنهم
الاجحاف وردت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب
وانا ارجو لهم ببقايك كل مرغوب قيل ان يهوديا
وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا امير المومنين ان بن
هرمز نايبك قد ظلمني فانصفني منه واذقني حلاوة
العدل فلم يقض حاجته ثم عاد ووقف له مرة ثانية وثالثة
فلم يلتفت اليه فقال اليهودي يا امير المومنين انا نجد في التورية
المنزلة ان الامام لا يكون شريكاً في الظلم احد حتى يرفع اليه
فاذا رفع اليه ولم يغير اشركه في الظلم فلما سمع عبد الملك
قوله فزع وعزل بن هرمز واخذ بحق اليهودي ومن
الوقايع المستحسنات ما رواه محمد بن صفوان الضبي
قال كنت اقوم على راس سليمان بن عبد الملك فدخل عليه
رجل من حضرموت من عقلايهم فقال له تكلم بحاجتك
قال من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الارادة
اوفا بكلامه على السلامة واني اعوذ بالذي اشخصني
اليك من اهلي واوفدني عليك ان ينطقني بغير الحق
وان يزلل لساني بما فيه سخطه علي وان اقتصار الخطبة

اليهودي مع ابن مروان

الحضرموتي مع سليمان بن عبد الملك

ابلغ في افيده اولي الفهم من الاطالة والتصديق في البلاغة
الا وان من البلاغة يا امير المومنين ما يفهم وان قل
واني مقتصر على الاقتصار مجانب لكثير من الاكثار
اشخصني اليك وال عسوف ورعية ضايعة وانك ان
تعجل تدرك ما فات وان تقصر تهلك رعيتك هناك
ضياعاً فخذها اليك قصيرة موجزة فقال سليمان ادع
لي رجلاً من الحرس واحمله على البريد وقل له اذا اتيت
البلاد فلا تنزل حتى تعزله ومن كانت له ظلامة اخذت
له بحقه ثم انه امر لذلك الرجل بمال فابى ان يقبله
وقال اني احتسبت سفري هذا على الله تعالى يا امير المومنين
واني اكره ان اخذ عليه اجراً من غيره فقال له سليمان
انطلق بارك الله فيك وكثر لنا من يوقظنا لاقامة
العدل امثالك فلما ولى الرجل خارجاً قال سليمان
لاصحابه ما اعظم بركة المومن في كل شي ولقد
بلغني عن احمد بن طولون قضية يوثر في النفس الزكية
سمعها ويحسن عند ذوي المعرفة والتوفيق وقعها وكان
هذا ابن طولون مبسوط القدرة على البلاد المصرية
نافذ الحكم فيها مهيباً مخوفاً يقيم سياسة الملك ويعلي
كلمة العدل وياخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه
من الجبروت المفرط والقتل المسرف وكان يجلس
للمظالم ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجماعة
من الفقها واهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب
الامام الشافعي وكان ابن طولون اذا جلس للمظالم
يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى اخره ويكشف
ظلامته ويجلسه بين يديه متقرباً منه قال احمد بن محمد

سلامه

حكاية الطحاوي مع ابن طولون

ابن سلامه الطحاوي الفقيه رحمه اعترضت لنا ضيعه
بالصعيد من ضياع جدي سلامه فاحتجت الى الدخول
اليه والتظلم مما جرى وانا يومئذ شاب الا ان العلم
ومعرفة الحاضرين تبسطني على الكلام والتمكن من الحجه
فخاطبته في امر الضيعه فاحتج علي بحجج كثيره واجبته
عنها بما لزمه الرجوع اليه ثم ناظرني مناظرة الخصوم
بغير انتهار ولا سطوه علي وانا اجيبه واحل حججه الى
ان وقف ولم يبق له حجه فامسك عني ساعه ثم قال
لي الى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك والحجه قد
ظهرت لك ولكن اجلنا ثلثة ايام فان ظهرت لنا
حجه والا سلمت الضيعه لك فقمت منصرفا فلما خرجت
من عنده قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين ما اقبح
ما اشهد لكم على نفسي اقول لرجل من رعيتي ظهرت لك
حجه انظرني الى ان اطلب حجه وابطال الحكم الذي
قد اوجبته حجتك من يمنعني اذا وجبت لي الحجه ان
احضره والزمه حكمها هذا والله والغصب واحد انتم
رسلي اليه قد التزمت حجته وازلت الاعتراض عن
الضيعه وقد قال رسول الله صلعم ان الله لا يقدس
امة لا يوخذ الحق لضعيفها من قويها وتقدم بالكتاب
اليه وعرف الطحاوي الحال من الحاضرين فذهب
الى الديوان واخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسلم
الضيعه وتسلم الضيعه وصارت هذه مثلا في
مناقب احمد بن طولون وعمله بالعدل واقامة ميزان
القسط وكان من محبته العدل واقامته واشارة
الحق وسلوك طريقته يميل الى كل من كان ذلك

من

سليم مع ابن طولون

من صفته ويقرب اليه من علم ان المحقق من خليقته حتى انه
في بعض ايامه اراد ان يحمل ما اجتمع من المال عنده الى حضرة
الخلافه فاحضر القاضي ومعه عدول يشهدون على القاضي فكتب الشهود
خطوطهم وقد عاينوا المال وكان مبلغه الف الف دينار ومايتي دينار
فلما بلغ الكتاب الى سليم وهو بعض الشهود القاه الى الخادم من يده
وقال ايها الامير لست اشهد حتى يوزن المال بحضرتي فغاظ ذلك
لتاخر الانقياد ثم قال للوزانين زنوه فلما فرغوا منه وزنا قالوا اتشهد
قال بقي النقد فدعا بالنقاد فنقدوه وسليم جالس معهم حتى فرغوا
وختمت الاكياس وتسلمها حاملوها كتب شهادته وانصرف فقال ابن
طولون مثل هذا ينبغي ان يعتمد عليه ويمال اليه فان من ظهر دينه
وامانته جدير بالامانه والعنايه وكان ذلك سببا لتقربه سليما
واعتماده عليه وتفويضه اموره اليه ومما نظمته اخبار الاخيار

عمر مع ابن عمرو بن العاص

ما رواه انس قال بينما امير المومنين عمر بن الخطاب رض قاعدا جاءه
رجل من اهل مصر فقال يا امير المومنين هذا مقام العايذ بك فقال
عمر لقد عذت بمجاله فما شانك قال سابقت على فرسي ابنا لعمرو
ابن العاص وهو يوميذ اميرا على مصر فجعل يقرعني بسوطه ويقول انا
ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرو اباه فخشي ان اتيك فحبسني في
السجن فانفلت منه فهذا الحين اتيتك فكتب عمر رض الى عمرو بن
العاص اذا اتاك كتابي هذا فاشهد الموسم انت وولدك فلان
وقال للمصري اقم حتى ياتيك فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج
وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام
المصري فرمى اليه عمر رض بالدره قال فلقد ضربك ونحن نشتهي
ان تضربه حتى اجبنا ان يتركه من كثرة ما ضربه وعمر يقول
اضرب ابن الاكرمين قال يا امير المومنين قد استوفيت واشتفيت
قال ضعها على صلع عمرو قال يا امير المومنين قد ضربت الذي

ضربني قال اما والله لو فعلت ما منعك احد ثم قال يا عمر ومتى
تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا فجعل يعتذر ويقول
اني لم اشعر فيتعين على كل عاقل ان يكف يده عن الظلم ويسلك
سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله تعالى بالسر
والعلانية ويعلم ان الله تعالى يجازي على الخير والشر ويعاقب
الظالم ومما نقل في الاثار الاسرايلية في زمان موسى عم
ان رجلا من ضعفا بني اسرايل كان له عايلة وكان صيادا يصيد
السمك ويعيت منه اطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقعت
في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فاخذها ومضى بها الى السوق
ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانيه
فراى السمكة معه فاخذها منه فمنعه الصياد فضربه بخشبة كانت
بيده ضربة موجعة واخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد
عليه وقال الهي خلقتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي
بحقي عاجلا منه فقد ظلمني ولا صبر لي الى الاخرة ثم ان ذلك
الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان
تشويها فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المايدة لياكل منها
فتحت السمكة فاها ونكزت اصبعه نكزة طارت بها قراره فقال
دواها ان تقطع الاصبع ليلا تسري الى بقية الكف فقطع اصبعه
فانتقل الوجع الشديد الى اليد وازداد التالم وارتعدت
فرايصه من خوفه فقال الطبيب ينبغي ان تقطع الكف من حد المعصم
ليلا يسري الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الشديد الى
الذي يليه فخرج هايما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف
عنه ما قد نزل به فراى شجرة فقصدها فاخذه النوم فنام
فراى في منامه قايلا يقول يا مسكين الى كم تقطع اعضاك
امض الى خصمك الذي ظلمته وارضه فانتبه من النوم وفكر

في

في امره فقال ضربت الصياد واخذت السمكة غصبا وظلما
وهي التي نكزت يدي فصاحبها خصمي فدخل المدينة وسيل
عنه وطلبه فوجده فوقع بين يديه والتمس منه الاقالة مما جناه
ودفع اليه شيا من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه فسكن
في الحال المه وبات تلك الليلة في فراشه واقلع عن خطيته ونام
على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركه الله بلطفه ورحمته
فرد يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عم يا موسى وعزتي
وجلالي لولا ان ذلك ارضى خصمه لعذبته مهما امتدت به
حياته تذكره وتبصره من استمسك بحبل حب العدل ومال
اليه سهل الله سبحانه سلوك سننه عليه واوضح بدليل التوفيق
والهداية مناهجه لديه وجعل له من عدله يوم القيامة نورا يسعى
بين يديه واكتنفه عناية ربانية تسدده في احكامه وتبصرة
بمرامي العدل لاصابة سهامه حتى يبلغ به الى ان يرى الوقايع
في منامه ويومر باقامة شريعة العدل والانصاف في احلامه
مثلما قرع الاسماع وكما اشتهر وذاع من قصة الخليفة
المعتمد على الله ابي العباس احمد بن المتوكل فانه كان يحب الارتداء
بجلباب الانصاف ويأخذ نفسه بنشر شعار العدل في الجهات
والاطراف فاطلع الله تع منه على صفا سريرته وصدق ميله
الى المعدلة في ولايته فجاه رسول الله صلعم في منامه فامره باقامة
شريعة معدلته وحذره من تاخره فيه وغفلته وهو ما نقل الثقات
ورواه النقلة الاثبات عن ابي محمد بن احمد بن حمدون قال
انصرف جلسا المعتمد على الله ليلة عنه فانصرفت الى حجره مرسومة
لي في الدار فلما انتصف الليل اذا بالخدم يدقون باب داري
فانزعجت فقالوا اجب امير المومنين فقمت فلما صرت بحضرته
قال علي بصاحب الشرطة الساعة فلما حضر قال في حبسك رجل

يعرف بفلان بن فلان الحمال قال نعم قال احضره الساعة فحضر
فقال له المعتمد من انت قال فلان بن فلان الحمال قال منذ كم
حبست قال من كذى كذى سنه قال فى اى شى قال مظلوم
لا جرم لى قال فاشرح لى قصتك قال انا رجل من الجبل وكان
يتقلدنا فلان الامير فسخر جمالى فتظلمت اليه فلم ينفع فخرجت
امشى ورا الجمال الى ان قربنا من حلوان ثم استقبل الاكراد
من الجمال جملا محملا فضربنى وقيدنى وقال انت سرقت الجمل
وما عليه فقلت علمائك يعلمون ان الاكراد اخذوه قال ذاك
بمواطاة منك ثم قيدنى وطرحنى فى الحبس واخذ الجمال فقال
لبعض الخدم امض الساعة الى فلان الامير واقعد على دماغه
ولا تبرح او ترد جمال هذا او قيمتها وقال للخادم ادفع الى هذا
الحمال كذا كذا دينارا وكسوه وادخله الحمام واطعمه ثم قال لصاحب
الشرطة فى حبسك فلان بن فلان الحداد فقال نعم فقال هاته
فاحضره فقال ما قصتك فقال حبست ظلما وقص عليه قصة
طويله فقال للخادم خذه وغير من حاله وادخله الحمام واكسه
واطعمه واعطه كذا كذا دينارا ثم رفع راسه وقال الحمد لله الذى
وفقنى لهذا الفعل قال ابن حمدون فقلت يا امير المومنين فكيف
تكلف امير المومنين النظر فى هذه الساعة بنفسه فى مثل هذا
الامر وانزعج من نومه فقال لى ويحك اتانى الساعة رجلا
من صفته كيت وكيت وقد جانى فقال لى فى حبسك رجلان
مظلومان يقال لاحدهما فلان بن فلان الحمال والاخر فلان بن
فلان الحداد فاطلقهما وانصفهما من خصومهما واحسن اليهما
فانتبهت مرعوبا فلعنت ابليس وصليت على النبى صلعم وتحولت الى
الجنب الاخر ونمت فما استعملت حتى رايت الشخص بعينه فقال لى
امرك ان تطلق رجلين مظلومين من حبسك ولا تفعل وكاد يمد يده الى

هذا

المعتضد مع الملاح

فقلت له من انت فقال انا محمد رسول الله وكانى قد قبلت
يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فعجل فى امرهما
الساعة فانتبهت وفعلت ما رايت وكان هذا ببركة حبه العدل
واقامته الحق والحكم الفصل وكذلك ابن اخيه المعتضد
بالله لما ولى بعده بذل فى العدل غاية جهده وقصد فى سلوك
جدد الانصاف سنن قصده فايده الله تعالى فى كشف القضايا
لاقامة الحق فيها بعناية من عنده فقد وضح فى الازمان ما بسقت
فيه الاذان مما سطره الرواة فى منقولاتهم وذكره الثقاة فى
معقولاتهم وهو ما اخبر به ابو محمد الحسين بن محمد الصلحى قال اخبرنى
احد خدام المعتضد بالله المختصين بخدمته قال كنا حوالى
سرير المعتضد ذات يوم نصف النهار وقد نام بعد ان اكل فانتبه
منزعجا وقال يا خدام فاسرعنا الجواب فقال ويلكم اعينونى
والحقوا بالشط الاول فاول ملاح ترونه منحدرا فى سفينه
فارغة فاقبضوا عليه وجيئونى به ووكلوا بالسفينة فاسرعنا
فوجدنا ملاحا فى سميريه منحدره وهى فارغة فقبضنا عليه
ووكلنا بالسميريه واصعدناه اليه فلما راه الملاح كاد يتلف
فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب معها
وقال اصدقنى يا ملعون عن قصتك مع المراه التى قتلتها
اليوم والا ضربت عنقك قال فتلعثم وقال نعم كنت اليوم
مسرعا فى المشرعة الفلانيه فنزلت امراة لم ار مثلها وعليها
ثياب فاخره وحلى كثير وجوهر فطمعت فيها واحتلت عليها
حتى سددت فمها وقتلتها واخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها
الى الما ولم اجسر على حمل سلبها الى بيتى لئلا يفشوا الخبر
على فعملت على الهرب والانحدار الى واسط فصبرت الى ان
خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين واخذت فى الانحدار

فتعلق بي هولا الخدم وحملوني فقال واين الحلي والسلب فقال
في صدر السفينة تحت البواري فقال المعتضد للخدم علي به الساعة
فمضوا واحضروه فقال هذا الملاح خذوه الساعه وغرقوه ففعلوا
به ذلك ثم امر ان ينادي ببغداد كلها على امراة خرجت الى المشرعة
الفلانية سحرا وعليها ثياب وحلي فيحضر من يعرفها ويعطي صفة ما
كان عليها وياخذه فتلفت المراه فحضر في اليوم الثاني اهلها فاعطوا
صفتها وصفة ما كان عليها وعلم استحقاقهم فسلم ذلك اليهم
قال فقلت يا مولانا اوحي اليك بهذه الحالة فقال رايت في
منامي رجلا شيخا ابيض الراس واللحيه والثياب وهو ينادي
يا احمد حذاؤك رجل ملاح منحدر الساعه فاقبض عليه وقرره
عن المراه التي قتلها اليوم وسلبها ثيابها واقم عليه الحد ولا
يفتك فكان ما شاهدتم وله قصص مع بعض اتراكه
الامراء تشهد له برعيته في العدل والانصاف وانتقامه
من ذوي الظلم والاجحاف وهي ما حدثه القاضي ابو الحسين
محمد بن عبد الواحد الهاشمي ان شيخا من التجار كان له على
بعض القواد مال جليل فماطله به وجحده ولم يلتفت اليه
وسبه واستخف به قال وحملت التظلم منه الى المعتضد
بالله فاني كنت استشفعت اليه وتظلمت الى الوزير
وما نفعني فقال لي بعض اخواني انا ادلك على من ياخذ
لك المال ولا يحتاج الى ان تتظلم الى المعتضد بالله قم
معي فقمت معه فجا بي الى رجل خياطا في سوق الثلاثا
وهو جالس يخيط في مسجد ويقري القران فقص عليه
صاحبي قصتي فقام معنا فلما صار بباب الرجل وكنت
قد تاخرت عنه وقلت لصديقي انك قد عرضتنا وهذا
الشيخ ونفسك الى مكروه عظيم فقال لا تخف وامش

الخياط المؤذن

علي

على بركة الله تعالى فقلت انه لم يفكر في شفاعة احد من الكبرا
ولا في كلام الوزرا فضحك الرجل وقال لا عليك امش واسكت
فلما راى غلمان الرجل تلقوا الشيخ يقبلوا يده والارض فمنعهم
فقالوا ما جا بالشيخ فسالهم عن صاحبهم فقالوا هو راكب فان
كان امرا امرنا بفعله والا فادخل واجلس الى حين وروده فدخل
ودخلنا وجا الرجل فلما راى الخياط اعظمه وبالغ في اعظامه فقال
لا انزع ثيابي هذا الى ان تامرني بامرك فخاطبه في امري فقال
والله ما عندي الا خمسة الاف درهم فساله اخذها واخذ رهن
على ما بقي الى شهر واحد فقلت السمع والطاعه فاحضر الدراهم
واحضر حليا قيمته زياده عن الباقي واشهدت الخياط وصديقي
عليه بان الرهن على بقية الدراهم الى شهر فان جا الاجل
فقد وكل في بيعه لايفا الباقي فشهدا عليه بذلك فخرجنا
فلما بلغنا الى موضع الخياط خرجت المال بين يديه
وقلت له ايها الشيخ ان الله تع قد رد علي هذا المال
ببركتك واحب ان تاخذ منه ربعه او ثلثه ويطيب قلبي
فقال لي الشيخ يا هذا ما اسرع ما كافيتني على الجميل
بالقبيح انصرف بمالك ما احتاج الى شي منه فقلت قد
بقيت لي حاجه قال قل قلت تخبرني بسبب طاعة هذا
الرجل لك مع تيهه وانه اكبر اهل الدولة قال يا هذا قد بلغت
مرادك فلا تقطعني من شغلي وما اعيش منه فالححت
عليه فقال لي اعلم اني رجل موذن وامام الناس من سنين
كثيره ومعاشي هذه الخياطة لا اعرف غيرها فكنت منذ مدة
قد صليت المغرب وخرجت اريد منزلي فاجتزت بتركي
كان في هذه الدار فاومى الي دار بجانب المسجد وامراة
جميلة مجتازه فتعلق بها وهو سكران ليدخلها الى

داره وهي تستغيث وليس احد يغيثها ولا يمنعه منها وتقول
في جملة كلامها ان زوجي حلف بي بالطلاق ان لا ابيت الا
عنده فان عوقني هذا خرب بيتي مع ما يرتكبه من المعصيه
فجيت الى التركي ووقفت عنده وسالته بتركها فضرب
راسي بدبوس كان في يده فشجني وكلمني وادخل المراة
داره فصرت الى منزلي فغسلت الدم وشددت الشجه
واسترحت وخرجت اصلي العشا فلما فرغنا منها قلت لمن
حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي نهجم عليه ولا
نبرح حتى تخرج المراة فصحنا على بابه فخرج في عدة من غلمانه
فاوقع بنا وقصدني من بين الجماعة وضربني ضربا شديدا
كدت اتلف معه فحملني الجيران الى منزلي كالتالف
فعالجوني اهلي ونمت قليلا وافقت قبل نصف الليل
فما حملني النوم من شدة الالم والفكر في القصه فقلت
هذا قد شرب الى الان ولا يعرف الاوقات فلو قمت
واذنت سمع وظن انه قد اصبح وقد طلع الفجر فيطلق المراة
فتمضي الى بيتها في الليل فخرجت وانا اعن من الالم الى
المسجد فصعدت المناره واذنت وجلست اتطلع الى
الطريق ارتقب خروج المراة فان خرجت والا اقمت الصلاه
لئلا يشك في الصباح فيخرجها فما مضت الا ساعه والمراة
عنده واذا بالشارع قد امتلا رجالا وخيلا ومشاعل
وهم يقولون من هذا الذي اذن الساعه ففزعت وسكت
ثم قلت لهم لعلي استعين بهم على اخراج المراة فصحت من
المناره انا اذنت فقالوا انزل فنزلت فقالوا اجب
امير المومنين فقلت جا الفرج واذا بدر الحرمي وعبيد من
الغلمان فحملوني وادخلني بدر على المعتضد بالله فلما راني

ورايت هيبته وارتعدت سكن روعي وقال ما حملك على ان
تغر الناس باذانك في غير وقته فيخرج ذو الحاجه في غير حينها
ويمسك المريد للصوم في وقت قد ابيح له فيه الاكل وينقطع
العسس عن الحرس فقلت يومنني امير المومنين لاصدق فقال
انت امن فقصصت عليه قصتي وقصة التركي واريته اثار الضرب
الذي في فقال يا بدر علي بالغلام التركي والمراة الساعه
فجا بهما فسال المراة فاخبرته بمثل ما قلت فقال يا بدر بادر بها
الساعه الى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها القصه
وتامره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني وجعل
يخاطب التركي وانا اسمع فقال كم جراتيك قال كذا وكذا فقال
كم صلتك قال كذا وكذا فقال كم لك من جايزه فقال كذا وكذا
فقال فما كان لك من صبر وانت في هذه النعمه عن ارتكاب القبيح
ومعاصي الله تعالى وخرق هيبة سلطاننا وبارتكاب الظلم والعدو
حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت الى الوثوب على من امرك
بالمعروف قال فاسقط في يد الغلام التركي ولم يدر ما يقول فقال
هاتوا جوالق ومداق الجص وقيودا فاحضر الجميع فقيد وادخل
في الجوالق وامر الفراشين ان يدقوه بالمداق وهو يصيح حتى
انقطع صوته ومات فامر به فغرق في دجله وتقدم الى بدر فحمل ما
في داره ثم قال لي اي شي رايت من اجناس المنكر فانكر صغيرا
كان او كبيرا ولو على هذا واومى بيده الى بدر وان تجرى
عليك ولم يقبل منك فالعلامة بيننا الاذان في ذلك
الوقت فدعوت الله تعالى له وانصرفت وانتشر الخبر في
الغلمان والاوليا فما خاطبت احدا بعد ما جرى ذلك في
انصاف احد او كف عن قبيح الا اطاعني وكف خوفا
من المعتضد وما احتجت الى الان الى الاذان شفا وموعظه

حم واشيا موقظه قد قيل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها
ولا يخوفها عاقبة رداها ولا يصرف زمامها بيد تقواها ساقته
الى قرار عطب لا نجاة لمن راها وزينت له ارتكاب ما
يظلم به نفسه فكيف لا يظلم سواها فسل من ايقظه الله من رقدة
هواه وافاض على قلبه من انوار هداه ان يعتبر بعاقبة من اوثقه
الظلم فارداه ويعلم ان الظالم مواخذ بظلمه يوم ينظر المرء ما
قدمت يداه فان ادلة الشرع وقضايا العقل متطابقه
على ان مرتع الظلم وخيم والصحيح به سقيم والغني به عديم والسالم
فيه سليم والمساهم فيه مليم وقد ورد فيه من صوادع الايات
وصحيح الاخبار ما في بعضه اعظم باعث على الانزجار
واقوى صارف عن الظلم لذوي الاستبصار فان الله تعالى
قطع على الظالمين طرق الاعتذار وجعل جزاهم ان لم يتوبوا عذاب
دار البوار فقال عز من قايل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم
حم اللعنه ولهم سو الدار وقد قيل ان الظلم على شقاوه متعاطيه
اوضح علامه وسم وجه عاقبته بسمة الخساره والندامه ويسلكه
لفم النقم ويعدل به عن نهج السلامه وهو على الحقيقه كما قال
النبي صلعم الظلم ظلمات يوم القيامه وكيف يفلح الظالم والدعا
عليه مستجاب او يامن بباب البلا وتاخير عطبه شي عجاب
او يطمع في النجاة وعليه بما اجترمه شاهد وكتاب وقد حذر
رسول الله صلعم معاذ بن جبل وهو من اجلا الصحابه حين بعثه
الى اليمن فقال اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله
حش حجاب وقد ورد في الاحاديث النبويه التي اخرجها الامامان
مسلم والبخاري ان رسول الله صلعم قال ان الله اذا اخذ الظالم
لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمه
ومما نظم في عقد العبر وزين بسحره سحاب السير وجرى به
فلم

الجبار والعجوز

قلم القضا والقدر ما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابره
ممن عبر وذكر فقال ما معناه ان جبارا ابنى قصرا في ارضه
وشيده واعلاه وجعله قيد القلوب والنواظر فاراه الامين
استهوله فجات عجوز من السايحات الى ظهر القصر فعملت
كوخا في مكان مباح تتعبد الله تعالى فيه فركب الجبار يوما من
الايام وطاف بفناء القصر فراى الكوخ فقال ما هذا فقيل
له امراه ها هنا تاوي اليه وتسوح فامر به فهدم ولم تكن المراه
حاضره فجات فابصرته قد هدم فقالت من هدم هذا فقيل
لها الملك ركب فراه فامر بهدمه فرفعت طرفها الى السما وقالت
يا رب انا لم اكن فانت اين كنت قال وهب فامر الله عز وجل
جبريل عم ان يقلب القصر على من فيه فاصبح عبره للناظرين
ومما حوته بطون الاوراق ورونه الثقات في الافاق من
القضايا التي فيها معتبر ومزدجر بالاتفاق قضية ابن مروان
مع ملك النوبه على ما ذكره بن ابي جعفر قال كنت واقفا
على راس المنصور ليله وعنده جماعه فتذاكروا زوال ملك
بني اميه فقال بعضهم يا امير المومنين في حبسك عبيد الله بن
مروان بن محمد وقد كانت له قصه عجيبه مع ملك النوبه فابعث
اليه فسله عنها فقال المنصور يا مسيب علي به فاخرج الرجل
وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقيل فمثل بين يديه فقال السلام
عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته فقال له المنصور
يا عبيد الله ان رد السلام امن ولم تسمح لك نفسي بذلك
بعد ولكن اقعد فجاوا بوساده فنصبت فقعد عليها فقال
لقد بلغني انه كانت لك قصة عجيبه مع ملك النوبه فما هي
فقال يا امير المومنين والذي اكرمك بالخلافه ما اقدر على
النفس من ثقل الحديد ولقد صدي قيدي من رشاش البول

حكاية النوبه ابن مروان

وما اصب عليه الماء في اوقات الصلوه فقال المنصور يا مسيب
اطلق عنه حديده ثم قال نعم يا امير المومنين لما وصل ما وصل
الينا كنت انا المطلوب اكثر من الجماعه فاني كنت ولي
عهد ابي من بعده فدخلت الى خزانه لنا فاستخرجت منها
عشرة الاف دينار ثم دعوت عشره من غلماني وحملت كل واحد
على دابه ودفعت اليه الف دينار واوقرت خمسة ابغل مما
يحتاجه من معي وشددت على وسطي جوهرا له قيمة مع شي
من الذهب وخرجت هاربا الى بلد النوبه فسرت فيها بلاثا
فوقعت الى مدينه خراب فامرت الغلمان فعدلوا اليها فكسحوا
منها ما كان قذرا ثم فرشوا بعض تلك الفرش فدعوت غلاما
لي كنت اثق به وبعقله فقلت انطلق الى الملك فاقره مني
السلام وخذ لي منه الامان وابتع لي ميره قال فمضى وابطا
عني حتى سوت ظنا ثم اقبل ومعه رجل اخر فلما دخل كفر لي
ثم قعد بين يدي وقال لي الملك يقرا عليك السلام ويقول
من انت وما جاء بك الى بلادي امحارب لي ام راغب
الي ام مستجير بي قلت يرد على الملك السلام ويقول اما محارب
لك فمعاذ الله واما راغب في دينك فما كنت لابغي بديني
بدلا واما مستجير بك فلعمري قال فذهب ثم رجع الي وقال
ان الملك يقرا عليك السلام ويقول انا صاير اليك غدا
فلا تحدثن حدثا ولا تتخذ شيا من ميره فانها تاتيك
وما تحتاج اليه فاقبلت الميره فامرت غلماني يفرشون
ذلك الفرش كله وامرت بفرش نصبت ولي مثله
واقبلت من غد ارقب مجيه وبينا انا كذلك اذا اقبل
غلمان يحضرون وقالوا ان الملك قد اقبل فقمت بين
شرفتين من شرف القصر انظر اليه فاذا رجل قد لبس بردتين

اتزر

اتزر واحدة وارتدى بالاخرى حاف راجل واذا عشرة
معهم الحراب ثلاثه يقدمونه وسبعة خلفه واذا الرجل الموجه
الى جنبه فاستصغرت امره وهان على لمرآتيه في تلك الحال وسولت
لي نفسي قتله فلما قرب من الدار اذا بسواد عظيم فقلت ما
هذا السواد فقيل الخيل توافي يا امير المومنين زها بملي عشرة
الاف عنان فكان موافاة الخيل الى الدار وقت دخوله
فاحدقت بها فدخل الي فلما صار بالدار قال الترجمانه اين الرجل
فلما نظر الي وثبت اليه فاعظم ذلك عليه واخذ يدي فقبلها ووضعها
على صدره وجعل يدفع البساط بيده ورجله فشوش الفرش
فظننت ان ذلك شي يجلونه ان يطيوا على مثله حتى انتهى الى الفرش
فقلت لترجمانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذي وطي له فقال
قل له انه ملك وحق كل ملك ان يكون متواضعا لعظمة الله اذ رفعه
الله ثم اقبل ينكث باصبعه في الارض طويلا ثم رفع راسه فقال لي
كيف سلبتم نعمتكم وزال عنكم هذا الملك واخذ منكم وانتم اقرب
الناس الي نبيكم فقلت جاء من هو اقرب قرابة الى نبينا فسلبنا
وطردنا وقتلنا فخرجت مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهي محرمة عليكم في دينكم فقلت فعل ذلك عبيد واتباع
واعاجم دخلوا في ملكنا بغير راينا قال فلم كنتم تركبون على
دوابكم بمراكب الذهب والفضه والديباج وقد حرم ذلك
عليكم قلت عبيد واتباع واعاجم دخلوا بملكنا ففعلوا قال
فلم كنتم انتم اذا خرجتم الى صيدكم تقحمتم الى القرى وكلفتم
اهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب الموجع ثم لا يقنعكم ذلك حتى
تمشوا في زرعهم فتفسدوه في طلب دراج قيمته نصف درهم
او عصفور قيمته لا شي والفساد يحرم عليكم في دينكم قلت عبيد
واتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وفعلتم ما نهاكم عنه

واجبتم الظلم وكرهتم العدل فسلبكم الله العز والبسكم الذل ولله
فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني اتخوف ان تنزل النقمة بك اذ كنت
من الظلم فتشملني معك وان النقمة اذا نزلت عمت والبلية اذا حلت
شملت فاخرج بعد ثلث من ارضي فاني ان وجدتك اخذت جميع ما
معك وقتلتك وقتلت من معك ثم وثب وخرج فاقمت ثلثا وخرجت
الى مصر المحروسة فاخذني واليك فبعث بي اليك وها انا بين يديك
والموت احب الي من الحياة فهم المنصور باطلاقه فقال له اسمعيل بن
علي في عنقي بيعة له قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا نجري عليه
ما يليق به ففعل ذلك به خاتمة لهذا الباب في الحكم الواردة والالفاظ
الحاكمة بحصول الفايدة منها العدل يزيد في الملك ويريح السر
ويذهب الخوف ويرضي الرب ويعمر ما اخربه الجور ومنها اذا جار
الملك في رعاياه كثر ارجاف الناس بزوال ملكه واحتوا ظهور اعدايه عليه
ومنها اعظم اسباب العدل ان لا يغفل الملك عن التطلع الى
احوال اعوانه مع رعاياه وقضايا نوابه في اطراف بلاده ومنها زمان
الجاير من الملوك اقصر من زمان العادل لان الجاير مفسد
والعادل مصلح وافساد الشي اسرع من اصلاحه ومنها لا يزال
الجاير مهملا في جوره الى ان يتخطى الى اركان العمارة من مباني الشريعة
فاذا قصدها قرب دماره وشارفت [illegible] الزوال مدته

الباب السادس في الاتفاق

والايتلاف والشقاق والاختلاف من اوضح الدلايل
السالمة عن الاعراض الحاسمة ابواب المنع والانتقاض الحاكمة
لذا العظما ان الاتفاق والايتلاف من اكمل الاغراض ما ورد
في الكتاب العزيز في ايات متصفة بالاحكام مختلفة الالفاظ
متفقة الاحكام متعددة في مواضع من التنزيل المتلو بلسان
الخاص والعام كقوله تعالى في القران الكريم والذكر الحكيم مخاطبا

لنبيه المصطفى من الدوحة الهاشمية المستخرجة في اشرف من الصميم
المرسل داعيا الى الدين القويم والصراط المستقيم هو الذي ايدك
بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا
الاية الى قوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
وكقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى اخوانا
والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الاية بالاعتصام به هو القران الكريم
وهو اختيار جماعة من ايمة التفسير واستدلوا عليه بما روى الحارث
قال دخلت المسجد والناس قد وقعوا في الاحاديث واخذوا في
الاختلاف فاتيت عليا عليه السلام فقلت يا امير المومنين الا ترى
الناس قد وقعوا في الاحاديث واخذوا في الاختلاف قال وقد فعلوها
فقلت نعم فقال اما اني سمعت رسول الله صلعم يقول انها ستكون فتنة
فقلت يا رسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم
وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار
قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين
والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به القلوب
ولا تلتبس به الالسن ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته الا ان قالوا انا
سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولم نشرك بعبادة ربنا
احدا من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن
دعا اليه هدي الى صراط مستقيم ونقل عن رسول الله صلعم انه قال
ان الله تعالى رضي لكم ثلثا وكره لكم ثلثا رضي لكم ان تعبدوا الله
ولا تشركوا به شيا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واسمعوا واطيعوا لمن ولاه الله امركم وكره قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السوال فقد ثبت وصح بذلك ان الحبل المعتصم
به هو القران الكريم والتمسك به يوجب الاتفاق والايتلاف

وبعد عن الشقاق والاختلاف وذكر قصة ابن جابر قال
لما قدم عمر ابن الخطاب رضه الى دمشق نزل بباب الجابيه وقام
خطيبا وقال للناس لقد قام فينا رسول الله صلعم كمقامي فيكم
فقال من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعه وهذا صريح في التمسك
بعروة الموافقه والتجنب لمعرة المخالفه وقديما قيل ما من قوم
وان قل عددهم وضعف مددهم فارتضعوا افاويق الاتفاق ونزعوا
مخاريق شقاشق الشقاق وقطعوا امواد الاخلاق واشربوا في
قلوبهم محبة الف الايتلاف وقابلوا بعددهم القليل قوما كثيرين قد
فشا بينهم الخلف وعمهم التنازع الا ظهرهم الله مع قلتهم وقلتهم
ومكنهم منهم وان كانوا اكثر عددا واشد قوة ومددا وفي قصة
الخليفه الراشد بالله ابي جعفر المنصور ابن المسترشد بالله اوضح
دليل وابين حجه واتم برهان على ذلك وتلخيص قصته ان اباه
المسترشد لما قتل وهو بعسكر السلطان مسعود اراد الراشد وقد بويع
له بالخلافه وهو ببغداد ان ياخذ بثار ابيه ويقصد السلطان مسعود
فاخذ في جمع العساكر وجند الجنود فارسل الحاشرين واستدعى
الناصرين واستحضر القادرين وسير ما حضر زنكي بن اقسنقر من
الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبولاته من بلاد فارس
فامالت العساكر اليه واجتمعت الجيوش لديه وتكمل على ما يزيد
على ثلاثين الف فارس بين يديه فلما عرف السلطان مسعود
ذلك ولم يكن عنده سوى سبعة الاف فارس لا غير فسير في
الباطن اشخاصا يثق بهم وبمعرفتهم ويعتمد على حسن توصلهم
فدخلوا بين عساكر الراشد ومقدميهم وقدحوا بينهم زناد الخلف
فوري واوقدوا نار التنازع فدب احراقها وسرى واستحدوا
اسباب الاختلاف والتباين حتى قطع عرى الايتلاف وبري
فلما احس السلطان مسعود تبلج وجه نجح سعده المسفر من اسايره

الراشد بالله مع السلطان مسعود

وثار رياح اصابته صنعه نتيجات انتاج تدبيره وتبرج
مخدرات رايه الصايب في حلا الملابس المواساه
بتحبيره اماط عن محيا حزمه مسدل نقابه وناط بصايب
عزمه نهج صوابه واستعذب في نيل مرامه وظلامه من
متباق اوصابه مسكرة صبابه واستصحب في اعوانه
وانصاره اتفاق اصحابه فاركبهم وقد ضرب الليل
سرادق ظلامه بممتد اطنابه ورتبهم ترتيب من قصه التجربه
من الاستيقاظ بتكميل نصابه وعرفته الوقايع والحوادث
والحروب كيفيه ترتيب اطلابه وساق وقد جمعت قلوب
جنده في سلك المسارعه المنتسق نظامها والمتابعه
المتفق بيد الالفه التيامها والطاعه المفوقة لاصابة
الاغراض سهامها والضراعة اليه في البدار بهم الى نفوس
اعدايه فقد استعجلهم حمامها فاجاب بشر عنه
داعي البدار واصاب بمبادرته مواقع الاقدار وصاب
بذلك سحاب صوابه المدرار واستجاب له كمين الانصار
وضمين الاستظهار وساق مجدا سوقا حثيثا واجد
من اتحاد كلمة جنده واتفاقهم بعد توفيق الله تعالى
معينا ومغيثا فلما قرب من ذلك الجمع الجم والعسكر
الذي طم وعم اضطربوا اضطراب امواج اليم واشربوا
الخوف ولكن لم ينزل عليهم امنة من بعد الغم فاظهروا
الاختلاف واكثروا الانحراف واستنظروا الانصراف
فولى زنكي طالبا طريق الشام مسرعا في ذهابه واقتفا
داود بن محمد راكبا طريق اذربيجان موضعا قرة خيله
وسبق ركابه وتلاه بوزابه سالكا سنن السلامه
الى بلاد فارس في زمرته واصحابه ولم يبق عند

الخليفة الراشد بالله سوى ثلثة الاف من خواص حضرته
وخدم سدته فبقى بعد هولاء المتفرقين اشباها متمزقين
بيد المخافة لتنازعهم رقابا لمقدورين فى حال حياتهم
لاختلافهم اهواءا الشاربين من الملام لفشلهم مع كثرتهم
ماءً اجاجا لا ماءً فراتا وبات تلك الليلة راكبا مطا حيرة
اعتزته لتفرق الانصار طالبا وطا فدرة يخمد بها ضرام
هذه النار فلم يجد له احزم من مجانبة المقام والاستقرار
ولا اسلم من الاقتدا بموسى عليه الصلاة والسلام فيما اعتمده
عند المخافة من الخروج والفرار فلم يلبث سوى ليلة واحدة بعد
الجمع المفرق والجند الممزق ثم ارحل متوجها الى الموصل
فركب سنن طريقها وعرض نفسه لنزع الخلافة بعد تطويقها
فدخل السلطان مسعود بغداد واستحوذ على البلاد واجرى
الناس على السنن المعتاد وخلع الراشد من الخلافة خلعا
سلك طريقه وسد اليه تغوليقه واخرج ابا عبد الله محمد
ابن المستظهر بالله امير المومنين وبايعه بالخدفة وجمع
الناس لبيعته وشدد وسطه بنطاق اخلاص عبوديته
وقام بين يديه بمفترض طاعته وواجب خدمته ولازم
نصرته وهو الامام المقتفى لامر الله امير المومنين والد الامام
المستنجد بالله امير المومنين والد الامام المستضى بامر الله
امير المومنين والد الامام الناصر لدين الله امير المومنين
والد الامام الظاهر بامر الله امير المومنين والد الامام المستنصر
بالله امير المومنين والد الامام المستعصم بالله امير المومنين
وال امر الراشد الى قضايا لا يجرى شرحها فى مضمار
مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيفائها واستقصائها
مخافة الاطالة والاطناب كان اخرها انه قتل بباب اصفهان

بعد تقلبه بيد الاقدار فى اطوار الزمان وفى ظهور سبعة
الاف متفقين على ثلثين الف مختلفين اقوى دليل
على ان الاتفاق ناصر لا يخذل والاختلاف خاذل لا ينصر
وان طالب الموافقة ابدا لا يعدل وطالب المخالفة والمنازعة
لا يعذر ايضاح وبيان وافادة ملح حسان مما تشنف
الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن منثور الفضل
الموهوب ان نور التالف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب
ويكون سترا من هجوم الحوادث وسدا فى وجه الخطوب
وقد كما شبت نار العداوة فى القبايل والفصايل فاحرقت
وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت
فيهم سيوف الاحن والبغضا ففرت ومزقت واسبلت
عليهم سبل الشحنا فلمعت بروقها بالتقابل والتقاتل فبالتالف
فهبت عليها رياح التالف فاطفات ضرامها وصرفت
غرامها وشفت سقامها ونفت عنها ملامها والامها فتبدلوا
بالاساة احسانا وبالمخافة امانا وبالمنافرة اذعانا وبالبغضة
رجحانا فعادوا بعد التباين صنوانا واصبحوا بنعمة الله
اخوانا ومن ارتاب فى صواب هذه المقالة ورغب فى
احتشاء حبا هذه الحالة واحب ان يسمع شرح حقيقتها
بلسان الدلالة فلينظر فى سير السلف الغابرين واثر
الاولين والاخرين ويعتبر احوال الغايبين والحاضرين
ومال الواردين والصادرين يجد فى وقعاتهم ابهج سبيل
وانجح دليل لا سيما فى اظهر الوقايع شنارا واكثرها اشتهارا
واكبرها اعتبارا واعظمها عتوا واقتسارا واقدمها
تنازعا ونفارا واذوقها علوا واستكبارا حتى بلغ الشيطان
بهم ومنهم اغراضا واوطارا واثار باثارة الفتن والاحن

بينهم احقادا واثارا واوقد من شواظ رحاح بهم المدارة عليهم
نارا الى ان نظمهم الاتفاق في سلك التساعد والتعاضد
اعلانا واسرارا فاصارهم ذلك التالف بالله ولرسوله اعوانا
وانصارا الاوس والخزرج وتلخيص كنههما بحذف اسنادهما
وشرح ما اينعه الايتلاف من صلاحهما بعد ما اطلعه الاختلاف
من فسادهما ان ما بين القبيلتين قبيلة الاوس وقبيلة اخيه
الخزرج كانت سوق الحرب بينهما جامعة لا ينساب بكسادها
وبروق الصوارم فيها لامعة لا تحجب باغمادها ودماء هي
في لوامع الاسنة لحمر العصايب على روس صعادها ووحوش
الدو وطيور الجو تتبعها لاعتقادها انها كفلاء اخوتها لاعتيادها
تناول ذلك من حيث اجسادها ودام هذا التقابل والتقاتل
بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار اثرا في وجه الدهر وخبرا
الى يوم الحشر ولم يسمع لقوم منهم ما كان بين هولاء من الضغن
والوتر حتى ازال الله جل وعلا ذلك عنهم ونسخ تلك
الاحقاد وذلك الفساد منهم وكان سبب تالفهم
وارتفاع عداوتهم ان سويد بن الصامت قدم مكة حرسها
الله وكان رجلا شريفا في قومه ونسبه وكان شاعرا جلدا يسميه
قومه الكامل لاجل ذلك وكان صلعم اول ما بعث وامر بالدعوة الى
الله تعالى فسمع بسويد فتصدى ودعاه الى الله تعالى والى
الاسلام فقال له فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له
رسول الله صلعم وما معك قال حكمة لقمان فقال له صلعم اعرضها
علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعي افضل من هذا
قران انزله الله تعالى علي نورا وهدى فتلا عليه صلعم القران
ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن
ثم انصرف عنه وقدم سويد المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج

الاوس والخزرج

٦

٥

في حربهم يوم بعاث وكان رجلا من وجوه قومه يقولون لنراه
قتل مسلما ثم قدم انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل
فيهم اياس بن معاذ الى مكة يلتمسون الحلف من قريش على قوم
من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلعم اتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم
في خير مما جيتم له قالوا وما ذاك قال انا رسول الله بعثني الى
العباد ادعوهم ان لا يشركوا به شيا وانزل علي الكتاب ثم ذكر
لهم الاسلام وتلا عليهم القران فقال اياس بن معاذ وكان غلاما
حدثا اي قوم هذا والله خير مما جيتم له فاخذ انس بن رافع حفنة
من البطحا فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك
فلعمري لقد جينا لغير هذا فصمت اياس وقام صلعم عنهم وانصرفوا
الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم
يلبث اياس بن معاذ ان هلك وكان رسول الله صلعم بمكة يبغي في
الموسم عند كل لقيه من قبايل العرب يعرض نفسه ويدعوا الى الله تعالى
فبينما هو في الموسم عند العقبة اذ لقي رهطا من الخزرج وهم ستة
نفر سعد بن زرارة وعوف بن عفرا ورافع بن مالك وقطبة
ابن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلعم
من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي يهود قالوا نعم قال افلا
تجلسون لي حتى اكلمكم قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى
وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران وكان من صنع الله تعالى
ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وكان هولا
اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شي قالوا ان نبيا
مبعوثا الان قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم
فلما كلم رسول الله صلعم اولئك النفر ودعاهم الى الله تعالى قال بعضهم
لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي يوعدكم به يهود فلا
يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا

والقوم بينهم من العداوه والشر ما بينهم وعسى الله تعالى ان يجمع
بينهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك
فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلعم راجعين الى
بلادهم قد امنوا فلما قدموا المدينه ذكروا لقومهم رسول الله صلعم ودعوهم
الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها
ذكر رسول الله صلعم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من
الانصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج اسعد بن زراره وعوف
ومعاذ بن عفرا ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعباده
ابن الصامت ويزيد بن ثعلبه وعباده بن عباده وعقبه بن عامر
وقطبه بن عامر ورجلان من الاوس ابو الهيثم بن التيهان وعويمر
ابن الساعد فلقوا رسول الله صلعم بالعقبه وهي العقبه الاولى
فبايعوا رسول الله صلعم ببيعة النسا ان لا يشركوا بالله شيا ولا
يزنوا الى اخر الايه المعروفه ببيعة النسا في سورة الممتحنه ثم قال
لهم ان وفيتم فلكم الجنه وان غشيتم شيا من ذلك فان اخذتم
بحده فهو كفارة له وان ستر عليكم فامركم الى الله تعالى ان شا
عذبكم وان شا غفر لكم وذلك قبل ان يفرض عليهم الجهاد
فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلعم مصعب بن عميره
ابن هاشم وامره ان يقريهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم
وكان مصعب يسمى في المدينه المقري وكان اول مقري بالمدينه
وكان منزله على اسعد بن زراره المذكور اولا فقال سعد بن معاذ
الى اسيد بن خضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد اتيا
دارنا ليسفها ضعفانا فازجرهم فان اسعد بن خالي
ولولا ذلك لكفيتك وكان اسعد بن معاذ واسيد بن خضير
سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشركان فاخذ اسيد
ابن خضير حربته ثم اقبل الى اسعد ومصعب وهما جالسان في حايط

فلما

فلما راه اسعد قال لمصعب هذا اسيد قومه قد جاك فاصدق
الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه قال فوقف عليهما فقال ما
جابكما الينا تسفهان ضعفانا اعتزلا ان لكما في انفسكما حاجه
فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته
كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه
مصعب بالاسلام وقرا عليه القران قال فوالله لقد تعرفنا في وجهه
الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله فقال ما احسن هذا
واجمله وكيف تصنعون اذا اردتم الدخول في هذا الدين قالا له
تغتسل وتطهر ثيابك وتشهد بشهادة الحق ثم قام فصلى وركع ركعتين
ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف احد من قومه
وسارسله اليكما الان فقام اسيد بن حضير ثم اخذ حربته وانصرف
الى سعد وقومه وهم جلوس فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا
قال احلف بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فما وجدت
بهما باسا وقد نهيتهما فقال لا تفعل ما احببت وقد حدثت ان
بني حارثه خرجوا الى اسعد بن زراره ليقتلوه وذلك انهم عرفوا
انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغاضبا مبادرا للذي ذكره
فاخذ الحربه منه وقال والله ما اراك اغنيت شيا فجاهما فلما راهما
مطمئنين عرف ان اسيد انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما
متشتما ثم قال لاسعد بن زراره يا ابا امامه لولا ما بيني وبينك
من القرابه ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد قال
سعد لمصعب جاك والله سيد قومه ان يتبعك لم يتخالفك
منهم احد فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت
فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد انصفت
ثم ركز الحربه وجلس فعرض عليه الاسلام وقرا عليه القران قالا فعرفنا

في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهيله ثم قال كيف
تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قال نغتسل ونطهر
ثيابنا ثم نشهد بشهادة الحق ونركع ركعتين ثم اخذ الحربه واقبل
عائدًا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا قالوا نقسم
بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا
رايا وايمننا نقيبه قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى
يومنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار من دور بني عبد الاشهل
رجل ولا امراه الا مسلم ومسلمه ورجع مصعب الى منزل اسعد فاقاما يدعون
الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونسا
مسلمون خلا نفرا يسيرًا تاخروا ثم اسلموا ثم ان مصعبا رجع الى مكة
ومعه سبعون رجلا مع حجاج من قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة
فواعدوا رسول الله صلعم العقبه من وسط ايام التشريق وهي
بيعة العقبة الثانيه قال كعب بن مالك وكان شهد ذلك فلما فرغنا
من الحج وكانت الليله التي واعدنا رسول الله صلعم ومعنا عبد الله
ابن عمرو ابن حرام ابو جابر اخبرنا وكنا نكتم من معنا من المشركين من
قومنا امرنا وكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا
وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت عليه ان تكون حطبا
للنار غدًا ودعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرناه بميعاد رسول الله
صلعم فشهد معنا العقبه وكان نقيبا من النقبا فبينما نحن في تلك
الليله مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد
رسول الله صلعم فنتسلل مستخفيين تسلل القطا حتى اذا اجتمعنا في
الشعب عند العقبه ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا
فاجتمعنا بالشعب عند رسول الله صلعم ننتظر رسول الله صلعم حتى جانا ومعه
عمه العباس بن عبد المطلب وهو يوميذ على دين قومه غير انه احب ان

يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلس كان اول من تكلم العباس بن
عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب انما تسمي بهذا
الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث علمتم
وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا وهو في عز من قومه
ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم
ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما
تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج
اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت
فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلعم
القران ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني
مما تمنعون به نساكم وابناكم فاخذ البرا بن معرور بيده وقال والذي
بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله
فنحن اهل الحرب ونحن اهل الحلقه ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض
القول والبرا يكلم رسول الله صلعم ابو الهيثم ابن التيهان فقال
يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني اليهود ونحن قاطعوها
فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله تعالى ان ترجع الى
قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلعم ثم قال الدم الدم الهدم الهدم
انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال صلعم
اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلا على قومهم بما فيهم ككفالة
الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج
وثلثة من الاوس وقال العباس بن عباده الانصاري يا معشر
الخزرج هل تدرون علام تبايعون الرجل انكم تبايعونه على حرب
الاسود والاحمر فان كنتم ترون انكم اذا انهكت اموالكم واشرافكم
القتل اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي في الدنيا والاخره وان
كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل

الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرى قالوا فانا ناخذه
على مصيبة الاموال وقتل الاولاد والاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان
نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب
على يده البرا بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلعم صرخ
الشيطان من راس العقبة بابعد صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب
هل لكم في مذمم والصباه معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلعم
هذا عدو الله قد اساه ما راه منكم ثم قال رسول الله صلعم اسمع اى عدو
الله والله لافرغن لك ثم قال رسول الله ارجعوا الى رحالكم فقال العباس
ابن عباده والذى بعثك بالحق لاشيت لنميلن غدا على اهل
منا باسيافنا فقال صلعم لم نومر بذلك ولكن ارفضوا الى رحالكم
قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اذا اصبحنا فغدت
الينا اجلة قريش فجاونا فقالوا انا معشر الخزرج بلغنا انكم جيتم
الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا
وانه والله ما من حى من العرب ابغض الينا ان ينشب الحرب
بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا
يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شى وما علمناه وصدقوا فانهم
لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار الى المدينه
وقد شددوا العقد فلما قدموا اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك
قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلعم فقال صلعم لاصحابه ان الله
قد جعل لكم اخوانا وجارا ومنزلا وبلدا تامنون فيه فامرهم
بالهجره الى المدينه واللحوق باخوانهم من الانصار فاخذوا فى الهجره
الى المدينه وتتابعوا اليها واقام رسول الله صلعم ينتظر ان يوذن
له فى الهجره الى ان اذن الله له فقدم المدينه واقام فجمع الله تعالى
اهل المدينه اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح بينهم والف بين
قلوبهم فدفع عنهم العداوه والبغضا ونسخ من صدورهم الاحن والشحنا

فذلك

فذلك قوله تع واذكروا نعمة الله عليكم معناه يا معشر الانصار
اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وفى هذه
القصه مقنع وبلاغ عن الاطاله بذكر غيرها من وقايع العالم وحوادث
الايام **خاتمه** لهذا الباب مما قيل فيه من الحكم وما ورد فيه من جواهر
الكلم منها اتفاق الايدي سلاح عتيد واعون حاضر وقوة
يصول بها النفوس على المخالف لها ومنها عليكم بالاتفاق
والتعاضد فان العز والانتصار مع الاتحاد والاجتماع واجتنبوا الاختلاف
والتباين فان الذل والخذلان فى التنازع والافتراق ومنها كم
من قوم عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا سلبوا عزهم
ووهى ركنهم وكل حدهم وذاقوا وبال امرهم

الباب السابع

فى مدح الوفا وذم الغدر ان ارجح دليل يتمسك به الانسان لمبتغاه
واوضح سبيل يهدي سالكه الى بلوغ مناه كتاب الله الذى
من تمسك به هداه ومن استدل به ارشده هداه وقد
دل بمنطوقه ان الوفا يجب على كل عاقل ان يرعاه ويحرم عليه
ان ينقض عهده ويقصم عراه فقال عز وجل يا ايها الذين امنوا
اوفوا بالعهود وقال جل وعلا وبعهد الله اوفوا وقال علا
وتقدس واوفوا بعهد الله اوفوا وقال علا وتقدس واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال
تقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
وقال تبارك وتع واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا
وهذه الايات مع اختلاف محالها وتعداد اسباب انزالها
متفقه على وجوب الوفا بالعهود والتمسك بحبالها والبحث
مهما امكن لنقضها وابطالها ولو لم يكن فى الوفا فضيله الا ان المتصف
به يعد فى زمرة الصادقين وينزه نفسه عن التحلى بسمة المنافقين

فان رسول الله صلعم قال لما سيل عن صفات المنافق
واذا وعد غدر قالوا فامن شيم النفوس الشريفه والاخلاق
الكريمه والخلال الحميده يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه
خطرات الظنون ويحل بين الناس في رتب اهل الكرامه وتجل
عن ان يقارف مواقف الندامه وان ينصب له لواء العذر يوم
القيمه ومن نظر بعين الاعتبار وابصر بنور الاستبصار واصاخ
سمعا الى ما ورد من الاخبار عن السلف الاخيار وجد ملابس
المحامد والثنا مفاضة على من سلك سنن الوفا وراى ذكرهم
مخلداً في الاحيا بعد كونهم مطا الفنا والعفا وقد نقل فيه
من عجايب الوقايع وغرايب البدايع ما اذا قرع ابواب
المسامع يحقق به كل سامع ان الوفا في الشباب المكارم من انفع
الوسايل وانجع الذرايع كقضية الطاي وشريك نديم
النعمان بن المنذر وملخص معناها ان النعمان قد جعل له يومين يوم
بوس من صادفه فيه قتله وارداه ويوم نعيم من لقيه فيه احسن
اليه واغناه وكان هذا الطاي قد رماه حادث الدهر بسهام
فاقته وفقره وابلاه القدر من قرب عسره وبعد يسره بما
انساه جميل صبره واغراه بشكوى ضره هذا الى اطفال وعيال
صحبتهم من القلة سقم وجباههم عليها من اثر الطوى وسم وقدودهم
كالقسي من الضعف وما لها في سعة سهم ولا فيما تسد به
الاجوفان قسم ولا قسم فاحوجته الحاجة الى مزايلة قراره
واخرجته الفاقه عن محل استقراره فخرج يرتاد نجعة لصغاره
ويحاول مما دب ودرج شبعة يخمد بها من الجوع شعلة ناره
فبينا هو في اضطراب تطوافه واغتراب مرتبع الانتجاع
ومصطافه وقد فتح له من القوت ما هو حاصله في جرابه
على اكتافه اذ اوقعه القدر في شرك النعمان في يوم هلاكه من

يومي النعمان وشريك نديمه

راه واتلافه فلما بصر به الطاي علم انه مقتول وان دمه لمطلول
فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا واهلا جياعا وقد ارقت
ماء وجهي في حصول هذه البلغه الحقيره واعلم ان سوء الحظ اقدمني على
الامير هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبيه والاهل
على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين
اول النهار واخره فان راى الملك ان ياذن لي في ان اصل اليهم
بهذا القوت واوصي بهم الى اهل المروة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا
ولك علي عهد الله وميثاقه ان اذا وصيت بهم ارجع الى الملك مسا
واسلم نفسي بين يديه لنفاذ امره فلما سمع النعمان صورة مقاله
وفهم حقيقة حاله وراى تلهفه من ضياع اطفاله رق له وقال
لا اذن لك الا ان يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وشريك
ابن عدي ابن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطاي الى
شريك وقال له

يا شريك بن عدي • ما من الموت انهزام • بل لاطفال ضعاف
عدموا طعم الطعام • بين جوع وانتظار • وافتقار وسقام
يا اخا كل كريم • انت من قوم كرام • يا اخا النعمان جد لي
بضمان والتزام • ولك الله باني • راجع قبل الظلام

فقال الملك اصلح الله الامير علي ضمانه فمر الطاي مسرعا والنعمان
يقول لشريك تاهب للقتل ان صدر النهار قد ولى ولا
يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى ياتي المسا فلما
قرب المسا قال النعمان لشريك جا وقتك فتاهب للقتل
فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وارجوا ان يكون الطاي
فان لم يكن فامر الملك ممتثلا فبينما هم واذا الطاي قد
اشتد في عدوه مسرعا فتقدم وقال خشيت ان ينقضي
النهار قبل وصولي فعدوت ثم عدوت ووقف قايما وقال

ايها الملك عربا مرك فاطرق النعمان ثم رفع راسه وقال
والله ما رايت اعجب منكما اما انت يا طاي فما تركت لاحد في
الوفا مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به واما انت يا شريك
فما تركت لكريم سماحه يذكر بها في الكرما فلا اكون انا الام الثلاثه
الا واني قد رفعت يوم بوسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة
لوفا الطاي وكرم شريك فقال الطاي منشدا

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي ؛ فعددت قولهم من الاضلال ؛
اني امرؤ مني الوفاء خليقة ؛ وفعال كل مهذب مفضال ؛

فقال له النعمان ما حملك على الوفا وفيه تلف نفسك فقال
ديني فمن لا وفا فيه لا دين له فاحسن اليه النعمان ووصله بما اغناه
واعاده الى اهله تنبيه ينبغي لذي الوفا بغرضه ويكفي عمله به
في القيام بمفترضه ويشفي فواده باستعماله من بقايا مرضه

حم

فصل في قلايد المحامد المنظومه في اجياد الاجواد وفرايد
الفوايد الموسومه بانتقاد النقاد ان صفة الارتدا برد
الوفا واقية باقية على الاباد وجنة مستحسنة الاثار
بلا فناء ولا نفاد وطريقة هادية الى ادراك كل مرام
ونيل كل مراد وجنة منجية من الانصاف باحد القبيحين
اما ندمان الهمه واما بفساد الاعتقاد وسجية تستميل الى
صاحبها وتستنطق له ارباب القلوب والالسنة من العباد
بالوداد والاحماد وفد نبلج فجر الاسناد الى السلف فاسفر
وتارج زهر النقل الى الخلف فعطر بورود ما قد رقم القلم
وسطر وتحقيق ما شرح من ذلك وذكر ما حط وزبر فان

جم

العباس صاحب شرطة امير المومنين المامون قال دخلت
الى مجلس المامون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد
فقال لي يا عباس خذ هذا اليك واستوثق به واحفظه

صاحب شرطه المامون مع الشامي

لا يفوتنك وبكر به الي واحذر عليه كل الحذر قال العباس
فدعوت جماعه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذا
الوصيه الذي اوصاني بها امير المومنين من الاحتفاظ به ما
يجب ان يكون الا معي في بيتي فلما تركوه في مجلس لي في
داري الذي انا فيه اخذت سالته عن حاله وقصته
من اين هو فقال انا من دمشق فقلت جزا الله دمشق
واهلها خيرا فمن انت من اهلها فقال لا تريد ان تسالني فقلت
له اتعرف فلانا فقال ومن اين تعرفه قلت كانت لي قصه
قال ما انا ممن يعرفك خبره حتى تعرفني قصتك معه فقلت ويحك
كنت مع بعض الولاة بدمشق تشعثت اهلها وخرجوا علينا
حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر حجاج وهرب هو واصحابه
وهربت في الجمله فانا في بعض الدروب اذا جماعه يعدون
خلفي فما زلت اعدوا قدامهم ففتهم فمررت بهذا الرجل الذي
ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت اغثني اغاثك
الله فقال لا باس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت امراته
ادخل الحجله فدخلتها ولبث الرجل على باب الدار فما شعرت
الا به وقد دخل الرجال يقولون هو والله عندك فقال
دونكم الدار ففتشوا الدار حتى لم يبق سوى الحجله وامراته
فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المراة وانتهرتهم فانصرفوا
وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعه وانا قايم في الحجله
خايف ارجف فقالت المراه اجلس لا باس عليك فجلست
فلم البث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك
شرهم وصرت الى الامن والدعه ان شا الله تعالى فقلت له جزاك
الله خيرا ثم ما زال يعاشرني احسن معاشره واجملها ويطعمني معه
وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شي ولم يفتر عن تفقد

حالي فدمت عنده في اتم عيشه اربعة اشهر لا اظهر الى ان سكنت
الفتنه وهدات وزال اثرها فقلت له اتاذن لي في الخروج
حتى اتعرف حال غلماني فلعل اقف منهم على خبر او لهم على اثر
فاخذ علي العهد بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم ار
لهم اثر فرجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا
يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنيه فقال لي علامَ تعزم فقلت
قد عزمت الشخوص الى بغداد فان القافله تخرج بعد ثلثه ايام
وقد تفضلت علي هذه المده ولك علي عهد الله اني لا انسى لك
هذا اليد علي ولاكافينك بها مهما استطعت واسلك ان تتمم ما
فعلت ان تعطيني ما انفقه الى بغداد وما البسه الى ان اصل
الى اهلي وموضعي فقال يصنع الله خيرا ثم قال لغلام له اسود
انعل الفرس الفلاني وتقدم لكل من في داره باعداد سفره فقلت في
نفسي ما اشك في انه يريد يخرج الى صنيعه له او ناحيه من النواحي فوقعوا
يومهم ذلك الى غده في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافله
جاني وقال يا فلان قم فان القافله تخرج الساعه واكره ان
تنفرد عنها فقلت في نفسي ما اعطاني وما وثق بي ثم قمت فاذا هو
وامراته يحملان لي خفين جديدين ورانات معموله والة السفر
ثم جاني بسيف ومنطقه فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل
عليها صندوقين وفوقهما مفرش ودفع الي ما في الصندوقين
وفيهما خمسة الاف درهم وقدم الي الفرس الذي انعله بسرجه
ولجامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس
مركوبك واقبل هو وامراته يعتذران بالتقصير في حقي
وركب معي يشيعني وانصرفت الى بغداد وانا اتوقع خبره لافي
بعهدي له في مكافاته ومجازاته وتواصلت الايام بخدمات
امير المومنين والاسفار فلم اتفرغ لكثرة الشغل مع امير المومنين

من مكان الى مكان فلهذا انا اسال عنه فلما سمع الرجل الحديث
قال قد امكنك الله تعالى من الوفا ومجازاته على فعله ومكافاته
بصنعه بلا كلفه عليك ولا مونه تلزمك فقلت وكيف ذلك
فقال انا ذاك الرجل وانما الضر الذي انا فيه غير علَيك ما عرفته
مني ثم لم يزل يذكرني تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الي حتى اثبت
معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت راسه ثم قلت ما الذي اصارك
الى ما ارى قال هاجت بدمشق فتنه مثل الفتنه التي كانت في ايامك
فنسبت الي وبعث امير المومنين بجيوش فاصلحوا البلد فاخذت
وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى
امير المومنين وامري عنده غليظ وهو قاتلي لا محاله وقد اخرجت
من اهلي بلا وصيه وقد تبعني من غلماني من ينصرف الى اهلي
بخبري وهو نازل عند فلان فان رايت ان تجعل في مكافاتك لي
تبعث تحضره حتى اوصيه بما اريده واتقدم اليه بما يكون وصيته
مني لاهلي فان فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاه وقمت
بوفائك بعهدك قال العباس يصنع الله خيرا ثم احضر حدادا في
الليل فحل قيوده وازال ما كان عليه من انواع الانكال وادخله
الى حمام داره والبسه من ثيابه ما احتاج اليه ثم سير واحضر
غلامه فلما راه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نايبه وقال
علي بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغله
الفلانيه حتى عد عشره من الصناديق والكسوه كذى وكذى ومن
الطعام كذى وكذى قال ذلك الرجل واحضر لي بدره فيها
عشرة الاف درهم وكيسا فيه خمس الاف دينار وقال لنايبه
في الشرطه بين يديه خذه واعبر به الى حد الانبار فقلت له
ان امري عظيم وذنبي عند امير المومنين غليظ وان انت
احتججت عند امير المومنين باني هربت بعث في طلبي كل من

علي بابه فاراد واقتلي فقال لي انج بنفسك ودعني ادبر
في امري فقلت والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من
خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطه
ان كان الامر على ما تقول فليكن في موضع كذى فان انا سلمت
في غداة غد اعلمته وان انا قتلت كنت قد وقيته بنفسي كما
وفاني بنفسه وانشدك الله ان لا تذهب من ماله ما قيمته درهم
وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل واخذني صاحب الشرطه
وصيرني في مقام اثق به وتفرغ العباس لنفسه فتغسل وتحنط
وحضر الكفن قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا والرسل
في طلبي يقولون امير المومنين يقول هات الرجل معك وقم
قال فاتيت الدار واذا امير المومنين جالس وعليه فرجيه امام
فراشه فقال الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا امير
المومنين اسمع مني فقال اعطي الله عهدا الان ذكرت انه هرب
لاضربن عنقك فقلت لا والله يا امير المومنين ما هرب ولكن
حديثي وحديثه عجيب ثم انت اعلم وما تفعل في امري قال قل
فقلت يا امير المومنين كان من حديثي معه كذى وكذى وقصصت
عليه القصه جميعها واعلمته انني اريد اوفي له واكافيه على فعله
معي واعبرته الى جهة الانبار وقلت انا وسيدي ومولاي امير
المومنين بين امرين اما ان يصفح عني فاكون قد وافيت وكافيت
ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه واما ان تقتلني فقد تحنطت
وها كفني فلما سمع المامون الحديث قال ويلك لا جزاك الله
عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفه وتكافيه بعد
المعرفه والعهد بهذا لا غير الا عرفتني خبره فكنا نكافيه عنك
ولا نقصر في وفائك له فقلت يا امير المومنين انه ها هنا قد
حلف لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتيج الى حضوره حضر فقال

المامون

المامون هذه منة اعظم من الاولى اذهب الان اليه حتى
تطيب نفسه ويسكن روعه وتعبر به الي حتى اتولى مكافاته
فصرت اليه وقلت له ليزول عنك خوفك ان امير المومنين
قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السرا والضرا
سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجا فلما مثل بين يدي المامون
اقبل عليه وادناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغدا فاكل معه
وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفاه فامر له المامون
بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة البغال بالاتها وعشرة
بدر وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى العامل بدمشق بالوصيه
به واطلق خراجه وامره بمكاتبته باخوال دمشق فصارت كتبه
تصل اليه وكلما وصلت خريطه البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس
هذا كتاب صديقك تقرير بيان وتحرير برهان كان الخليفه
المامون المقدم ذكره قد ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين
مصر والشام واطلق حكمه فدخل على المامون بعض اخوته فقال
يا امير المومنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد ابي طالب وهواه
مع العلويين وكذا كان ابوه قبله فحصل عند المامون من كلام
اخيه شي من جهة عبد الله ابن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره
فاستحضر شخصا ووضعه في زي النساك الزهاد والعراه
ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال تمضي الى مصر وتخالط جماعة
من الكبرا في السر وتستميلهم الى القسم ابن محمد ابن طباطبا العلوي
وتذكر مناقبه ثم بعد ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر
ثم اجتمع بعبد الله بعد ذلك وادعه الى القسم بن محمد العلوي
واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته واتني بما تسمع ففعل
ذلك الرجل ما امره به المامون وتوجه الى مصر ودعا جماعة
من اهلها ثم كتب ورقه لطيفه الى عبد الله ودفعها اليه وقت

الحكاية المامون وابن طاهر

ركوبه فلما انصرف خرج الحاجب اليه فادخله عليه وهو قاعد وحده
فقال له قد فهمت ما قصدته فهات ما عندك قال ولي الامان
وثقه الله قال نعم لك ذلك فاظهر له ما اراد ودعا الى القسم بن
محمد فقال له عبد الله اتنصفني قال نعم قال فهل يجب شكر الله
تعالى على العباد قال نعم قال فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند
الاحسان والمنه قال نعم فنجى الي الخ وانا في هذا الحال التي تراها
من الحكم والنعمه والامر والولايه ولي خاتم بالمشرق وخاتم
بالمغرب وفيما بينهما امري مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت
عن يميني وشمالي فاري النعمه من هذا الرجل غامره لي قد ختم
بها رقبتي فتدعوني الى الكفر بهذه النعمه وتقول لي اغدر
وجانب الوفا والله لو دعوتني الى الجنه عيانا لما غدرت ولما
نكثت بيعته وتركت الوفا له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله
ما اخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما ايس الرجل
وكشف باطنه وسمع كلامه جا الى المامون فاخبره صورة الحال فسره
ذلك وزاد في احسانه اليه وضاعف مواد انعامه عليه وفي
هذه القصه بيان شاف وبرهان كاف في ان الوفا يجنس
السمعه ولو من الصرعه تاكيد ايضاح وتجديد افتتاح مما يعد
من محاسن الشيم ومكارم اخلاق اهل الكرم ويحث على الوفا
بالعهود والذمم ما رواه حمزه بن الحسن الفقيه في تاريخه قال
قال لي ابو الفتح المنطقي كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي
وهو يوميذ صاحب مصر والشام وله من البسط والمكنه ونفاذ
الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الحد والحصر فحضرت
المايده والطعام فلما اكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه
لقي جماعة منا وقال امضوا الساعه الى عقبة النجارين واسالوا
عن شيخ منجم اعور فان كان حيا فاتوا به وان كان قد توفي فاسالوا

ح

كافور مع المنجم

مال

ماله من الولد قال فمضينا فوجدناه قد مات وقد ترك بنتين
الواحده مزوجه والاخرى عاتق عزبا فعدنا الى كافور واخبرناه
بذلك فسير في الحال واشتري لكل واحد منهما دارا واعطى لكل واحده
ثيابا وكسوة وذهبا كثيرا وزوج العاتق واجري على كل واحده
رزقا واشهر انهما من المتعلقين به لرعاية امورهما فلما فعل
ذلك كله وبالغ فيه ضحك وقال هل تعلمون سبب هذا قلنا لا
نعلم فقال اعلموا انني مررت يوما بوالدهما المنجم وانا في ملك ابن
عباس الكاتب بحالة رثه فوقفت عليه فنظر الي واستجلسني
وقال لي انت تصير رجل جليل وتبلغ مبلغا كثيرا وتنال
خيرا كثيرا وطلب شيا فاعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي
غيرهما فقال ابشرك بهذه البشاره وتعطيني درهمين ثم قال
ازيدك والله انت تملك هذه البلد واكثر منه فاذكرني
اذا صرت الى ما وعدتك به ولا تنسني فبذلت له ذلك وقلت
له نعم فقال عاهدني انك تفي لي ولا يشغلك الملك عن افتقادي
فعاهدته ولم ياخذ الدرهمين ثم انني شغلت عنه بما تجدد لي
من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزله ونسيت ذلك
فلما اكلنا اليوم ونمت رايته في المنام قد دخل علي وقال اين
الوفا بعهدك واتمام وعدك ولا تغدر فيغدر الله فاستيقظت
ففعلت ما رايتم فنمت هذه القصه بمصر واشتهر احسانه الى
بنات المنجم لوفايه لوالدهما فضاعف الدعا والثنا عليه

تنبيه واستبصار وتذكير واعتبار الوفا للكريم شعار
ولصاحبه في مقام الافتخار اشتهار والغدر لمن اعتمده عار
وشنار ونقض العهد عاقبته نار وبوار ومما اسفرت عنه
وجوه الاوراق واخبرت به الثقات في الافاق وظهرت
روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال في الوفا بالاتفاق

ح

حديث السموأل بن عاديا وتلخيص معناها ان امري القيس الكندي
لما اراد المضي الى قيصر ملك الروم اودع عند السموال دروعا وسلاحا
يساوي جملة كثيره فلما مات امري القيس سير ملك من كنده يطلب
الدروع والسلاح المودوعه من السموال فقال السموال لا ادفعه
الا الى مستحقه وابا ان يدفع اليه منها شيا فعاوده فابا وقال لا
اغدر بذمتي ولا اخون اماتني ولا اترك الواجب على فقصده
ذلك الملك من كنده بعسكره فدخل السموال حصنه وامتنع به
فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموال خارج الحصن فظفر
ذلك الملك به فاخذه اسيرا فلما اخذ في الحصار وطاف
حول الحصن نادى السموال فلما اشرف عليه من اعلا الحصن
قال له ان ولدك قد اسرته وها هو معي فان سلمت الي
الدروع والسلاح الذي عندك لامري القيس رحلت
عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت واصررت
على ابايك ذبحت هذا ولدك فاختر منهما ما شيت فقال له
السموال ما كنت لاخفر ذمامي وابطل وفايي فاصنع ما شيت فذبح
ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رحل خايبا واحتسب
السموال ولده وصبر على ذبحه محافظة على وفايه فلما جا
الموسم وحضر ورثة امري القيس سلم اليهم الدروع والسلاح
وراي ان حفظ ذمامه ورعاية وفايه احب اليه من حيوة
ولده وبقايه وصارت الامثال في الوفا تضرب بالسموال
واذا مدح اهل الذمام بين الانام ذكر السموال في الاول
وقد قيل رب غادر لم تظفر يداه بغادر وضاقت
عليه من موارد الهلكه فسحات المصادر وطوقه غدره
طوق خزي فهو على فكه غير قادر واوقعه في خطة خسف
وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه

الاسباب

تعلبه الانصاري

الاسباب ويحكم بها عند ذوي الالباب وينقطع عنها
تطرق الشك والارتياب ويمنع منها وقوع محذور الاخلاف
والاضطراب المجتنب في هذا الباب قضية ثعلبه بن
حاطب الانصاري وتلخيص معناها ان هذا ثعلبه كان
من انصار النبي صلعم فجاه يوما وقال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا فقال له رسول الله صلعم ويحك يا ثعلبه قليل
تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك مرة اخرى
فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلعم اما لك
في رسول الله اسوة حسنه والذي نفسي بيده لو اردت ان
تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك
فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك
بالحق لين رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله
على ذلك فقال صلعم اللهم ارزق ثعلبه مالا اللهم ارزق ثعلبه
مالا اللهم ارزق ثعلبه مالا قال فاتخذ ثعلبه غنما فنمت
عنده كما ينمي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلعم الظهر
والعصر ويصلي باقي الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى
بعد عن المدينه فصار لا يشهد الا الجمعه ثم كثرت ونمت
فتباعد ايضا حتى صار لا يشهد جمعه ولا جماعه فكان اذا
كان يوم الجمعه خرج يلتقي الناس يسالهم عن الاخبار فذكره
رسول الله صلعم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبه قالوا يا رسول الله
اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلعم يا ويح ثعلبه
فانزل الله تعالى اية الصدقه فبعث صلعم رجلين رجل من بني
سليم ورجلا من جهينه وكتب لهما اسباب الصدقه وكيف
ياخذانها وقال مرا بثعلبه بن حاطب وبرجل اخر من بني سليم
فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبه فسالاه الصدقه واقراه

كتاب رسول الله صلعم فقالا ما هذه الا جزيه ما هذه الا اخت
الجزيه انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما
السلمى فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقه ثم استقبلهما
بها فلما راوها قالوا ما هذا قال خذاه فان نفسى به طيبه
فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبه فقال
اروني كتابكما فقراه ثم قال ما هذه الا جزيه ما هذه الا اخت
الجزيه اذهبا حتى ارى رايى قال فاقبلا فلما راهما رسول الله
صلعم قبل ان يتكلما يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه ثم دعا للسلمى
بخير فاخبراه بالذى صنع ثعلبه فانزل الله قوله سبحانه
ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنتصدقن الى قوله
علام الغيوب وعند رسول الله من اقارب ثعلبه
فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبه قد انزل
الله عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبه حتى اتا النبى صلعم
فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان اقبل
منك صدقتك فجعل ثعلبه يحث التراب على راسه فقال له
رسول الله صلعم هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فلما اتى رسول الله
واباان يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلعم ولم
يقبل منه شيا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى
من رسول الله وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال ابو بكر
رضه لم يقبلها رسول الله صلعم منك فلا اقبلها فقبض ابو بكر رضه ولم
يقبلها فلما ولى عمر رضه اتاه فقال يا امير المومنين اقبل صدقتى
فقال لم يقبلها منك رسول الله ولا ابو بكر فانا لا اقبلها فقبض
عمر رضه ثم ولى عثمان فاتاه فساله ان يقبلها منه فقال لم
يقبلها منك رسول الله ولا ابو بكر ولا عمر فانا لا اقبلها ثم هلك
ثعلبه فى خلافة عثمان رضه فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف اذاقه

وبال امره ووسمه بسمة غادر قضيت بخبره واعقبه نفاقا تحريه
يوم فاقته وفقره فاى خزى اربح من ترك الوفا بالميثاق
واى سواقبح من غدر يسوق الى النفاق واى عار افضح
من نقض العهد اذا اعددت مساوى الاخلاق افاده
تهذيب وزيادة تقريب كم اعلا الوفا رتبه من اعتلق بيديه
واغلا قيمه من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله
بالثنا عليه واستطلق الايدى المقبوضه عنه بالاحسان
اليه فانه يلغ من وافدات المحاسن ونادرات المجالس
وواردات الموانس وحادرات العوابس وسافرات العرايس
ان الخليفه المنصور كان متطلعا الى الاحاطه بامور الغابر
عموما والى معرفة احوال بنى اميه خصوصا فبلغه ان فى مشايخ
اهل الشام شيخا معروفا كان بطانة لهشام بن عبد الملك
ابن مروان فارسل اليه المنصور واحضره بين يديه وساله عن
تدبير هشام فى خروجه مع الخوارج فوصف الشيخ له ما دبر وقال
فعل رحمه الله كذا وصنع رحمه الله كذا ودبر رحمه الله كذا فقال
له المنصور قم عليك لعنة الله تطا بساطى وتترحم على عدوى فقال
الرجل وهو مول للخروج ان نعمة عدوك لقلادة فى عنقى
لا ينزعها الا الغاسل فلما سمعها المنصور قال ردوا الشيخ
فلما رجع قال يا امير المومنين ان اكبر الناس لوما من لم يجعل
دعاه لمن احسن اليه وثنا عليه وحمده لمعروفه وفاء له ولو
امكننى القدر واقدرنى القضا عن الوفا لهشام باكثر من ذلك
لوجدنى امير المومنين وافيا له به فقال له المنصور ارجع يا شيخ
الى تمام حديثك اشهد انك نهيض حره وولد رشده
ثم اقبل المنصور على حديثه الى ان فرغ فدعا المنصور بمال
وكسوه وقال خذ هذا صلة منا لك فاخذ ذلك وقال يا امير

المومنين والله مالي حاجة ولقد مات عني من كنت في ذكره
فما احوجني الى الوقوف على باب احد من بعده ولولا جلالة
امير المومنين ولزوم طاعته وايثاري امره لما لبست نعمة
احد بعده فقال المنصور لله انت لو لم يكن لقومك غيرك
لكنت قد ابقيت لهم ذكراً مخلداً ومجداً باقياً بوفائك
لمن احسن اليك ثم اوصى المنصور برعاية اموره وقضا حوائجه
وصار يذكره في خلواته ويستحسن ما صدر منه ومما اجتنيته
بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر
عن الاكابر وتداولته النسخ من الاوايل والاواخر وعد من
جواهر الجواهر وصوادر المصادر ونوادر النوادر ما رواه خادم
امير المومنين المامون قال طلبني امير المومنين ليلة وقد مضى
من الليل ثلثه فقال خذ معك فلانا وفلانا وسماهما احدهما
علي بن محمد والاخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقوله لك
فان اصحاب الاخبار قد اكثروا في ان شيخا يحضر ليلا الى
اثار اماكن البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكراً جميلا ويندبهم
حتى الخرابات فاستتر واختف بعض الجدار فاذا رايتم الشيخ
قد جا وندب وبكى وانشد شيا فاتوني به قال فاخذتهما ومضينا
حتى وردنا الخرابات واذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسي
من حديد واذا الشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وصلف فجعل
يبكي وينتحب وانشد

ولما رايت السيف حلل جعفرا ⁕ ونادى مناد للخليفة في يحيى ⁕
بكيت على الدنيا وايقنت انه ⁕ قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا ⁕
اجعفر ان تهلك فرب عظيمة ⁕ كشفت ونعمى قد وصلت بها نعمى ⁕

مع ابيات اطالها وردها مترا كدا له لما فرغ وقبضناه فجزع
وفزع وقال من انتم فقلت له انا من خواص امير المومنين وهذا

فلان

ما صنع البرامكة للمامون

فلان وفلان قال فما تريدون مني قال فاعلمته ما امر امير المومنين
به من اخذه الى مجلسه فقال ذروني اوصي وصية فاني لا آمن من
العطب ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح ودفع خاتمه واخذ
ورقة وكتب فيها وصيته وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما دخل
الى المجلس ومثل بين يدي امير المومنين المامون ذبره وقال من
انت وبما استوجب البرامكة منك ان تفعل ما تفعله في خراب
دورهم قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا امير المومنين للبرامكة
عندي ايادي خضره فان اذن لي امير المومنين حدثته حالي معهم
قال قل قال يا امير المومنين انا المنذر بن المغيره من اولاد الملوك
فزالت عني نعمتي كما يزول عن الرجال فلما ركبتني الديون واحتجت
الى بيع مسقط راسي وروس اهلي اشاروا علي بالخروج الى البرامكة
فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلثون امراة وصبيا وصبية
وليس معنا ما يباع ولا ما يرهن حتى دخلنا بغداد ونزلنا بباب
الشام في بعض المساجد فدعوت بثياب لي كنت قد اعددتها لاستتر
بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شي عندهم ودخلت
شوارع بغداد اسال عن دور البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف
وفي جانبه شيخ باحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت
في القوم وولجت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم
واوخر والعرق يسيل مني لاني لم اكن معتودا لذلك ولا تلك
الحالة من صناعتي واذا بخادم قد اقبل فحدث الخادمين وازعجوا
القوم فقاموا وانا معهم فادخلونا دار يحيى بن خالد فاذا
يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مايه
واحد وبين يدي يحيى عشرة من ولده واذا غلام امرد
حين عذر خداه قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مايه
خادم متقرطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب

بقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمره من ذهب
في كل مجمره قطعة من عود كهيية الفهر قد قرن به مثله من العنبر
السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب
يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عايشه من ابن عمي هذا
فخطب القاضي وزوج وشهد اولئك الجماعه واقبلوا علينا بالنثار
ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المومنين ملا كمي
ونظرت فاذا نحن في الدكه ما بين المشايخ ويحيى وولده والغلام
مايه واثنا عشر رجلا فخرج مايه خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم
صينيه فضه عليها الف دينار شاميه فوضع بين يدي كل رجل
منا صينيه فرايت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم
ويجعلون الصواني تحت اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت
وحدي بين يدي يحيى لا اجسر على اخذ الصينيه فغمزني الخادم
فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي واخذت الصينيه
في يدي وقمت وجعلت اتلفت الى وراي مخافه ان امنع
من الذهاب بها فبينما انا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني
فقال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فامر بسلب
الدنانير والصينيه وما كان في كمي ثم امرني بالجلوس فجلست
فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم احضر
موسى فاتى فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واخلطه
بنفسك ونعمتك فقبض موسى على يدي واخذني دارا من
دوره فاكرمني وعاشرني يومي وليلتي اكلا وشربا فلما اصبح
دعا باخيه العباس وقال ان الوزير امرني بالقصف مع هذا الفتى
وقد علمت اشتغالي في دار امير المومنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل
فلما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم
تتداولني عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني أ في

الاموات

الاموات هم ام في الاحيا فلما كان اليوم العاشر وقعت بلى
يد الفضل فزاد في اكرامي فلما كان اليوم الحادي عشر جاني
خادم ومعه جماعه من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك
بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينيه وقد
هلكت الثياب واخرج الى عيالي بهذه الحاله انا لله وانا اليه
راجعون فرفع لي الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع
فلما رفع الخادم الاخر قال لي مهما رايت قد بقي من حوايجك
فقدم سالي به فانا مامور بقضا جميع ما تامر به فلما رفع الستر
رايت حجره كالشمس حسنا ونورا استقبلني منها رايحة
الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني يتقلبون
على الحرير والديباج واذا قد حمل لي الف الف درهم مبذره
وعشرة الاف دينار وقبالتين بضيعتين وتلك الصينيه
التي كانت معي والدنانير والبنادق فبقيت يا امير المومنين
مع البرامكه في دورهم ثلثة عشر سنه لا يعلم الناس احد
البرامكه انا ام رجل غريب اصطنعوني فلما جات
القوم البليه ونزل بهم من امير المومنين الرشيد ما نزل فقصد
عمرو ابن مسعده فالزمني في هاتين الضيعتين من الخراج
ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في اواخر
الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم
الي ووفايهم على احسانهم فقال المامون علي بعمرو بن مسعده
فلما اتي به قال يا عمرو اتعرف هذا الرجل قال نعم يا امير
المومنين هو بعض صنايع البرامكه قال كم الزمته في
ضيعتيه قال كذا وكذا قال رد عليه كلما استاديته منه
في مدته واوغر ضيعتيه تكون له ولعقبه من بعده فعلا نحيب
الرجل وبكاوه فلما طال قال له المامون احسنا اليك فلم تبك

قال يا امير المومنين هذا ايضا من صنايع البرامكه اني رايتك
يا امير المومنين لو لم ات خرآ اباتهم وابكيهم واندبهم حتى انصل
خبري بامير المومنين ففعل بي ما فعل من اني كنت اصل
الى امير المومنين قال ابرهيم ابن ميمون فلقد راينا المامون
وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه على القوم وقال العمري
من صنايع البرامكه فعليهم فابك واياهم فاشكر وبهم
فاوف ولاحسانهم فاذكر ولنجعل لهذا الباب
من القضايا الحسنه ختاما هو اوجزها كلاما واحوزها مراما
واحسنها نظاما وابينها حِكَما واحكاما وهي قضيه جمعت
الامرين وفاءً وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا
وضرا واطلاقا وحجرا واشتملت على حال شخصين وفا
احدهما بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما
امل ورجا واستنشق من نسيم الاسعاف بمبتغاه نشرا
وارجا وساعفه التوفيق فعلم ان من يتق الله يجعل له من
امره مخرجا وغدر الاخر فاغوى به غدره من اعوان العطب
همجا واخاضه من لجج التلاف والهلاك لججا ولم يجد له من
جزا غدره الى النجاة فرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد
الكريم وكان مطلعا الى احوال احمد بن طولون عارفا بامورة
عالما بوروده وصدوره وقال ما معناه ان احمد كان يرثي
من يطرح على الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدر عليهم النفقات
رغبة في الثواب وتقربا الى الله تعالى بهذه الاسباب
فوجد عند سقاينه بالمعافر طفلا مطروحا فالتقطه ورباه
وسماه باسم احمد واشهره باليتيم فلما كبر ونشا كان اكثر الناس
ذكا وفطنة واحسنهم رؤا وصوره فصار يرعاه ويعلمه
وهو يعرف باحمد اليتيم فلما حضرت احمد بن طولون الوفاه اوصى

لولده ابا الجيش خمارويه فاخذه اليه فبعد موت ابن طولون
احضره الامير ابا الجيش وقال له انت عندي بمنزلة ارعاك
بها ولكن عادتي انني اخذ العهد على كل من اصرفه في اموري
انه لا يخونني في شي فعاهده ثم حكمه في امواله وقدمه في اشغاله
فصار احمد مستحوذا على المهام حاكما على جميع الحاشيه الخاص
والعام والامير ابو الجيش يحسن اليه كلما راى خدمته متصفه
بالنصح ومساعيه متسمه بالنجح فركن اليه واعتمد في اسباب
بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة الفلانيه
ففي المجلس حيث اجلس سبحة جوهر فجيني بها فمضى احمد
فلما دخل الحجره وجد جاريه من مغنيات الامير وحظاياه
مع حدث من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما راياه
خرج الفتى فجات الجاريه الى احمد وعرضت نفسها عليه
ودعته الى قضا وطره منها فقال لها معاذ الله ان اخون
الامير وقد احسن الي واخذ العهد علي ثم تركها واخذ السبحه
وانصرف الى الامير وسلم اليه السبحه وبقيت الجاريه
شديده الخوف من احمد ليلا يذكر حالها للامير فبقيت
اياما ولم تجد من الامير ما ينكره من اقباله ولا ظهر لها ما
توهمته في احمد من تسرعه في مقاله وانهاء حاله فاتفق
ان الامير اشترى جاريه وقدمها على جميع حظاياه وعمرها
بعطاياه واشتغل بها عمن سواها واعرض لشغفه بها
عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جاريه غيرها ولا يراها
وكان اولا مشغوفا بتلك الجاريه الجايره الخاينه
الخاسره الغاشه الغادره العاتيه العاهره الفاسقه
الفاجره فلما اعرض عنها اشتغالا بالجديده المجيده
المسعده السعيده الواده المودوده الحامده المحموده

الوصيفه الموصوفه الاليفه المالوفه الراشفه المرشوفه
العارفه المعروفه وصرفته بهجة محاسنها وادابها وجهه
عن ملاعبة اترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارساف
ضريب اضرابها فهجر حظايا مقاصيره واقتصر عليها في
طويل تنعمه وقصيره وكانت تلك الاولة لحسنها منا وره
على تاميره مطرحة حكم امره ولا تخاف من وليه ولا
نصيره فتكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع
احمد اياه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت
من الكابه بجلباب تمكرها وركبت وجهها في صورة حزن
اقتادتها بزمام فكرها واجهشت بالبكا بين يديه لاتمام
كيدها ومكرها وقالت ان احمد اليتيم راودني عن نفسي فلما
سمع الامير استشاط غضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده
حاكم عقله فتانى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال
له اذا ارسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقلت لك
على لسانه املا هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل
راسه في الطبق واحضره مغطا ثم ان الامير ابا الجيش
جلس لشربه وعنده ندماوه الخواص من شربه واحمد اليتيم
واقف بين يديه امنا في سيرته جاريا على عادته في اجتنا
جنا قربه لم يخطر بخاطره ولا تقلب في قلبه شي مما نسب
اليه وقذف به فلما ثمل الامير واخذ منه ما كان يتناوله
قال يا احمد خذ هذا الطبق وامض به الى الخادم الفلاني
وقل له يملاه مسكا فاخذه احمد اليتيم ومضى واجتاز في
مضيه بالمغنيين وبقية الندما والخواص فقاموا اليه وسالوه
الجلوس معهم ساعه فقال انا ماض في شغل الامير لحاجة امرني
باحضارها في هذا الطبق فقالوا ارسل من ينوب عنك في

احضارها

احضارها وخذها وادخلها الى الامير فاذا رغبته فراى الفتى
الفراش الذي كان مع الجاريه المقدم ذكرها فاعطاه
الطبق وقال له امض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك
الامير املا هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم
وذكر له ذلك فقتله وقطع راسه وغسله وجعله في الطبق
وغطاه واقبل به فساله احمد اليتيم وليس عنده علم من
باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتامله فقال ما هذا
فقص عليه خبره وقعوده مع بقية الندما وامساكهم اياه
وسوالهم الجلوس معهم وما كان من انفاذه الطبق
والرساله مع الفراش والله لا علم له غير ما ذكره قال افتعرف
لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما قد جرى عليه فقال ايها
الامير ان الذي تم عليه مما ارتكبه من خيانتك وقد كنت
رايت الاعتراض عن اعلام الامير بذلك واخذ يحدثه بما
شاهده وما جرى له وحديث الجاريه من اوله الى اخره
لما انفذه لاحضار السبحه فدعا الامير ابو الجيش بتلك
الجاريه واستقرها فاقرت بصحة ما ذكره احمد فاعطاه اياها
وامره بقتلها ففعل وازدادت مكانته عنده وعلت منزلته
لديه وضاعف احسانه اليه وجعل ازمة جميع ما يتعلق به
بيديه ولم يجعل لاحد من عظما تلك الدوله حكما يتسلط
به عليه فانظر الى اثار الوفا كيف يحمي من المعاطب
وينجي من قبضة التلف بعد امضا القواضب ويفضي
بصاحبه الى ارتقا غوارب المراتب ويفضي على مرتدي
رداه بسعيه الخايب واملة الكاذب ويرمي شيطان حدسه
ومتقل نفسه من انتقام الله تعالى بشهاب قدره الثاقب
وسهم قضايه الصايب فهذا الغلام لما وفا لمولاه بعهده

وهو يسير مثله وليس في الحقيقة لعبده واطلع الله جل
وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع عنه هذه الفتنة
الشنيعة بلطف من عنده فكيف اذا كان العبد مع خالقه
ورازقه وافيا في طاعته بعهده باذلا في واجبات عبادته
واجتناب معصيته مستطاع جهده فانه تعالى وتقدس
يفيض عليه من الطافه مواهب بره ورفده ويمنحه من رافته
ما يتعجل به انجاز وعده ويفتح له من انواع رحمته واقسام
نعمته ما لا ممسك له من بعده خاتمة لهذا الباب في الحكم
المنثوره في الوفا والالفاظ المذكوره بين اخوان الصفا
منها الوفا من كرم السجايا والغدر من لوم الطباع
فمن عرف بالوفا خصته القلوب بصدق الوداد وكسته الالسن
مطارف الاجياد ومن عرف بالغدر عومل بالمقت
والابعاد واتسم باقبح السمات بين العباد ومنها
من تخذ الوفا شعارا امن عقوبة الغادرين ومن ارتدى
برداء الغدر ابقى له ذكرا في الاخرين ومن عامل الناس
بالوفا قولا وفعلا فقد استخدم السنة الشاكرين ومنها
من غدر في عهده واخلف في وعده ونقض في عرى
عقده فقد قضى على نفسه بخسة روبته وسوء عقيدته
وقلة مروته وترك له بين الناس ذكرا قبيحا وسمعة
سيئة وزهد الناس فيه ونفرت القلوب عنه ورتعت
الذامين في عرضه

الباب الثامن في التيقظ

وانتهاز الفرصه وذم التواني والغفلة لما كانت
اليقظة في الامور والمسارعة الى احراز قصباتها والمسابقة
الى نيل المقاصد بانتهاز فرصها قبل فواتها ومجانبة اسباب
الغفلة

الغفلة عن افاتها من اكمل مزايا النفس المويده واحسن
صفاتها امر الله سبحانه وتعالى عباده في السور المنزلة
بمحكم اياتها فقال جل وعلا تارة وسارعوا وتارة سابقوا
بينتها على ان يقظة النفس ومبادرتها الى مصالحها
من حسناتها وغفلتها وتوانيها عن واجب ذلك من
شقاوتها وسيئاتها فمن سمت نفسه الى تسنم رتب المعالي
وتراءت همته ليستخدم ببيض الايام وسود الليالي واحب
انتظام الامور لديه في سلك مطلوبه الدايم ومرغوبه المتوالي
تسربل بملابس اليقظة المغنية عن استعمال قواضي القواضب
وعوامل العوالي لينكشف له بها موارد الهلكة والخطل
والخلل في القول والعمل فتهون لديه عظايم الامور وتعظم
مهابته في الصدور وتتحامى الناس ان يعاملوه بشي من
المحظور والمحذور ومتى اثر على تعب اليقظة راحة
الاهمال وركن الى دعة التواني والاغفال وسكن في
مساكن الغافلين عما يؤول اليه حال المغترين بالحال في
الاستقبال كان جديرا بانتقاض مبرم ما ركن اليه
واعراض الناس عنه بعد اقبالهم عليه ويوول امره الى
ندام يعض بها على يديه ويكفي في نقيصة الغفلة وذم
المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان
كان في امر ملك او دنيا خسر خسارة لا يجد على دفعها معينا
وان كان في حال الاخرة خسر والله خسرانا مبينا وقد انفذ
الله جل وعلا حكمه بذلك وابرمه وقصه في كتابه العزيز الذي
انزله واحكمه فقال عز من قايل في حق من سبق قضاوه
فيهم بدمارهم وجرى القلم في القدم ببوارهم اوليك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ثم صرح

بخسارتهم معلله بغفلتهم فقال تعالى اوليك هم الغافلون لا
جرم انهم في الاخره هم الخاسرون وكما ان الخساره من لوازم
الغفله فكذا الربح من لوازم اليقظه ومن هذا قال ابو سعيد
الحسن البصري التواني راس خسران الدنيا والاخره وقال
عبد الله بن المقفع حفظت من الحكم ما هو ضيا يهدي المتمسك
به نهج النجاة ان اعانته العناية الالهيه بالتوفيق انتهز
الفرصه فانها خلسه وبث عند راس الامر ولا تلبث عند الاخره
واياك والعجز فانه اوضع مركب واحذر التواني فانه يجلب
انواعا من البلا وقد قيل من فرع مطية التيقظ في
جلباب العزم فاوضعها وادرع جنة الحزم للتي ما الف ما
عنده ذو درايه ولا خلعها واحرز قصبات السبق في
انتهاز الفرص عند امكانها بجمعها وزحزح عن المسارعه
الى ارتياد المراد مواد الغفله وقطعها كان جديرًا بان
يحيا بمقترحات الاماني مخزومه له بزمامها وتجني اليه ثمرات
المطالب مستخرجه من اكمامها وتحل له عقايل المعاقل
فيتملكها بعد استعظامها هذا كسرى عظيم ملوك
الفرس خص ببقا الذكر واشتهار السمعه واشتهار
الصيت واستقامه الحال وحراسة الملك وحفظ
الرعايا وحماية البلاد وانقياد الناس له وميل
القلوب بمحبتها اليه ومخافة الاعدا منه كل ذلك
بيسره الله له بما الهمه اياه من كمال التيقظ الذي لم
يسبقه احد بمثله ولم يلحقه غيره بما يقرب منه
حتى نقل انه كان اشد الناس تطلعا الى خفايا
الامور واعظم خلق الله تعالى تفحصًا وبحثا عن
اسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس

في

في البلاد ليقف على حقايق الاحوال ويطلع على غوامض
القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتاديب والمصلح
فيجازيه بالاحسان ويقول ما معناه متى غفل
الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت
من القلوب هيبته ولا يامن دخول خلل عليه في ملكه
وانبسطت ايدي حاشيته وغاشيته باتباع هواها
وتسلطت اطماع عماله على اقتطاع امواله وافشا بهت
وصارت رعاياه توصي لارتكابها نهج علوايها
فلا جرم علم كسرى ان سلوك سبيل التيقظ تهدي
الى الصلاح فصلح ملكه باتباعه وابتهاجه وفهم ان
اقتران التواني والغفله ينتج الفساد فساد على
العالم باجتنابه مخافة انتاجه وهكذا كل من اقتفى
في التيقظ طريقه واثره فارتقى في نهج معراجه يامن
على نظام ملكه من اختلاله وعلى ظل حاله من اعوجاجه
ومما ادركته ابصار البصاير وامتزنه السنة الاوايل
الى اسماع الاواخر وجملته بطون الدفاتر من نطف
مياه المحابر انه لم يكن في ملوك الامم ومقدميها
من ملأ قلوب رعيته فرقا ووجلا وكشف عن وجه
ولايته صدا الغفله وجلا وبسط في ايام ايالته لكل
محق املا وضبط اقسام دولته بيقظته حتى امن في
جنده فشلا وفي ملكه خللا وفتح من معاقل البلاد ما
ما صار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون
رواده على عمال بلاده واجلا اجناده ليعلم ايهم احسن
عملا مثل ازدشير بن بابك بن ساسان من ملوك
الاعاجم قبل الاسلام ومثل امير المومنين عمر

ابن الخطاب رضه فاما ازدشير فانه في مدة ولايته
وايام دولته وهي اربع عشر سنه وعشرة اشهر اظهر
من اثار يقظته ما هو مذكور في سيرته ومشهور بين
الاعاجم بتفصيله وجملته واما امير المومنين عمر بن الخطاب
رضه فانه بدل جهده في تسديد الامور وسد الثغور
وسياسة الجمهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التي
فيها شفا لما في الصدور حتى قيل ان علمه كان من نأى
من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاده فلم يكن
له في قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من
النواحي وال ولا عامل ولا امير الا وله عليه عين لا تفارقه
وكانت اخبار الجهات كلها عنده كل صباح ومسا حتى
ان العامل كان يتوهم في اقرب الناس اليه واخصهم به
انه عين عليه فساس سياسة ازدشير في الكشف عن الاسرار
والتطلع الى حقايق الاخبار وسيرته رضه في تفاصيل هذه
الاسباب يغني اشتهارها عن الاطناب في هذا الباب
حتى كان يطوف بنفسه في كثير من الليالي في سكك المدينه
ليقف على قضايا الرعايا خوفا ان يتجدد حالة لا تصل
اليه فيواخذ بالتقصير فيها ولقد قال انس بن مالك رضه
ان امير المومنين عمر بن الخطاب رضه خرج ليله من الليالي
في الظلمه يطوف لافتقاد احوال المسلمين فراى بيتا من
الشعر مضروبا لم يكن قد راه بالامس فدنا منه فسمع منه
انين امراة وراى رجلا قد دنا منه وقال له من الرجل
فقال رجل من الباديه قدمت الى امير المومنين اصيب
من فضله قال فما هذا الانين فقال امراه تمخض قد اتاها
الطلق قال فهل عندها احد قال لا فانطلق عمر والرجل

سيرة عمر

عمر مع الامراة الوالدة

لا يعرفه فجا الى منزله فقال لامراته ام كلثوم بنت علي بن
ابي طالب هل لك في اجر قد ساقه الله تعالى اليك قالت
وما هو قال امراة تمخض وما عندها احد قالت ان شيت
قال خذي ما يصلح للمراة من الخرق والدهن وجيبي بقدر
شحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى اتي
البيت فقال ادخلي الى المراه وجا حتى قعد الى الرجل
وقال اوقد لي نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها تحت
البرمه حتى انضجها وولدت المراه فقالت ام كلثوم
رضها يا امير المومنين بشر صاحبك بغلام فلما سمع الرجل
يا امير المومنين كانه ارتاع لذلك وقال يا امير المومنين
واخجلتاه منك هكذا تفعل بنفسك فقال يا اخا العرب
من ولي شيا من امور المسلمين ينبغي ان يتطلع على صغير
امرهم وكبيره فانه عنها مسيول ومتى غفل عنها خسر
الدنيا والاخره ثم قام عمر رضه واخذ القدر من النار وحملها
الى باب البيت فاخذتها ام كلثوم واطعمت المراه فلما استقر
وسكنت طلعت ام كلثوم فقال للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي
في البرمه وفي غد تاتي الينا فلما اصبح جاه فجهزه بما اغناه
به وانصرف وكان من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة
قسطاس العدل وازاحة اسباب الفساد واصلاح الامة يعس
بنفسه ويباشر امور الرعيه سترا في كثير من الليالي حتى انه في
ليلة مظلمه خرج بنفسه فراى في بعض البيوت ضو سراج
وسمع حديثا فوقف على الباب ينظر فيه فراي عبدا
اسودا قدامه انا فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعه
فهم بالدخول فلم يقدر الباب فتسور على السطح ونزل اليهم
من الدرجه ومعه الدره فلما راوه قاموا وفتحوا الباب

عمر مع العبد

وانهزموا فامسک الاسود فقال له یا امیر المومنین اننی قد
اخطات فاقبل توبتی فقال اریدان اضربک علی خطایک
فقال یا امیر المومنین ان کنت قد اخطات فانت اخطات
ایضا فقد اخطات فی ثلاثة اشیا اولها قال الله تعالی ولا
تجسسوا وانت تجسست وقال تعالی واتوا البیوت من ابوابها
وانت اتیتنا من السطح وقال تعالی ولا تدخلوا بیوتا غیر بیوتکم
حتی تستانسوا وتسلموا علی اهلها وانت دخلت وما سلمت
فهب هذه لهذه وانا تایب الی الله تعالی علی یدک اننی لا اعود
فتوبه واستحسن کلامه ولهٔ رضه وقایع کثیرة مثل هذه تشهد
علی حرصه وعلی معرفته بالامور وکان معویه بن ابی سفیان
قد اخذ نفسه بالتطلع الی استعلام بواطن امور الرعایا وسلک
طریق امیر المومنین عمر فی ذلک وکان زیاد بن ابیه یسلک مسلکه
فی ذلک حتی نقل عنه ان رجلا کلمه فی حاجة له وجعل یتعرف
الیه ویظن ان زیادا لا یعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم
زیاد وقال له اتتعرف الیّ وانا اعرف منک بنفسک والله
انی لاعرفک واعرف اباک واعرف امک واعرف جدک
وجدتک واعرف هذا البرد الذی علیک وهو لفلان وقد
اعارک اياه فبهت الرجل وارعد حتی کاد یغشی علیه ثم جا من
بعدهم من اقتدی بهم عبد الملک بن مروان والحجاج ولم
یسلک بعدهما احد ذلک الی ان ولی المنصور فبعث ونصب
العیون واقام المتطلعین ورصد المتخبرین وبث فی البلاد
والنواحی من یکشف له حقایق القضایا ویخبره بالامور بالرعایا
فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلی فی
ایام خلافته باقوام لا تبرد شرارهم ولا ترد اشرارهم ولا یفل
استعارهم ولا تفل انصارهم ولولا ان الله تعالی اعانه بیقظة

لا تهجع جفن سهادها ولا تقطع عزایم امدادها لما ثبت له فی
الخلافه قدم ولا رفع له مع بعض اولیک علم لکنه بث العیون
فعرف من انطوی علی خلافه فعاجله باتلافه واطلع علی عزایم
المعاندین فقطع روس عنادهم باسیافه وصار بکمال یقظته
یتلقی المحذور بدفعه دون رفعه ویعاجل المخوف بتفریق شمله
قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر
قواعدها واحکمها باوثق الاسباب فمن اثار یقظته وفطنته
ما رواه بدیل بن حبیب قال دخلت یوما علی المنصور للسلام علیه
مع الناس فاهوی الی بیده فقبلتها فوضع فی یدی شیا لطیفا
فقبضته بیدی وخرجت فتاملته فاذا هو ورقة مطویه فنشرتها
وفیها اذا قرات کتابی هذا ودخل الناس غدا فادخل معهم واطلب
منی اذنا فی سفرک الی ضیاعک بالری وقل قد خلت احوالها
ولی حاجة الی اصلاحها قال بدیل فدخلت مع الناس وقلت
یا امیر المومنین ضیاعی بالری قد اختلت احوالها وفسدت امورها
وبی حاجة الی مطالعتها فقال لا کرامة لک فی ذلک ولا اذن
فخرجت ثم دخلت فی الیوم الثانی وعاودته فقال ذلک
الجواب واغلظ فی القول فقلت یا امیر المومنین انما ارید صلاحها
لاتقوی بها علی خدمتک فقال مبارک اذا شیت فاذهب
فقلت یا امیر المومنین ولی حاجة اذکرها فقال قل قلت احتاج الی
خلوة فنهض القوم الجلوس وخرج الوقوف وبقی الربیع وحده
فقلت اخلنی فقال ومن الربیع ایضا فقلت نعم فنهض الربیع
فلما لم یبق احد سواه قال لی یا بدیل ان حدثت بنفسک وما کنت
فی موضع ظنی بک فقلت یا امیر المومنین هل انا ومالی
الا من نعمتک فانک حقنت دمی ورددت علی مالی واثرتنی
بنصیحتک فانا واقف مع امرک فقال یا بدیل قد حدس فی نفسی

المنصور
وبديل ح
فرار

ان مرارا قد عزم على خلعي وترك طاعتي وليس لي من يكشف
باطن امره غيرك لما بينكما من الالف فاذا صرت اليه الى الري
فاظهر الوقيعة فيَّ والتنقص بي حتى تعرف ما عنده فاذا عرفت
ما عنده فاكتب الي ولا تكتب على بريد ولا مع رسول ولا تركن الى
من لا عمدة لك عليه ولا يفوتني خبرك كل يوم وقد نصبت لك
فلانا القطان في دار القطن بالري في الدكان الفلانية فهو يوصل
كتبك على ايدي من قد رتبتهم عنده قال بديل فمضيت حتى
دخلت الري فدخلت على مرار فقال افلت وخلصت قلت
نعم ولله الحمد ثم اقبلت عليه او انسه بالوقيعة في المنصور واظهار
السرور بالخلاص منه حتى اظهر ما كان المنصور قد ظنه به فكتبت
الى المنصور بذلك فلما وصلت الكتب ووصلت الى معرفة
ما كنت اردت من معرفة ما عنده خرجت الى ضياعي ثم رجعت
اليه بعد ايام فقال لقد نجاك الله من الفاجر فقلت نعم وارجوا
ان لا تقع عينه علي ابدا وكنت اعرض به فيزيدني مما عنده
ثم قال لي هل لك ان تخرج الى منزه طيب قلت نعم فخرجت
انا واياه نتساير حتى وصلنا الى موضع مشرف بنيت عليه
قبة حسنة فاخذ ينظر الى ما هناك ثم قال يا بديل اترى الفاجر
يظن اني اعطيه طاعة ابدا ما عشت اشهد اني قد خلعته كما
خلعت خفي هذا من رجلي قال بديل فرجعت الى منزلي وانا
كل يوم اكتب بخبره وكنت قد اعددت عشرة من الفرسان الاجلاد
تسعة من بني يربوع وواحد من بني اسد وواطيتهم على ان
يبطشوا به وكتبت الى المنصور بذلك ثم ان مرارا حصل له
حاجة الى دوا فشربه في ذلك اليوم فسبق اليه ذلك الرجل الاسدي
وقال له خذ حذرك من بديل فقد عزم على قتلك قال بديل
فخرجت ثم دخلت عليه وهو على كرسي له فعرفت الشر في وجهه

والمنكر

والمنكر في نظره وقال هيه يا بديل مع اكرامي لك تريد ان تقتلني
قال بديل فتضاحكت ثم قلت بلغ من مكر الخبيث انه دس هذا
الاسدي يغريك بي لمنافسة لقد عملت حيلته فيك ثم ان بطنه
حركته فقام الى الخلا وقال لي لا تبرح فلما ولى قمت وخرجت
مسرعا فقال لي الحاجب اسرعت قلت نعم في حاجة للامير فركبت
فرسي فرايت اليربوعيين فاخذتهم وانصرفنا ولم ار الاسدي
فعلمت انه صاحب السعاية بي اليه فلما خرج لم يجدني فوجه
خيلا في طلبي ففتهم ومال عليهم اليربوعيين فدفعوهم واسرعت
الى المصمغان وكنت عنده وكتبت بما ظهر الى المنصور
فسير حازم بن خزيمة بجنود كثيرة فاخذوا مرارا ومما نظمته
يقظته في عقدها وشهد له بمضاء حدها ما نقله عقبة بن سلم
الازدي قال دخلت على المنصور مع الجند فلما خرج الجند ردني
وقال انت قلت رجل من الازد وانا من جند امير المومنين
قدمت الان مع عمر ابن حفص فقال اني ارى لك هيبة وفيك
نجابة واريدك لامر انا معني به فان كفيتنيه رفعتك فقلت
اني لارجوا ان اصدق ظن امير المومنين في فقال اخف نفسك
واحضرني يوم كذا وكذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت
ولم نترك عنده احد وقال لي ان بني عمنا هولاء قد ابوا الا كيدنا
لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويرسلون اليهم بصدقات اموالهم والطاف بلادهم
فاخرج بكتب والطاف وعين من عندي حتى تاتي عبد الله بن
حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وتقدم عليه متخشعا والكتب
عن الشيعة اهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا
راك فانه سيجهل ويقول لا اعرف هولاء القوم فاصبر له
وعاوده وقل له سيروني سيرا وسيروا معي الطافا وعينا وكلما

المنصور مع عبد الله بن الحسن بن الحسين

جبهك اصبر له وعاوده واكشف باطن امره قال عقبه فاخذت
كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت
على عبد الله بن حسن بن الحسين فلقيته بالكتب فانكرها ونهرني
وقال انا ما اعرف هولا القوم قال عقبه فلم انصرف وعاودته
القول وذكرت له اسم القريه واسما اوليك وان معي منهم
الطافا وعينا فانس بي واخذ الكتب وما كان معي قال عقبه
فتركته ذلك اليوم ثم سالته الجواب فقال اما كتاب فما اكتب الى
احد ولكن انت كتابي اليهم واقرهم السلام واخبرهم ان اولادي
محمد وابرهيم خارجان لهذا الامر لوقت كذا وكذا قال عقبه
فشخصت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته الخبر
وباشيا كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني اريد الحج فاذا صرت
بمكان كذا وكذا يلقاني بني الحسن وفيهم عبد الله فاني اعظمه
وارفعه واحضر الطعام فاذا فرغ من اكله ونظرت اليك فامثل
بين يديه وقف قدامه فانه سيصرف وجهه فدر حتى تقف وراه
واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملا عينه منك ثم انصرف عنه
واياك ان يراك وهو ياكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا
قارب البلاد تلقاه بنو حسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه
وطلب الطعام للغدا فاكل معه هو وجماعته فلما فرغوا امر برفعه
فرفع ثم اقبل على عبد الله بن حسن وقال يا ابا محمد قد علمت ما اعطيتني
من العهود والمواثيق لا تبغيني بسو ولا تكيد لي سلطانا قال فانا
على ذلك يا امير المومنين قال عقبه فلحظني المنصور فقمت
حتى وقفت بين يدي عبد الله فاعرض عني فدرت من خلفه
وغمزت ظهره بابهامي فرفع راسه الي وملا عينه مني ثم وثب
حتى جثا بين يدي المنصور وقال اقلني يا امير المومنين اقالك
الله فقال له المنصور لا اقالني الله ان لم اقتلك ثم امر بحبسه

وجعل

وجعل يتطلب ولديه محمدا وابرهيم ويستعلم اخبارهما فقال
علي الهاشمي صاحب عذابه قال دعاني المنصور يوما فاذا بين
يديه جاريه صفرا وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها
ويلك اصدقيني فوالله ما اريد الا الالفه ولين صدقتيني لاصلن
رحمي ولا تمابعن البر اليه واذا هو يسال عن محمد بن عبد الله بن الحسن
ابن علي بن ابي طالب وهي تقول لا اعرف مكانه فامر بعذابها
فلما بلغ بها العذاب واغمي عليها قال كفوا عنها فلما راي ان نفسها
كادت تتلف قال ما دواها قالوا شم الطيب وصب الما
البارد على وجهها وتسقي السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور
بعضه بيده فلما افاقت وحدثها وعاود المسئله عنه فقالت
لا اعلم فلما راي اصرارها على الجحود قال لها اتعرفين فلانه
الحجامه فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا امير المومنين
ملك في بني سليم قال صدقت هي والله اختي ابتعتها بمالي
ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها
من عندي سيرتها وامرتها ان تدخل منازلكم وتحجمكم وتخدمكم
وتتعرف احوالكم واخباركم ثم قال لها اتعرفين فلانا البقال
قالت نعم هو في بني فلان قال صدقت اتعرفين كلا هو والله
غلامي ومضا ربي ودنانيري عنده امرته ان يبتاع بها ما يحتاج
اليه من الامتعه واخبرني ان امة لكم يوم كذا وكذا جات اليه بعد
صلوة المغرب تساله حنا وحوايج فقال لها ما تصنعين بهذا
فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية
البقيع وهو يدخل الليله واردنا هذا ليتخذ منه النسا ما
يحتجن اليه عند دخول ازواجهن من المغيب فلما سمعت ذلك
منه ارتعدت خوفا واذعنت له بالحديث وحدثته كلما اراد
وكان المنصور يشتهي صلاح حال محمد بن عبد الله بن الحسن

والجاريه المنصور مع محمد الله

ويودله التقاوان لايثير فتنه ولايخرج عن طاعته فابت
الاقدار الا ان محمدا جمع خلقا وقصد المدينه ودخل السوق
وقصد السجن وكسره واخرج من كان فيه من المسجونين وخرج
عن الطاعة وسب المنصور ودعا الى نفسه فلما اسرع الخبر
الى المنصور كتب اليه كتابا يلاطفه فيه ويعده بكل ما فيه صلاح
حاله ويحذره من الفتنه وسفك دما اهل الاسلام فاعاد
اليه جواب الكتاب مجاهرا بالشقاق ومتظاهرا بادعاء
الخلافه لنفسه فعاوده المنصور بكتاب اخر يحذره فيه
ويخوفه فلم يزدد الا شده فجهز المنصور اليه بن اخيه عيسى
ابن موسى بن محمد بن العباس وجهز معه جيشا فمضى اليه فحاربه
وقتله وحمل راسه الى المنصور وخرج ابرهيم اخو محمد المذكور
بالبصره ومعه جمع فقصد دار الاماره وفتك وقتل واستولى
على بيت المال بالبصره واخذ منه الفي الف درهم ودعا الناس
الى نفسه فجهز اليه المنصور عسكرا وما زال يعمل فكرته ويستحظ
يقظته ويستعمل فطنته حتى قتل ابراهيم واحضر راسه اليه قال
عبدالله بن راشد دخلت على المنصور في ايام خروج ابرهيم
بالبصره لاسلم عليه وانا اظن انه لايقدر يرد السلام من تتابع
الفتوق والخروق عليه وكثرة الاعدا القاصدين خلعه من
الخلافه وان بالكوفه مائة الف سيف كامنه ينتظرون به صيحه
واحده فيثبون عليه فلما دخلت عليه رايت منه اسدا متيقظا
قد قام الى ما نزل به من النوائب يعركها عرك الادم ويتهافت
الهشيم ونهض بها ولم تقعد به نفسه فيها وسلط عليها سيوف
يقظته وعزمه وكان يتمثل في تلك الايام بهذا البيت

تفرقت الظباء على خداش ۞ فما يدري خداش ما يصيد ۞

تهذيب واعتبار وتقريب واستبصار قبل من استثقل مونة

اليقظ

اليقظ فاطرحها واهملها واستقبل راحة الغفله فاستحلاها
واستعملها وكحل ابصار التحفظ والتحرف بمرود العمى فشملها
استفتح عليه من ابواب العطب والنصب مقفلها واستطلع
من نجوم النجوم النحوس في البروج الثوابت افلها فقد
توقع الغفله صاحبها في خط خسف لا يندمل جرحه ويقطع
عليه مما يجاوله سبيل شعبه فلا يومل نجحه فيغفل ويتوانا
عن احكام امره فيحل به خسره ويفوته ربحه وفي قصية
ابي محمد جعفر محمد المنصور بن المتوكل على الله ما فيه تبصره لمعتبر
وتذكره لمزدجر فانه لما واطا جماعه من مقدمي الدوله على قتل
ابيه المتوكل ودخلوا عليه في مجلسه وقتلوه وبايعوا المنتصر
بالخلافه واجلسوه لم يلبث الا اياما يسيره فصار يسترسل
في مجلسه غافلا ويهملها بوجه التيقظ والتحفظ قائلا
وفاعلا ويصدر منه في حق اولئك القاتلين اباه حركات
منطوعلى اضمار قتلهم ويقول لهم انتم قتلتم ابي متجاهرا
بانكار فعلهم فلما تكرر ذلك منه مرارا واظهر في اقواله
وافعاله جهارا واهمل التيقظ والاحتراز اعلانا واسرارا
واغفل انتهاز الفرص توانيا لا استكبارا ولم يضع
على حركاتهم وسكناتهم من يطالعه بها اخبارا اثار
عندهم بالتوعد الصادر عنه داعية اعمالهم الحيله في
سرعة الخلاص منه فاجتمعوا وهم من اعيان دولته
واتفقوا على المسارعه على هلاكه ومبادرته وان يسبقوه
قبل ان يسبق اليهم سيوف نقمته فاستحضروا طبيبه
ابن بختيشوع جبريل وتلوا عليه من امرهم سوره صورته
ولما القوا عليه من ذلك قولا ثقيلا وافضوا اليه بسرهم
ليوضح لهم الى نجح سعيهم سبيلا وبذلوا له من المال ما

بختيشوع

احضروه لديه قدرا جليلا ومبلغا جزيلا فاجتلبت بشرهه
غطا عطاهم واجاب نداهم واستصعب داهم واستصوب
اراهم وحاز المال الذى بذلوه والترم ايجاز ما املوه
وافترقوا انفين من جبريل بسرعة سعيه فيما سالوه متحققين
لما علموه من اغفال المنتصر للتيقظ والتحفظ وعقلوه
انهم قد خلصوا من شر كيده وضرايذه وقتلوه فلم يلبث
المنتصر الا ايا ما حتى احضر جبريل ليفصده ففصده بمبضع
قد سم فمات من ليلته فانظر الى عاقبة الاغفال ووبالها وما
يجلبه ترك التحفظ واسقاط الاستيقاظ من استحالة الاحوال
واختلالها ولم يبق المنتصر بعد ابيه الا شهورا قليلة واقتنصه
الاقدار لتوانيه بشباك حبالها واشراك احتبالها ايقاظ وانعاظ
هذا جبريل بن بختيشوع المسود وجه امانته المفسد عقيدة
ديانته الخاين من ائتمنه على مهجته الشاين ابنا جنسه بوصمة
خيانته القاتل لمن لم يقصد اذاه الخاتل من كساه من
وارف نعمته وحذاه وسقاه من طارف خلافته وغذاه
لما كفر نعمة مولاه واقدم على ارتكاب ما حرمه الله ابت
المعدلة الربانية الا مقابلته على ما اتاه ومجازاته على سو ما
قدمت يداه فعاجله الله فى الدنيا قبل الاخره بعقوبته
وجزاه من غير امهال بمثل سيئته وذلك انه بعد ايام ثارت
به حراره احوجته الى الفصد وتنقيص دم فاحضر تلميذا
له واخرج دست المباضع الذى له وقد ختم الله على قلبه
وفهمه لانفاذ قضايه فيه وحكمه فاخرج ذلك المبضع
المسموم الذى فصد به المنتصر معتقدا انه غيره ودفعه
الى تلميذه ففصده به فمات من ساعته فسبحان الحكم
العدل الذي لا جور فى حكمه وامضايه ولا ظلم فى قدره

القضا

حم

وقضايه ولمثل هذه الواقعة قيل اياك وتقريب
من استعبده الشره وملكه الطمع واقتاده الحرص واستحوذ
عليه الشح فان هذه الخلال ما جمعها الا من فارق الدين وفقد
الامانه وعدم المروه وتحلى بسو العقيده وذلك بتبعه
على اجابة من بذل له محبوبه وعجل له من المال مطلوبه الى
كل ما يحاوله منه ولو كان كفرا بالله تعالى او سفك دم انبيايه
فيجب على ذي الايالة العظيمه والولاية الحاكمه على الخليقه
ان يختبر كل متقرب ليحيط بخبره ويكون على بصيرة من امره

تفهيم

اهتدا وتعليم اقتدا قد يشرق نور اليقظ من
مطالع التوفيق ويتالق ضيا الفطنة فيهدي الى

حم

سوا الطريق فيسلكه اليقظ الفطن فيغنيه عن الافتقار
الى الرفيق ويحميه عن ان يهوي به ريح الغفله والتواني
فى مكان سحيق ولهذا يقال من جرى جواد اليقظ فى
جلباب الاعمال احرز قصبات الامال ومن اهتدى
الى جواد الفطنه فى مقامات الاحوال امن قواطع الضلال
ومصارع الاغتيال فكم من فكرة تناولت بيد يقظتها
ثمر مرامها وطاولت بعزايم فطنتها من الافلاك اوج
كيوانها وبهرامها فادركت غاية سولها وبلغت نهاية
مامولها وسحبت على اثار احتيالها لتمحوها سبل ذيولها
فتم مرامها وكمل ووصل مرادها وحصل ودام لها ما حاولته
وانفصل كما نقلت السلف الى سماع الخلف
من قصة الحجاج بن علاط السلمي فى حسن تلطفه واحتياله
وكمال يقظته فى توصله الى تحصيل ماله وتخليصها

حـ

ان رسول الله صلعم لما فتح خيبر وعرس بصفيه وفرح
المسلمون جاه الحجاج بن علاط السلمي وكان اول ما قدم

قصة الحجاج بن علاط وحيلته

اسلم بلك الامام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي
بمكة مالا عند صاحبتي ام شيبة ولي مال متفرق في
تجار مكة فايذن لي يا رسول الله في العود الى مكة فعسى ان
اسبق خبر اسلامي اليهم فاني اخاف ان علموا باسلامي
ان يذهب جميع مالي بمكة فايذن لي لعلي اخلصه فاذن له
صلعم فقال يا رسول الله اني احتاج الى ان اقول فقال له
صلعم قل وانت في حل قال ابو العباس احمد بن ابرهيم
احد رواة هذا الحديث ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال
والتوصل الى الحق لا انه من باب الفساد قال الحجاج
فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضا وجدت
بها رجالا من قريش يسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول
الله صلعم قد سار الى خيبر وكان قد عرفوا ان خيبر قرية
الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتجسسون الاخبار
فلما ابصروني قالوا هذا رجل لعمر والله عنده الخبر اخبرنا
يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلعم قد
سار الى خيبر قال قلت قد بلغني انه سار اليها وعندي من
الخبر ما يسركم فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون ايه يا حجاج
قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط واسر محمد
اسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعثه الى مكة فيقتلوه بين اظهرهم
من كان اصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة قد
جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل
بين اظهركم قال فقلت اعينوني على جمع مالي على غرمائي
بمكة فاني اريد ان اقدم خيبر فاصيب من فل محمد واصحابه
قبل ان يسبقني التجار الى ما هنالك قال فقاموا معي
فجمعوا مالي كاحث جمع سمعت به قال وجئت صاحبتي

فقلت

فقلت مالي لعلي الحق بخيبر فاصيب من فرص البيع قبل
ان يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب
الخبر وجاءه عني اقبل حتى وقف جنبي وانا في خيمة
من خيم التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت
به قال قلت وهل عندك حفظ لما اضعه عندك قال
نعم قال قلت له فاستاخر عني حتى القاك على خلاء فاني
في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى افرغ قال فلما فرغت
من جمع مالي وكل شي كان لي بمكة واجمعت الخروج
لقيت العباس فقلت احفظ حديثي يا ابا الفضل
فاني اخشى الطلب واكتم علي ثلثا ثم قل ما شئت قال
افعل قال فاني تركت والله ابن اخيك عروسا على بنت
ملكهم يعني صفية ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها
وصارت له ولاصحابه قال ما تقول يا حجاج قال
قلت اي والله فاكتم عني واني اسلمت وما جئت
الا مسلما لاخذ مالي فرقا من ان اغلب عليه فاذا
مضت ثلث فاظهر امرك فهو والله على ما تحب
قال حتى اذا كان يوم الثالث لبس العباس حلة
له وتخلق واخذ عصاه ثم خرج حتى اذا اتى الكعبة
فطاف بها فلما راوه قالوا يا ابا الفضل هذا والله
التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد
افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم واحرز
اموالهم وديارهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه
قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم
به ولقد دخل مسلما عليكم واخذ امواله فانطلق ليلحق

حيلة نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني لما اجتمعت الاحزاب على الخندق

بمحمد واصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله اما والله لو علمنا لكان لنا وله شان قال ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل بيقظته واحتياله الى تخلصه وتحصيل ماله **تجديد** بيان وتاكيد برهان لما اجتمعت الاحزاب على رسول الله صلعم عام الخندق وقصدوا المدينه وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبايل العرب وبني النضير وبني قريظه من اليهود ونازلوا رسول الله صلعم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف عليهم وصفه الله تعالى في قوله اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم الى شديد اتى نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شيت فقال رسول الله صلعم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعه فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظه وكان نديما لهم في الجاهليه فقال يا بني قريظه قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم به ابناوكم واموالكم ونساوكم لا يقدرون على ان يتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاوا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم واموالهم ونساهم وابناوهم وغيره فليسوا مثلكم فان راوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى

تأخذوا

تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه قالوا اشرت بالراي ثم تركهم واتا قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان قايد المشركين من قريش ومن معه من كبرا قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني امر قد رايت ان علي حقا ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال اتعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك على ان ناخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي حتى تستاصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهاين من رجالكم فلا تدفعن منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتا غطفان فقال يا معشر غطفان انكم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا علي ما اقوله لكم قالوا نفعل ثم قال لهم مثل قوله لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كان ليلة السبت وكان من صنع الله تعالى لرسوله ارسل ابو سفيان وروس غطفان الى بني قريظه فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم في جوابهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب فاشتد عليكم القتال ان تمشوا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا

طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بني قريظة قالت
قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق
فارسلوا الى بني قريظة انا لا ندفع اليكم والله رجلا واحدا من
رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت
بنوا قريظة حيث انهت اليهم الرسل هذا الكلام قالوا ان الذي
ذكره نعيم بن مسعود لحق يريدوا ان يقاتلوا فان راوا فرصة
انتهزوها وان راو غير ذلك استمروا الى بلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش انا لا نقاتل معكم
حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم وارسل سبحانه
عليهم الريح فتفرقوا ورحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى
ان الهم نعيم بن مسعود هذه الفطنة وهداه الى هذه اليقظة
التي عم نفعها وحسن موقعها **خاتمة** لهذا الباب من جواهر
الحكم المنثوره ونوادر الكلم الماثوره منها من ايقظ نفسه
والبسها لباس التحفظ آيس عدوه من كيده له وقطع عنه
اطماع الماكرين به ومنها اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا
يسام وحاكم لا يرتشي فمن تدرع بها امن بها فيما استيقظ له من
الاخلال والضياع وان تحارفيه عليه ومنها ما استظهر
عدو المرء عليه باعظم من توان دايم يجده فيه وغفلة مستمره
يانس بها واستقبال عيا التحرز والتحفظ واهمال الفرص
في اوقات انتهازها ومنها من احتجب عن وفود اليقظة
اذن في ورود النقم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع
مرارة الندم ومن استشرب شقة التواني فسيستطيل مشقة
الالم ومن استصوب مصاحبة الاهمال فسوف تنزل به القدم

الباب التاسع في العفو

واصطناع

واصطناع المعروف العفو عن ارباب الهفوات والتجاوز
باقالة العثرات والحلم عن مقترفي الزلات والصفح عن ذوي
الهيات واسوا الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف
لا سيما الى اهل الديانات كل ذلك معدود من محاسن
الحسنات ومكارم الاخلاق التي هي صفوة الصفات وقد
نطق بذلك القران الكريم في كثير من الايات وصرحت به السنة
النبويه على السنة الرواة قال الله جل وعلا وان تعفوا
اقرب للتقوى وقال سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين وقال تبارك وتعالى
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور
رحيم وقال تعا وتقدس فبما رحمة من الله لنت لهم الى وشاورهم
في الامر وقال تقدس اسمه يخاطب نبيه صلعم خذ العفو وامر
بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقال جل وعز واذا ما غضبوا
هم يغفرون ونقل انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم
رايت قصورا مشرفه على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين
الغيظ وللعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال ابو
هريره بينما رسول الله صلعم يوما جالسا اذ ضحك حتى بدت
ثناياه فقيل له في ذلك مما ضحكت يا رسول الله قال رجلان
من امتي جثيا بين يدي ربي فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي
من اخي فقال الله تع اعط اخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من
حسناتي شي قال يا رب فليحمل من اوزاري ففاضت من
عينا رسول الله صلعم وقال ان ذلك اليوم يوم تحتاج الناس
الى ان تحمل من اوزارهم ثم قال قال الله تعا للطالب
حقه ارفع راسك الى الجنة فرفع راسه فراى ما اعجبه من الخير
والنعم فقال لمن هذا يا رب فقال لمن يعطيني ثمنه قال ومن يملك

ذلك يا رب قال انت قال ما ذا قال بعفوك عن اخيك
قال يا رب قد عفوت عنه قال خذ بيد اخيك وادخل الجنه ثم قال
صلعم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وقال الله تعا فمن
عفا واصلح فاجره على الله ونقل ايضا ابو هريره ان ابا بكر
رض كان مع النبي صلعم في مجلس فجا رجل فوقع في ابي بكر وهو
ساكت والنبي صلعم يتبسم ثم رد عليه ابو بكر رض بعض الذي قال
فغضب النبي صلعم ثم قام فلحقه ابو بكر فقال له شتمني وانت
تتبسم ثم رددت عليه بعض الذي قال فغضبت وقمت فقال
صلعم حين كنت ساكتا كان ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان
فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر ثلثة حق انه ليس
عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا اعزه الله ونصره وليس عبد
يفتح باب مسئلة يريد كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد
يفتح باب عطيه او صلة الا زاده الله بها كثرة وقال معاذ
ابن جبل رضي الله عنه لما بعثني النبي صلعم الى اليمن قال ما
زال جبريل يوصيني بترك الحدود وروي عنه صلعم انه قال
اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من كان له اجر على الله تعالى
فلا يقوم الا من عفا وروي عنه صلعم انه قال افضل العباده ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عن من ظلمك وقال صلوات
الله عليه اتى جبريل بمكارم الاخلاق في الدنيا والاخره قلنا ما
هي يا رسول الله قال قول الله تعا خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين ودخل معن بن زايده على معويه فقال له
معن كيف حبك لعلي بن ابي طالب فقال احبه على وجوه
كثيره وهي على حلمه اذا غضب وعلى صدقه اذا قال وعلى
وفايه اذا وعد وعلى عفوه اذا قدر وان رضي لا يخرجه
رضاه الى الظلم وان غضب لا يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر

لم يتناول ما ليس له وكان معويه يقول اني لآنف ان يكون في
الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها
جودي **بدايه** وبدايه في جواهر الاسرار وخبايا الاخبار ما يشنف
اسماع ذوي الاستبصار ويزلف الى ارتقا منازل اهل
الفخار فانه يقال من اهتدى بنجوم العظماء في اقتفا الطرايق
المضيه واقتدى بعلوم الحكما في اقتنا الاخلاق الرضيه كان
حقيقا ان يوصف بالنفس الزكيه والشنشنة الاخزميه وجديرا
ان يعرف بالسيرة السويه والهمة العليه كما نقل المتقدمون عن
الخليفه المامون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور
في الافاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابرهيم ابن المهدي عليه
وبايعه العباسيون بالخلافه ببغداد وخلعوا المامون وكان
المامون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما دخل
بغداد اختفى ابرهيم وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة
المامون ولم يزل المامون متطلبا لابرهيم حتى اخذ وهو
مختف مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين ايدي المامون
فقال السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته فقال له
المامون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك
الشيطان حتى حدثت نفسك بما ينقطع دونه الاوهام فقال
له ابرهيم مهلا يا امير المومنين فان ولي الثار محكم في القصاص
والعفو اقرب للتقوى ولك من رسول الله صلعم شرف
القرابه وعدل السياسه ومن تناوله الاغترار بما مد له من
اسباب الرجا امن عادية الدهر على نفسه وهجمت به الايام
على التلف وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل
كل ذي ذنب دونك فان اخذت فبحقك وان عفوت
فبفضلك والفضل بك يا امير المومنين ثم قال

المامون وعمه بن المهدي

ذنبي اليك عظيم • وانت اعظم منه • فخذ بحقك اولا •
فاصفح بعفوك عنه • وان لم اكن في فعالي • من الكرام فكنه •
قال فلما سمع المامون كلامه وشعره ظهرت الدموع في
عينيه وقال يا ابرهيم القدره تذهب الحفيظه والندم
توبه وبينهما عفو الله وهو اعظم مما تحاول واكبر مما تؤمل
ولقد حبب الي العفو حتى خفت ان لا اوجر عليه لا تثريب
عليك ثم امر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه
والخلع عليه ورد امواله جميعها عليه فقال فيه مخاطبا
رددت مالي ولم تمنن علي به • وقبل ردك مالي قد حقنت دمي •
فان جحدتك ما اوليت من كرم • اني لبالوم اولى منك بالكرم •
تاكيد بيان وتجديد برهان من قابل المكروه بالعفو والزلة
بالحلم والاساة بالاحسان والسيية بالغفران فقد اوطا
اخمص قدمه اوج السياده واعطى لنفسه بشرا بان لها الحسنى
وزياده وكان في اول جريدة الاعتبار اذ اعد اهل السعاده
فقد صدع لسان النقل فاسمع وقرع فن الروايه فاينع وطلع
نجم الاسناد فلمع وتتابع طرق الاخبار فما انقطع ان معويه
لما ولي الخلافه وتفوق حلب اخلافها وتطوق نضب انصافها
ومزق اخلاقها وفرق عصب اشرافها وانتظمت لديه الامور
وامتلات منه الصدور وادعن لامره الجمهور وساعفه
في مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص اصحابه
المنتظمين في سلك مساعدته على محاربه وذاكرهم وقايع
ايام صفين ومن كان يتولي كبر الكراهية فيها من المعروفين
فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وسلكوا شعبه في البقاع
والحضيض وال حديثهم بعد التصريح والتعريض الي من كان
يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزياده التحريض فقالوا

امراة من اهل الكوفه تسمى الزرقا بنت عدي كانت تعتمد الوقوف
بين الصفوف وترفع صوتها صارخة باصحاب علي مسمعة اياهم
كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لاقبل والمسالم
لحارب والمفر لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معويه فايكم
يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا
نشير في قتلها فانها اهل لذلك فقال لهم معويه بيس ما اشرتم
وقبحا لما قلتم ايحسن ان يشتهر عني انني بعدما ظفرت وقدرت
اقتل امراه انها وفت لصاحبها اني اذا اللييم لا والله لا
فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفه
ان اوفد الي الزرقا بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان
من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه
الكتاب ركب اليها واقراها الكتاب فقالت ما انا بزايغة عن الطاعه
فان كان امير المومنين جعل الاختيار الي لم ابرح من مكاني
فان كان حتم الامر فالسمع والطاعه له فحملها في هودج وجعل
غشاوته خزا مبطنا ثم احسن صحبتها فلما قدمت على معويه
قال لها مرحبا واهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خاله
وكيف رايت مسيرك قالت خير مسير كاني كنت ربيبة بيت
او طفلا في مهد فقال بذلك امرتهم فهل تعلمين لم بعثت
اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال الست انت راكبة
الجمل الاحمر يوم صفين وانت بين صفين توقدين نار الحرب
وتحضين على القتال قالت بلى قال فما حملك على ذلك قالت
يا امير المومنين انه قد مات الراس وبتر الذنب والدهر ذو
غير ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعده الامر قال صدقت
فهل تحفظين كلامك قالت لا والله قال لله ابوك لقد
سمعتك تقولين ايها الناس انكم في فتنة عميا غشتكم

حادث

جلابيب الظلم وحادت بكم عن قصد الحجه فيالها فتنة عميا صما
لاتسمع لقايدها ولا ينقاد لسايقها ايا ايها الناس ان المصباح
لايضي في الشمس وان الكوكب لايتبين مع القمر وان البغل
لايسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد الا من استرشد
ارشدناه ومن سال اخبرناه ان الحق كان يطلب طالبه
فاصابها يا معشر المهاجرين والانصار فكان قد التيم شعث
الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا
يستوي المحق والمبطل افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لايستوون
فنزال نزال والصبر الصبر بعين كبث تحمد الاقدام ويدمر الاحجام
ولا يعجلن احدكم يقول كيف كان ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا
ان خضاب النسا الحنا وخضاب الرجال الدما والصبر خير
الامور عاقبه ايها الى الحرب قدما غير ناكصين فهذا يوم له ما بعد
يا زرقا اليس هذا قولك وتحريضك قالت قد كان ذلك
قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت احسن الله
بشارتك يا امير المومنين وادام سلامتك مثلك من بشر بخير
وسر جليسه فقال لها وقد سرك ذلك قالت نعم والله سرني
قولك واني لي بتصديقه فقال معويه والله لوفاكم له بعد
موته اعجب الي من حبكم في حياته اذكري حاجتك لتقضي
فقالت اني اليت على نفسي ان لا اسال احدا اعيب عليه
شيا قال فقد اشار علي بعض من عرفك بقتلك قالت
لوم من المشير ولو اطعته لشركته قال كلا بل نعف عنك
ونحسن اليك ونرعاك قالت كرم منك يا امير المومنين
ومثلك من قدر فعفى وتجاوز عمن اسا واعطا من غير مسيله
وجاد من غير طلبه فقال صدقت ثم اعطاها كسوة ودراهم
واقطعها ضيعه وجعل لها في كل سنه عشرة الاف درهم واعادها

ما كتب معاوية لابن الزبير

الى وطنها وكتب الى والي الكوفه بالوصاه بها وبعشيرتها
وقيل كان لعبد الله ابن الزبير ارض وله فيها عبيد
له يعمرونها فدخل عبيد معويه في ارض عبد الله بن الزبير
فكتب عبد الله كتابا الى معويه يقول فيه اما بعد يا معويه
فان عبيدك قد دخلوا الى ارضي فانههم عن ذلك والا كان
لي ولك شان والسلام فلما وقف معويه على الكتاب وقراه
دفعه الى يزيد فلما قراه قال له يا بني ما ترى قال ارى ان تبعث
اليه جيشا يكون اوله عنده واخره عندك ياتوك به فقال لا
خير من ذلك يا ابني ثم اخذ ورقه وكتب جواب كتاب عبد الله
ابن الزبير فقال وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلعم
وساني ما ساه والدنيا باسرها عندي هينة في جنب رضاه
وقد كتبت على نفسي صكا بالارض والعبيد واشهدت على فيه
شهودا وليضفها مع عبيدها الى ارضه وعبيده والسلام وسيره
فلما وقف عبد الله ابن الزبير على كتاب معويه كتب اليه وقفت
على كتاب امير المومنين اطال الله بقاه ولا اعدمه الراي الذي احله
من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معويه على كتاب عبد الله
ابن الزبير وقراه رماه الى ابنه يزيد فلما قراه اسفر وجهه فقال له
معويه يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
القلوب فاذا ابليت بشي من هذه الادوا فداوه بمثل هذا الدوا
استبصار مهيد واعتبار مفيد قد يعظم جرم المسي في
القلوب وتتفاقم ديته في النفوس فلا يرجا له عفو ولا يتوقع
عنه صفح فاذا اقيم مقام الانتقام منه وتحكمت فيه يد الاقتدار
عليه انطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المنتقم منه في العفو
عنه وربما يزيد على الصفح والعفو عن جرمه بالاحسان اليه
والرعايه له وما حملته بطون الصحايف الى الخوالف

الخارجي مع الرشيد

من اخبار من سلف من الخلايف فان الرشيد بن المهدي
خرج عليه خارجي رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز اليه
جيشا وانهض اليه الناس والجند للخروج لقتاله فلما توجه
الجيش اليه ظفروا به واحضروه الى دار الخلافه فلما دخل على الرشيد
قال الرشيد ما تري ان اصنع بك قال له اصنع بي ما تريد ان
يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه وهو اقدر عليك منك
علي فاطرق الرشيد مليا ثم رفع راسه وامر باطلاقه فلما خرج
قال بعض الحاضرين يا امير المومنين تقتل رجالك وتفني اموالك
وتظفر به وقد خرج عليك وافسد في بلادك وتطلقه بكلمه
واحده تامن يا امير المومنين هذا الامر فانه يجري عليك
الفساد فامر الرشيد برده فلما عاد ومثل بين يديه علم انه
قد سعي به واشير على الخليفه بقتله فقال يا امير المومنين
لا تطع في مشيرا يمنعك عفوا تدخر به عند الله يدا ويبعثك
على الانتقام الذي ليس من مكارم الاخلاق واقتد بالله
تع فانه لو قبل فيك مشيرا لما استخلفك لحظة واحده
واحسن كما احسن الله اليك فامر باطلاقه واحسن اليه
وقال لا تعاودوني فيه ومن قبيل ذلك ما ينتظم في سلك

جواب الساعي به للمنصور

هذا الاستبصار ويندرج تحت هذا الاعتبار ما نقل
عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رايت اربط جاشا
ولا اثبت جنانا من رجل وقع عليه وسعي به الى المنصور
ان عنده ودايع واموالا لبني امية فامرني باحضاره اليه
فاحضرته ودخلت به عليه فقال له المنصور قد رفع الينا
خبر الودايع والاموال التي عندك لبني اميه فاخرج
الينا منها واحضرها ولا تكتم شيا منها فقال يا امير المومنين
اانت وارث بني اميه قال له لا قال فوصي لهم في اموالهم

وربما هم

وربما هم قال لا قال فما مسلتك عما في يدي من ذلك
قال فاطرق المنصور يفكر ساعه ثم رفع راسه وقال ان بني
اميه ظلموا المسلمين فيها وانا وكيل المسلمين في حقهم واريد
ان اخذ ما ظلموا المسلمين فيه واجعله في بيت مالهم فقال
يا امير المومنين فيحتاج الى اقامة بينه عادله على ان في
يدي لبني اميه مما خانوه وظلموه فان لبني اميه املاك
واموال غير اموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعه ثم رفع
راسه وقال لي يا ربيع ما اري الشيخ الا قد صدق وما يجب
عليه شي ولا يسعنا الا ان نعفوا عما قيل عنه ثم قال هل لك
من حاجه قال نعم يا امير المومنين ان تنفذ كتابا على البريد
الى اهلي ليسكنوا الى سلامتي فانهم راعهم اشخاصي اليك
وقد بقي لي حاجه اخري يا امير المومنين قال فقل تقضى لك
قال تجمع بيني وبين من سعي بي اليك فوالله ما لبني اميه
في يدي مال ولا وديعه ولكني لما مثلت بين يديك وسالتني
عما سالتني عنه قابلت بين هذا القول الذي ذكرته
الان وبين ذاك القول الذي قلته اولا فرايت ذلك
اقرب الى الخلاص والنجاه فقال يا ربيع اجمع بينه وبين
من سعي به فجمعت بينهما فلما راه قال هذا غلامي ضرب علي
ثلثة الاف دينار من مالي وابق مني وخاف الطلب له
فسعي في فشدد المنصور على الغلام وخوفه واقر بانه غلامه
واخذ له المال الذي ذكره وسعي به كذبا عليه وخوفا من ان
يقع في يده فقال المنصور للشيخ سالتك ان تعفوا عنه
قال قد عفوت عنه وقد اعتقته وقد وهبت منه الثلثة
الالاف دينار التي اخذها وثلثة الاف اخرى ادفعها له
فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا امير المومنين

ان هذا القليل فى كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع
فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رايت مثل هذا الشيخ
بالربيع وما يطرب لفظه ويجتنب رفضه ويتعين على ذوي
الدرايه والتيقظ حفظ ما يجمع اشتاتا من الفوايد ويشرع
اسبابا الى المقاصد وتطوق اجياد العبر بفرايد القلايد ويحقق
لذوى الفكر ان نصح اولى الامر من قواعد العقايد وهو ما جري
للخليفه المنصور المذكور بمكه حرسها الله تعالى ويلخص ذلك ان
ان المنصور كان يطوف بالكعبه اذ سمع قايلا يقول اللهم
انى اشكو اليك ظهور البغي والفساد فى الارض وما يحول بين
الحق واهله من الطمع فخرج المنصور وجلس في ناحيه من
المسجد وارسل الى الرجل يدعوه فصلى ركعتين واستلم
الركن ثم اقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافه فقال له المنصور ما
الذى سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغي والفساد في
الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت
مسامعي بما ارمضني قال يا امير المومنين ان امنتني انباتك
بالامور على جليتها واصولها والا اجادل عن نفسي قال له
المنصور انت امن على نفسك قال ان الذي ادخله الطمع
حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغي والفساد انت
فقال ويحك وكيف ذلك يدخلني الطمع والصفرا والبيضا
فى قبضتني والحلو والحامض عندي قال وهل دخل احدا
من الطمع ما دخلك ان الله استرعاك المسلمين واموالهم
فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وابوابا من
الحديد وحجبه معهم الاسلحه وامرتهم ان لا يدخلوا عليك
الا فلان وفلان نفر باسميتهم ولم تامر بايصال المظلوم
والملهوف ولا الجايع والعاري ولا الضعيف والفقير ولا احد

[illegible]

الا

الا وله فى هذا المال حق فلما راك هولاء النفر الذين استخلصتهم
لنفسك واثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا عنك
تجبي الاموال فلا تعطيها وتجمعها فلا تقسمها قالوا هذا قد
خان الله تعالى فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على ان
لا يصل اليك من اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل
فيخالف امرهم الا اقصوه ونفوه حتى يسقط منزلته ويصغر
قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم
فكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاتحاف والاموال
ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو القدره والثروه
من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلات بلاد الله
بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم شركاك فى سلطانك
وانت غافل فان جا متظلم حيل بينه وبين الدخول عليك فان
اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك عن سهب عن ذلك
ووقفت رجلا ينظر فى مظالمهم فان جا ذلك المظلوم الى الرجل
وبلغ الى اوليك الذين هم بطانتك سالوا اصحاب صاحب المظالم
ان لا يرفع مظلمته اليك فان للمتظلم منه بهم حرمه فاجابوا خوفا
منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث
وهو يدافعه ولا يقبل عليه واذا اجهد واضطر واحرج ووقف
وصرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا مبرحا ليكون نكالا
لغيره وانت تنظر وتنكر فما بقا الاسلام على هذا وقد كنت يا امير
المومنين اسافر الى الصين فقدمتها مره وقد اصيب ملكها بسمعه
فبكا بكاء شديدا فحداه جلساوه على الصبر فقال اما انى لست
ابكي لما نزل بي من ذهاب سمعي ولكن ابكي لمظلوم يصرخ
بالباب فلا اسمع صوته ثم قال اما اذ ذهب سمعي فان بصري
لم يذهب فادنوا فى الناس ان لا يلبس ثوبا احمر الا متظلم

ثم صار يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا
يا امير المومنين مشرك بالله تعالى غلبت رافته بالمشركين شح نفسه
وانت تومن بالله واليوم الاخر ثم من اهل بيت رسول الله صلعم
غلب عليك شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد اراك
الله في الطفل يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من
مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل
حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله جل وعلا
يعطي من يشا بغير حساب وان قلت انما اجمع المال لتشديد
السلطان وتقويته فقد اراك الله بني امية ما اغنى عنهم ما جمعوا
من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع
حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمعه لطلب غاية هي
اجسم من الغاية التي انا فيها فوالله يا امير المومنين ما فوق ما انت
فيه منزلة الا منزلة لا تنال الا بخلاف ما انت عليه يا امير المومنين
هل تعاقب من عصاك باكثر من القتل والصلب قال المنصور لا
قال فكيف تصنع يا امير المومنين يوم القيامة عند لقاء الله تعالى
الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبيده
وعمل بخلاف امره بالقتل ولكن يعاقبه بالخلد في العذاب
الاليم وقد ترى ما عقد عليه قلبك وتحملته جوارحك ونظر
اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه قدماك هل تغني
ما شححت عليه من مالك ومن ملك الدنيا اذا انتزعه من يديك
ودعاك الى الحساب على ما خولك فلما تم الرجل كلامه والمنصور
يتململ منه بكى بكاء شديدا ثم قال يا ليت المنصور لم يخلق ثم
قال للرجل يا ويحك كنت افكر في الانتقام منك على ما
جبهتني به والان وقد رايت العفو عن مقالتك لصدق
مقصدك اولى وشكرك على نصحك احمد فكيف احتيالي

لنفسي

لنفسي والسلامة من مواخذة الله تعالى على ما اوضحته
فقال الرجل يا امير المومنين ان للناس اعلاما يرجعون اليهم
في دينهم ويرضون بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك
واستعن باراءهم واقوالهم يسددوك قال المنصور قد بعثت
اليهم فهربوا مني قال الرجل خافوا ان تحملهم على طريقتك فلم يرضوا
بها ولكن افتح باب مجلسك وسهل حجابك وانظر في امور
الناس وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفي والاموال مما
حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعدل على اهله وانا الضامن
لك انك اذا فعلت ذلك ان ياتوك ويسعدوك على صلاح
الامة فبينما هو والرجل في هذا الحديث دخل الموذنون فسلموا
عليه للصلاة فقام فصلى فلما فرغ من الصلاة وعاد فطلب
الرجل فلم يجده فما زال المنصور بعد ذلك يذكره ويقول
اذا ذكره كرهت كلامه ثم حمدته وانتفعت به

تذييل

اشاره وتسهيل عباره اذا اراد الله امرا هيا اسبابه
وفتح ابوابه واوضح صوابه ومنح اكتسابه وقلبت له القلوب
المنافره عنه فاثرته وجذبت اليه النفوس الحاذره منه
فباشرته حتى يصدر ذلك المقدور على خلاف طباع مصدره
ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق الانكار عليه في نظره
كل ذلك لانفاذ الله تعالى في عباده حكم قضايه وقدره
هذا الحجاج بن يوسف الثقفي كان قد جمع خلالا قبيحة ظاهره
وباطنه من ذمامة الصورة وقبح المنظر ولوم النفس وقساوة
القلب وشراسة الاخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين
والاقدام على انتهاك حرمات الله تعالى حتى حرمها حاصر مكة
وهدم الكعبة ورماها بالمنجنيق وبالنفط فاباح الحرم فسفك
وهتك وفتك وقد قيل انه في مدة ولايته قتل الف الف

الحجاج الثقفي

وستمايه الف مسلم ومات في حبوسه ثمانية عشر الف انسان
وكان لا يرجا عفوه ولا يتوقع خيره وكان قد ضرب بينه
وبين الرحمه والرافه بسور من غلاظه وغلاظ وقساوه ومع
ذلك فقد رقق الله قلبه والان عريكته والهمه ما خالف سجيته
وباين عادته فانه في واقعة يزيد بن شبيب الشيباني لما خرج
في ايام عبد الملك بن مروان بالعراق وظفر الحجاج جعل يقتل
كل منبذ ورعليه منهم فلما كان في اخر الامر قدم اليه رجل منهم
له رواو سمت وطلل فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجه بالباب
فقال الحاجبه ما هذه الضجه فقال نسوة بالباب يسالن الدخول
فدخلن وهن ثلثه وعشرون امراة كلهن اهل بيت هذا
الرجل الذي قدهم الحجاج بقتله فقال لهن الحجاج ما حاجتكن
فتقدمت امراه منهن وقالت

احجاج اما ان تمن بقتله علينا واما ان تقتلنا معا
احجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبنه الليل اجمعا
احجاج كم تفجع به من نسايه ثمانا وتسعا واثنتين واربعا
فمن رجل دان يقوم مقامه علينا فمهلا لا تزدنا تضعضعا

فرق الحجاج لقولها ووجد رقه عليهن وعفا عنه واطلقه
وزاد في عطايه مايه دينار ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان
يذكر له خبره وخبر النسوة والمراه وشعرها وانه قد رق لهن
واطلقه وزاد في عطايه مايه دينار فكتب اليه عبد الملك
يحمده على ذلك ويامره ان يزيد مايه دينار اخرى في
عطايه فصارت له زيادتان زيادة الحجاج وزيادة
عبد الملك وصار الحجاج يرعاه ويساله كل وقت عن النسوة
وهذه الحاله الصادره من الحجاج من غرايب اخباره
وعجايب اثاره لكن جذبه الله تعالى الى فعلها بازمة

اقداره

اقداره وحيث انتهى القول في العفو والحلم والتجاوز والصفح
الى هذا المقام لا بد من اتمام وظيفة هذا الباب نذكر
نبذه من القول في اصطناع المعروف والدفاع عن
الملهوف فان خير فعله قابض وخير ابوابه مستفيض
وحوض نفعه مترع وروض فعله اريض ومقام ملتمسه
نفاع ومقام مجتنبه حضيض وفي الايات والاحاديث
من الدلايل المرغبه ما فيه باعث وحيث وتحريض فان
اسدا المعروف واغاثة الملهوف من احسن الاحسان
واي عمل خير من خير يكتب في صحيفة الانسان وقد قال الله
جل وعلا وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون
وقال تع وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وقال تع ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها تم لانفسكم وقال تعالى
ان الله مع المحسنين وقال تع وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وروي عن النبي صلعم
انه قال اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة
انه قال صلعم اصطناع المعروف تقي مصارع السوء وانه صلعم
قال من بسط يده بالمعروف اذا وجد اخلف الله عليه في الاخره
دنياه وضاعف له الاجر في اخرته ونقل عن عيسى بن مريم
صلعم انه قال لاصحابه استكثروا من شي لا تاكله النار
قالوا وما هو يا روح الله قال المعروف وقد قيل ان كعب
الاحبار كان عند امير المومنين عمر بن الخطاب رضه وهو
ينشد هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال له كعب يا امير المومنين ان هذا الذي قلته فيما انزله
الله في التورية على موسى صلعم لا يذهب المعروف بيني وبين عبدي

تمهيد قاعدة وتجديد فايده من مد يد تطلعه الى اقتطاف
ثمار الاخبار وجد بجد تيقظته في استغراق اسرار الاثار
ورد انسان ناظره الى استجلا ما اختصرت عنه وجهات
الاسفار وشد وسط عزمه لاجتنا الفوايد الملتقطه
من جهات الاسفار كان حليفا ان يحصل منها على غرايب
يفتح لها ابواب المسامع وجديرا ان ينقل عنها عجايب يطرب
عند ذكرها كل سامع لا سيما فيما يستعيد حرا ويخلد
ذكرا ويستجد شكرا ويسد فقرا ويبيد عسرا ويفيد يسرا
ويمد الى اكتساب مكارم الاخلاق خبرا فمن ارتدى بجلبابها
واهتدى باسبابها واقتدى باربابها فمنح معروفا واغاث
ملهوفا وكشف مخوفا وصرف عن ابنا جنسه حتوفا فقد
اسجل له قاضي فعله بشرف اصله وادخره الموفق في
زمرة اهله وادخله وفضله التوفيق على غيره لما اتاه من
فضله ولا بد لمن احب الانتظام في سلك السعدا والاقتدا
بما اعتمدوه في الاسدا والاهتدا بنور افعالهم من الاعاده
والابدا من ان يقف لهم على وقايع كرم اعتمدوها وصنايع
معروف رفدوها وطرايق خيرات قصدوها وحقايق
مودات اوجدوها ومنن نظموها في قلايد الاعناق وقلدوها
واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فانه
يقال من نسج على منوال راه فقد اصاب ومن انتهج قصد
منال حذاه فما خاب وهذه ثلث صنايع ابيح القدر
والاستدلال بها في هذا الباب وصور وقايع برزت
من حجابها ليتذكرها اولوا الالباب فمنها
واقعة يزيد بن المهلب ابن ابي صفره فان الحجاج اخذه
وعذبه وقصده واستاصل موجوده وسجنه فوصل يزيد

قضية يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك هربا من الحجاج

بحسن

بحسن تلطفه ودخل فيما جعل الله تعالى به نجاته من تلفه
وارغب السجان وتحدث عليه واستماله اليه وهرب هو
والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان
وكان الخليفه ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل
يزيد بن المهلب اليه اكرمه واحسن اليه فاقام عنده فكتب الحجاج
الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان
اخي امير المومنين وولي عهد المسلمين وامير المومنين
اعلا رايا فكتب الوليد الى اخيه سليمان بذلك فكتب سليمان
الى اخيه يقول يا امير المومنين اني انما اجرت يزيد بن المهلب
لانه هو وابوه واخوته من صنايعنا قديما وحديثا ولم اجر
عدوا لامير المومنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه واغرمه
اربعة الاف الف درهم وقد صار هذا الرجل الي مستجيرا
فاجرته وانا اغرم هذه الثلثة الاف الف درهم فان راى
امير المومنين ان لا يخزيني في صنيعي فعل منعما فكتب الوليد
انه لا بد ان ينفذ الي يزيد مقيدا مغلولا فلما ورد ذلك
على سليمان احضر ولده ايوب فقيده ودعا يزيد فقيده
ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسله وغلهما جميعا بغلين
وحملهما الى الوليد وكتب اليه اما بعد يا امير المومنين فاني
قد وجهت اليك يزيد وابن اخيك ايوب ولقد هممت
ان اكون ثالثهما فان هممت بقتل يزيد بالله عليك فابدا
بايوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شيت
ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وايوب بن
سليمان في سلسله واخذه على الوليد اطرق واستحيا وقال
لقد اسانا الى ابي ايوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فاخذ
يزيد ليتكلم ويحتج عن نفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى الكلام

فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم استحضر حدادا
وازال عنهما الحديد واحسن اليهما ووصل ايوب ثلثين الف
درهم ووصل يزيد عشرين الف درهم وردهما الى سليمان
ابن عبد الملك فكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك
على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فصار
يزيد الى سليمان بن عبد الملك واقام عنده في اعلا المراتب
وافضل المنازل وينتظم في سلك هذه القضيه ويقرب
منها واقعة الكوفي مع معن بن زايده وتلخيص
معناها ان الخليفه المهدي بلغه عن انسان من اهل الكوفه
انه يسعى في فساد دولته فاهدر دمه وجعل لمن دل عليه
او جا به مالا جزيلا فاقام الرجل مده لا يظهر متواريا مخافه الهلاك
فلما طالت الايام عليه ظهر يوما ببغداد فبينما هو يمشي في
بعض نواحيها نظره رجل من اهل الكوفه فعرفه واخذ بمجامع
ثيابه وقال هذا بغية امير المومنين فبينما الرجل على تلك
الحال اذ سمع وقع الحوافر من خلفه فالتفت فاذا معن بن
زايده فقال يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فوقف وقال
للرجل ما شانك قال بغية امير المومنين فانه قد اهدر
دمه وجعل لمن دل عليه مالا جزيلا فقال معن لغلام من غلمانه
يا غلام انزل عن دابتك واحمل عليها الرجل فصاح المتعلق
يا للناس يحال بيني وبين طلبة امير المومنين فقال له معن
اذهب واخبره انه عندي فانطلق الرجل الى باب دار
المهدي واخبر الحاجب فدخل الحاجب واخبر المهدي فامر
باحضار معن فاتته الرسل فاحضر الي بيته وقال لاهله لا
يخلص هذا الرجل وعين منكم تطرف ثم ركب وسار الى
المهدي فدخل وسلم فرد سلامه وقال له يا معن اتجير علي قال

نعم يا امير المومنين قال المهدي ونعم واشتد غضبه فقال
معن قتلت في طاعتكم في اليمن في يوم واحد خمسه عشر
الفا الى ايام كثيره قد تقدم فيها بلائي وحسن عنائي فما جري
ذلك فما رايتموني اهلا لان يوهب لي رجل واحد قد استجار
بي فاطرق المهدي طويلا ثم رفع راسه وقد سري عنه غضبه
وقال قد اجرنا من اجرت ووهبناه لك قال معن فان راي
امير المومنين ان يصله فيكون قد احياه واغناه قال قد
امرنا له بخمسين الف درهم قال فيامر امير المومنين بتعجيلها
فامر بذلك فاحضرت فانصرف معن الى الرجل بالمال
واضاف اليه من عنده كسوات ودفع الجميع اليه وقال خذ
هذا والحق باهلك واياك ومخالفة خلفا الله تعالى ومن
غرايب هذا المطلوب وعجايب هذا الاسلوب ما اورده محمد
ابن القاسم الانباري رحمه الله ان سوار صاحب رحبة سوار
وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفه المهدي
فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فدخل
وقت القايله فلم ياخذني النوم فنهضت وامرت ببغلة
لي اسرجت واحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل
لي ومعه مال فقلت ما هذا قال الفا درهم قد جمعتها من مستغلك
الجديد فقلت امسكها معك واتبعني قال فخليت راس
البغله حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق
حتى انتهيت الى الصحرا ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت
الى باب دار لطيف عليه شجره وعلى الباب خادم فوقفت
وقد عطشت فقلت للخادم عندك ما تسقينيه قال نعم
وقام فاخرج قله لطيفه طيبة الرايحه عليها منديل فناولني
فشربت وحضر وقت الصلوه واذا انا باعمى يتلمس فقلت

تريد يا هذا قال اياك اريد قلت وما حاجتك قال شممت
منك رايحه طيبه وظننت انك من اهل النعيم فاردت ان
القي اليك شيا فقلت قل فقال اترى باب هذا القصر قلت
نعم قال هذا القصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت
معه فزالت عنا النعيم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه
المدينه فاتيت صاحب هذا الدار اساله شيا يصلني به
واتوصل الي سوار قال فاذا هو من اصدق الناس كان لي
فقلت له يا هذا فان الله عز وجل قد اتاك بسوار منعه الطعام
والنوم والقرار حتى جا به فاقعد بين يديك ثم دعوت
الوكيل فاخذت منه الدراهم فدفعتها اليه وقلت له اذا
كان غد فصر الى منزلي ثم مضيت فقلت ما احدث امير المومنين
المهدي باظرف من هذا فاتيته فاستاذنت عليه
فادن لي فلما دخلت عليه فحدثته فاعجبه فامر لي بالفي
دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت فقال اجلس
عليك دين فقلت نعم قال كم دينك قلت خمسون الفا
فامسك وجعل يحدثني ساعة وقال امض الي منزلك فمضيت
الى منزلي واذا بخادم معه خمسون الفا وقال يقول لك امير المومنين
اقض بها دينك قال فقبضت ذلك منه فلما كان الغد ابطا
على الاعمى واتاني رسول المهدي يدعوني فجيته فقال لي فكرت
البارحه في امرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض ايضا
وقد امرت لك بخمسين الف اخرى قال فقبضتها وانصرفت
فجاني الاعمى فدفعت له الالفين وقلت له قد رزقك الله
تعالى بكرمه وحسن معاملته باسدا المعروف اليك اضعاف
ذلك ثم اعطيته من مالي وهبته فانصرف ومما يلتيم
مع هذه القضيه ويشفعها ويلتم بها ويتبعها قضية

متولي شرطة المهدي مع ابنه الهادي

عبد الله بن مالك قال كنت اتولى الشرطه لامير المومنين المهدي
وكان يبعث الي في ندما ولده موسى الهادي ان اضربهم
واحبسهم صيانة للهادي عنهم فبعث الي الهادي
يسالني الرفق بهم والتخفيف في امرهم فلا التفت الى ذلك
وامضي لما يامر به المهدي فلما ولي الهادي الخلافه ايقنت
بالتلف فبعث الي يوما فدخلت اليه متكفنا متحنطا واذا
هو جالس على كرسي والنطع والسيف بين يديه فسلمت فقال
لا سلم الله عليك اتذكر يوما بعثت اليك في امر الحراني
لما امر امير المومنين بضربه فلم تجبني وفي فلان وفلان وجعل
يعدد ندماه فلم تلتفت الى قولي قلت نعم يا امير المومنين
افتاذن لي في ان اتكلم قال نعم قال قلت نشدتك الله يا امير
المومنين ايسرك انك وليتني ما ولاني وامرتني بامر فبعث
الي بعض ولدك بامرني بخلاف امرك فاتبعت امره
وعصيت امرك قال لا قلت وكذى انا لك وكذى كنت
لابيك فاستدناني فقبلت يده وامر بخلع افيضت
علي وخرجت من عنده وسرت الى منزلي مفكرا في امره
وامري فقلت في نفسي يحدث القوم بالامر الذي جرى
وبما عصيته فيه وهم ندماوه ووزراه وكتابه فكاني
بهم حين تغلب عليهم الشراب وقد ازالوه عن رايه في وحملوه
في امري على ما كنت اتخوفه قال واني لجالس وبين يدي
خبز من رقاق مسطور بكامخ وانا اسحته واطعمه للصبيه
حتى توهمت ان الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة
وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضا فقلت ها واله
جا ما ظننت واذا بالباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا وامير
المومنين الهادي في وسطهم فلما رايته وثبت عن مجلسي

الملك
صح

مبادرًا فقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال لي يا عبد الله انني فكرت في امرك بعد انصرافك فقلت يسبق الى قلبك اني اذا جلست وحولي اعداوك الذين اسات اليهم انهم يزيلون رايي فيك فاقلقني ذلك واوحشني ومنعني القرار فصرت الى منزلك لاونسك واعلم لك ان الوحشة قد زالت عن قلبي فهات فاطعمني مما كنت تاكل وافعل فيه ما كنت تفعل لتعلم اني قد تحرمت بطعامك وانست بمنزلك ليزول خوفك ووحشتك فادنيت منه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها الكامخ فاكل ثم قال هاتوا ما احضرتموه لعبد الله من مجلسي فادخلت بغال دواتهم كثيره موقره دراهم واطعمه فقال هذه لك فاستغن بها وهذه البغال ايضا وقد وليتك ما كان ولاك والدي المهدي ثم انصرف فوجدت من النعم والخيرات والدراهم والملابس ما لا حصل لي في طول عمري ومدة خدمتي للمهدي مثله فصرت بعد ذلك اعد نفسي من صنايعه

ومما هو اوضح حسنا وارجح معنى ما قاله القاضي يحيى ابن اكثم قال دخلت يوما على الخليفة الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي تعرف قايل هذا البيت

الخير ابقى وان طال الزمان به … والشر اخبث ما اوعيت من زاد

فقلت يا امير المومنين ان لهذا البيت شانا مع عبيد قال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال اخبرني عن قضية هذا البيت قال كنت يا امير المومنين في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت صيحة عظيمة من القافلة الحقت اولها باخرها فسالت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم حتى ترى ما بالناس فتقدمت

قصة عبيد مع الشجاع

اول القافلة فاذا انا بشجاع اسود فاغر فاه كالجذع يخور كخوار الثور ويرغو كرغا البعير فهالني امره وبقيت لا اهتدي الى ما اعمل في امره فعدلنا عن طريقه الى ناحية اخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجتر احدا من القوم يقربه واذا رمي بسهم نبا عنه ولم يعمل فيه فقلت في نفسي افدي هذا العالم بنفسي واتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فاخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما راني سكن وقربت منه سكن وانا متوقع منه وثبة يزدردني فيها فلما راى القربة من الماء فتح فاه فجعلت فم القربة في فمه وصببت الماء كما نصب في انا فلما فرغت القربة تسبسب في الرمل ومضى فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سو لحقنا منه ومضينا لحجنا وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزل لنا تلك في ليلة ظلما مدلهمة تحمه فاخذت سطيحة من ما وعدلت الى ناحية من الطريق فقضيت حاجتي وفرغت من صلاتي وجلست مكاني والقافلة على حالها فاخذ عيني فنمت فلما استيقظت من النوم لم احد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وقد بقيت منفردا فلما لم ار احدا ولم اهتد الى ما اعمل اخذتني حيره وجعلت اضطرب واذا بصوت هاتف يقول ولم اره

تني

يا ايها الشخص المضل مركبه … ما عنده من ذوي رشا يصحبه

دونك هذا البكر منا فاركبه … وبكرك الميمون ايضا فاجنبه

حتى اذا الليل ازيل غيهبه … فحط عنه رحله وسيبه

فنظرت واذا انا ببكر قايم عندي وبكري الى جانبه فانخته وركبته فلما سرت قدر عشرة ايام لاحت لي القافلة

الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي عنه فتحولت
الى بكري وقلت

يا ايها البكر قد انجيت من كرب   ومن فيافٍ يضل المدلج الهادي
الا تخبرنا بالله خالقنا   من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
وارجع حميداً فقد ابلغتنا مننا   بوركت من ذي سنام رايح غادي

فالتفت البكر الي سمعت الصوت منه يقول

انا الشجاع الذي الفيتني رمضا   والله يكشف ضر الحاير الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله   تكرما منك لم يمنن بانكاد
فالخير ابقى وان طال الزمان به   والشر اخبث ما اوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا امن به   فاذهب حميداً رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وامر بالقصة والابيات فكتبت عنه
وقال لا يضيع المعروف اين وضع خاتمة لهذا الباب في كلمات
من الحكم المرقومة ببراعة الفصاحة واشارات من الكلم المنظومة
من براعة الملاحة منها ليس من عادة الكرام اسراع الانتقام
فلا تاخذ بالتهمة ولا تنتقم مع القدرة ولا تزيد في العفو وارحم
من دونك يرحمك من فوقك ومنها اولى الناس بالعفو
اقدرهم على العقوبة واحق الناس بالاحسان من احسن الله اليه
ومنها من احب ان الله تعالى يعفو عن سياته فليعف عن
هفوات المذنبين ويتجاوز عن سياتهم ما لم يكن فيه اسقاط
حد من حدود الله او حق من حقوق المسلمين او تجاوزا في الوقوع
في حمى الحرام ومنها الانتقام من المذنب عدل والعفو
عنه فضل ومحل الفضل اعلى والتحلي به اولى وذا الهمة العلية
والنفس الابية الزكية يرغب في الحظ الاوفر والنصيب الاكثر
ومنها اصطناع المعروف يقي مصارع السو ويزرع
المحبة في القلوب ويكتب الشكر على الالسنة وينشر حسن السمعة في

الدنيا

الدنيا ويستميل الناس الى المدح لفاعله عند استغنايهم
عنه والى تلبية دعايه واجابة ندايه عند استغاثته بهم
والى الاخذ بيده ان احوجته الايام اليهم ويورث حميد الاجر
ويخلد جميل الذكر.

الباب العاشر في مدح الصدق

وذم الكذب مراتب المزايا في مقام التفضيل
بمقدار اثارها ومناقب السجايا عند ذوي التحصيل تتفاوت
بمقدارها ومواهب العطايا بين اهل الرغبات تختلف باقدارها
ومطالب القضايا عند ظلم الشبهات تعرف انوارها ولما كان
الصدق من اجمل المزايا واكمل السجايا واشرف العطايا واتم
القضايا وانه من اعلى الاوصاف محلا واعظمها منقبة واحسنها
سمعة وانفعها اثرا ووجه صاحبه الابيض وباعه الاطول
لا جرم كرر الله تعالى ذكر الصدق ومدحه في مواضع من كتابه
واثنى على من اعتمده واتى به فقال جل وعلا يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال تعالى والصابرين
والصادقين وقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين وقال ليجزي الصادقين بصدقهم وقال
والذي جا بالصدق وصدق به وقال في حق المومنين بعد
مناقب عددها لهم وصفات ذكرها وصفهم بها اولئك
هم الصادقون وقال تعالى اولئك الذين صدقوا واولئك
هم المتقون وقال هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم الاية
وروي عن النبي صلعم انه قال ان الصدق يهدي الى البر
وان البر يهدي الى الجنة فان الرجل ليصدق حتى يكتب
صديقا وقال صلعم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي
الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق

ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأما الكذب
فقد صرح القران الكريم في محكم اياته والحديث النبوي على السنه
رواية بما يشهد بقبح الكذب اما للازم واما لذاته وانه معدود
في حق مباشره من اوزاره وسيأته ويكفي في ذلك قول الله تع
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك
هم الكاذبون وقول رسول الله صلعم ان الكذب يهدي الى الفجور
وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يصير
عند الله كذابا وقال صفوان بن سليم قلنا لرسول الله ايكون
جبانا المؤمن قال نعم فهل يكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل ايكون
المؤمن كذابا قال لا ومما فيه زيادة استبصار وافادة اعتبار
انه كم من سبب دمار وعطب وبوار واتلاف من ذي اقتدار
واشراف على شفا جرف هار عارضه الصدق فابطل حكمه ومقتضاه
وازال اثره وعفاه وزحزح صاحبه عن التلف ونجاه والبسه
سلامه وسعادة وكساه وفي القصه التي جمعنا لصحة بين متنها
واسنادها واجمعت ايمة العلم على نقلها وايرادها ما فيه غنا
عن كثرة الوقايع وتعدادها والاكتفا عن مقدمات اسنادها
واستشهادها فمنها واقعه اصحاب الغار وتلخيص معناها
وذكر ما اسند ته اليهم يد الصدق من حسناها ان رسول الله صلعم
قال بينما ثلث نفر ممن قبلكم يمشون اذ اصابهم مطر فاووا الى
غار وانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض والله يا هولا لا ينجيكم
الا الصدق فليدع كل واحد منكم بما يعلم الله انه قد صدق فيه
فقال احدهما اللهم ان كان ابوان شيخان كبيران وكنت
لا اغبق قبلهما اهلا فتاخرت مرة فلم ارح عليهما حتى ناما
فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نايمين فكرهت ان اغبق
قبلهما وما لا فلبثت والقدح على يدي ارقب استيقاظهما حتى

اصحاب الغار

اشرق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا
غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغا وجهك فافرج عنا
ما نحن فيه من هذه الصخره فانفرجت شيا لا يستطيعون
الخروج فقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم احب الناس الي
فاردتها على نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنه من السنين
فجاتني فاعطيتها مايه وعشرين دينارا على ان تخلي بيني
وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا
احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها
فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت لها الذهب
الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغا وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخره غير انهم لا يستطيعون
الخروج فقال الثالث اللهم استاجرت اجرا فاعطيتهم
اجرهم غير واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت
اجره حتى كثرت الاموال منه فجاني بعد حين فقال لي
يا عبد الله اد الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك
من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزي
بي فقلت اني لا استهزي بك فخذه فاستاقه ولم يترك
منه شيا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغا وجهك فافرج
عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخره فخرجوا يمشون
ومنها قضية الثلثه الذين تخلفوا عن رسول الله
صلعم في غزوة تبوك وتلخيص معناها ان كعب بن مالك
قال لم اتخلف عن رسول الله صلعم بعد غزاة بدر في غزاة
غزاها حتى كانت غزاة تبوك وهي اخر غزاة غزاها واذن
صلعم بالرحيل ليتاهبوا اهبة غزوهم وذلك حين طاب
الظلال وطابت الثمار وكان النبي صلعم قل ما اراد غزوه

تخلف الثلثه في غزوة تبوك

الا واد ی خبرها ويقول الحرب خدعه فاراد صلعم في غزوه تبوك
ان يتاهب الناس اهبتهم وانا ايسر ما كنت قد جمعت راحلتين
وانا اقدر شي في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ وانا في
ذلك اصغو الى الظلال وطيب الثمار فلم ازل كذلك حتى
قام النبي صلعم غاديا بالغزاه وذلك يوم الخميس وكان يحب
ان يخرج يوم الخميس فاصبح غاديا فقلت انطلق الى السوق
غدا فاشتري جهازي ثم الحق بهم فانطلقت الى السوق
من الغد فعسر علي بعض شاني فرجعت فقلت ارجع غدا
ان شا الله فالحق بهم فعسر علي بعض شاني ايضا فلم ازل
كذلك حتى التبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله صلعم
وجعلت امشي في الاسواق واطوف بالمدينه فيحزنني
ان لا ارى احدا الا رجلا مغموصا بالنفاق وكان ليس احدا
تخلف الا رای ان ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا لا
يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن النبي صلعم بضعا
وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلعم حتى بلغ تبوك فلما بلغ
تبوك قال ما فعل كعب ابن مالك قال رجل من قومي خلفه
يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل
بيس ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه الا خيرا فبينما هم
كذلك اذا هم برجل يزول به السراب فقال صلعم كن ابا
خيثمه فاذا هو ابو خيثمه فلما قضى رسول الله غزوة تبوك
ودنا من المدينه جعلت اتذكر بماذا اخرج من سخط النبي
صلعم واستعين على ذلك كل ذي راى من اهلي حتى
اذا قيل هذا النبي يصبحكم بالغداه راح عني الباطل
وعرفت اني لا انجو الا بالصدق ودخل صلعم فصلى
في المسجد ركعتين وكان اذا جا من سفر فعل مثل ذلك

دخل

دخل المسجد وصلى ركعتين ثم جلس فجعل ياتيه من تخلف
فيحلفون ويعتذرون اليه فيغفر لهم ويقبل علانيتهم
ويكل سرايرهم الى الله فدخلت المسجد فاذا هو جالس
فلما راني تبسم تبسم المغضب فجيت فجلست بين يديه
فقال الم تكن ابتعت ظهرا قلت بلى يا رسول الله قال فما
خلفك قلت والله يا رسول الله لو كان بين يدي غيرك
من الناس جلست لخرجت من سخطه علي بعذر لقد
اوتيت جدلا ولكنني قد علمت انني ان اخبرتك اليوم
بقول تجد علي فيه وهو حق فاني ارجو فيه عفو الله وان
حدثتك اليوم حديثا ترضى عني فيه وهو كذب اوشك
الله يطلعك على اني كذبت والله ما كنت ايسر ولا اخف
حاذا مني حين تخلفت فقال اما هذا فقد صدقكم
الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على اثري
ناس من قومي يونبوني فقالوا والله ما نعلمك اذنبت
ذنبا قبل هذا هلا اعتذرت الى النبي صلعم بعذر يرضى
عنك فيه وكان استغفار النبي صلعم سياتي من وراء ذنبك
ولا تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضى لك فيه فلم
يزالوا يونبوني حتى هممت ان ارجع فاكذب نفسي فقلت
هل قال احدا غيري هذا القول قالوا نعم قالوا هلال بن
امية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين قد
شهدا بدرا فقلت لي فيهما اسوة وقلت لا والله لا ارجع اليه
ابدا في هذا القول ولا اكذب نفسي ونهى رسول الله صلعم عن
كلامنا اي الثلثه ولم ينه عن الكلام احد من المتخلفين غيرنا
فاجتنبت الناس من كلامنا ولبثت كذلك حتى طال علي الامر
وما من شي اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي رسول الله صلعم

اويموت رسول الله فاكون من الناس بتلك المنزله ولا يكلمني
احد منهم ولا يصلي علي فجعلت اخرج الى السوق فلا يكلمني
احد وتنكر لنا الناس حتى ماهم بالذي نعرف وتنكرت لنا
الحيطان حتى ماهم بالحيطان الذي نعرف وتنكرت لنا
الارض حتى ما هي بالارض التي نعرف فكنت اقوى اصحابي
فكنت اخرج فادور في الاسواق واتي الى المسجد وادخل واتي
النبي صلعم فاسلم عليه فاقول هل حرك شفتيه بالسلام فاذا
قمت اصلي الى سارية نظر الي بموخر عينيه واذا نظرت اليه اعرض
عني واستكان صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار لا
يطلعان روسهما قال فبينما انا اطوف بالسوق اذا رجل
نصراني جاء من غسان بطعام يبيعه يقول من يدلني على كعب
ابن مالك فطفق الناس يشيرون الي فاتاني بصحيفه من ملك
غسان فاذا فيها اما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك
واقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسيك
فقلت هذا ايضا من البلا فسجرت لها التنور واحرقتها فلما مضت
اربعون ليله اذا رسول رسول الله صلعم اتاني فقال اعتزل امراتك
فقلت اطلقها فقال لا ولكن لا تقربها فجاءت امراة هلال بن
اميه فقالت يا نبي الله ان هلال بن اميه شيخ ضعيف فهل تاذن
لي ان اخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك فقالت يا نبي الله والله ما به
حركه لشي ما زال مكبا يبكي الليل والنهار منذ كان من امره ما كان
قال كعب فلما طال علي البلا اقتحمت على ابي قتاده حايطه وهو
ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت انشدك بالله يا ابا قتاده
اتعلم اني احب الله ورسوله فسكت حتى قلت ثلاثا فقال ابو قتاده
في الثالثه الله ورسوله اعلم فلم املك نفسي ان بكيت ثم اقتحمت
من الحايط خارجا حتى مضت خمسون ليله من حين نهى النبي الناس

ع

عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلوة الفجر ثم جلست
واذا انا بالمنزله التي قال الله جل وعلا قد ضاقت علينا الارض
بما رحبت وضاقت علينا انفسنا اذ سمعت نداء من ذروه
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعلمت ان الله قد
جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس له يبشرني فكان الصوت
اسرع من فرسه فاعطيته ثوبي ببشاره ولبست ثوبين اخرين
قال وكانت توبتنا نزلت على رسول الله صلعم ثلث الليل فقالت
ام سلمه يا رسول الله صلعم الا نبشر كعب بن مالك قال اذا لا يحطمنكم
الناس ويمنعونكم ساير الليله وكانت محسنه في شاني تحزن
لحزني فانطلقت الى رسول الله صلعم فاذا هو جالس في
المسجد وحوله المسلمون وهو مستنير كاستنارة القمر وكان
اذا سر بامر استنار فجيت فجلست بين يديه فقال ابشر يا كعب
ابن مالك بخير يوم اتى عليك منذ يوم ولدتك امك قال فقلت
يا نبي الله امن عند الله ام من عندك قال بل من عند الله
ثم تلا عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الايه
وعلى الثلاثه الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
الى اخر الايه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
فقال يا رسول الله ان من توبتي ان لا احدث الا صدقا وان انخلع
من مالي كله صدقه لله تعالى والى رسوله فقال امسك عليك بعض
مالك فانه خير لك قلت يا رسول الله وامسك سهمي بخيبر ثم قال
ما انعم الله علي نعمه بعد الاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله
صلعم حين صدقته انا وصاحباي وان لا نكون كذبنا فهلكنا كما
هلكوا واني لارجو ان يكون الله ابلى احدا في الصدق مثل الذي
ابلاني ما تعمدت الكذب بعد واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي
فلو لم يكن للصدق ثمره سوى النجاه من المكروه لكانت له شرفا

فكيف وفيه من الفوايد ما تقدم ذكره في اول الباب وحسبه ذلك
دلكفى فما اعظم بركته واعمها واكمل نعمته واتمها ولهذا يقال من صدق
نجا ووجد من التهلكه فرجا وادرك به الامل ورجا وجعل
الله ببركته من كل ضيق مخرجا زياده وافاده كما ان الصدق مجلبة
لنجح كل مطلب ومزيته بنيل مقترعها مرغوب كل ارب وهو
على التحقيق الى كل خير اقوم سبب فلذلك الكذب يفضي
بصاحبه الى كل دمار وعطب ويسود وجهه في العاجله
ويورده في الاجله شر مورد ومنقلب وفي القصة التي ذكرها
صلعم المشهود لها بالصحة اجماعا والمسعود بها من رزق تيقظا
وانتفاعا المقصود منها معرفة شقاوة الكاذب وسعادة
الصادق عيانا وسماعا يقوم بالمقصد الاقصى في ذلك
ويشير اليه للصدق زياده وللكذب نقصا ويسجل عليه وهي
قصة الاقرع والابرص والاعمى وصورتها على ما ورد

الاقرع والابرص والاعمى

به لفظ رسول الله صلعم ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى
اراد الله ان يبليهم فبعث اليهم ملكا فاتى الابرص وقال له اي
شي احب اليك قال لون حسن وجلد حسن وان يذهب عني
الذي قذرني الناس فمسحه فذهب عنه قذره واعطي لونا
حسنا وجلدا حسنا قال فاي المال احب اليك قال الابل
فاعطي ناقة عشرا فقال بارك الله لك فيها قال فاتى
الاقرع فقال اي شي احب اليك قال شعر حسن ويذهب عني
هذا الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه
واعطي شعرا حسنا قال فاي المال احب اليك قال البقر
فاعطي بقره حامله وقال بارك الله لك فيها قال فاتى الاعمى
وقال اي شي احب اليك قال ان يرد الله علي بصري فابصر
به الناس قال فمسحه فرد الله عليه بصره وقال فاي المال احب

اليك

اليك قال الغنم فاعطي شاه والده فانتج بذان فهذا كان
له واد من الابل ولهذا بقر مثلها ولهذا واد من الغنم قال
ثم انه تغير الملك في صورته وهيئته واتى الابرص فقال رجل
مسكين قد قطعت الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله
وبك اسألك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن
والمال بعيرا ابلغ به سفري فقال الحقوق في المال كثيره
فقال له كاني اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا
فاعطاك الله فقال انما ورثت هذا كابرا عن كابر فقال
ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال ثم اتى الاقرع
في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا
فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت قال واتى الاعمى
في صورته فقال له رجل مسكين وابن سبيل كمقالته لهما فقال
قد كنت اعمى فرد الله علي بصري فخذ ما شيت ودع ما شيت فوالله
لا اجهدك اليوم شيا اخذته لله تعالى فقال امسك مالك
فما انت ليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبك وعادا
الى ما كانا عليه ولهذا يقال من شيمة الصدق
يجتلي عروس السلامه ويجتني غروس الكرامه ومن شيمة
الكذب يحتسي كووس الملامه ويكتسي لبوس الندامه

خاتمه لهذا الباب في الحكم التي ضاع نشرها
وفاح وما ضاع نشرها وطاح منها الصدق ميزان
العقل وعنوان المروه وعلامة الكرم وسجية النفس المستعده
لاقتنا الفضايل والكذب مكال الجور ومعدن اللوم وقرين
سو العقيده وشاهد على النفس الباعثه عليه باتصافها
بالرذايل ومنها لو لم يكن الصدق شيا للعقاب
والذم لتعين على العاقل فعله للحسنه ولو لم يكن الكذب

سببا للعقاب والندم لتعين على العاقل تركه لقبحه فكيف
والصدق سبب المرغوب والكذب سبب المرهوب ومنها
الصدق عز والكذب ذل والنفوس الزكيه تميل الى العز وتنفر
عن الذل فلهذا تؤثر الصدق وتجتنب الكذب ومنها
لا مروة لكذاب ولا امانه لغادر كما انه لا وفا لملول ولا رياسه
لضجور ومنها الصدق لصاحبه سيف قاصل وحاكم
فاصل وعز حاصل وحمد متواصل والكذب لصاحبه
لوم عاجل وعار شامل وسم وابل وذم آجل

القاعدة الثانيه

في السلطنه والولايات مقصود القاعده تشتمل على بابان

الباب الاول

في السلطنه وما يتحلى به السلطان من الصفات وما يعتمده لاقامة
لوازمها الموظفات

الباب الثاني

في الولايات التي مدار المملكه عليها وزمام مصالح الدوله
بيدها وتبيان طبقاتها التي مرجع امورها اليها

الباب الاول في السلطنه

وصفات من خصه الله تعالى بها فاكرمه واعلى قدمه على روس
العباد وقدم السلطنه سر من اسرار الربوبيه يناط بها
المراد ويماط بها الفساد ويحاط بها العباد وتحفظ بها البلاد
ويقطع بها العناد ويفتح بها المراد وقد اختصت من
جميع المزايا وشرف السجايا ما ادناه حراسة الرعايا
وسياسة البرايا ولقد امتن الله تعالى على كليمه موسى
حين استضعف نفسه عن ادا رسالة ربه وخشي اعتراض

مقدورات

مقدورات معجزه عن تبليغ رسالته وكلمته وخاف ان ينهض
منفردا بثقل ما امره الله تعالى به فسال الله جل وعلا اسعاده
بذلك باخيه هرون فقال واخي هرون هو افصح مني لسانا
فارسله الايه فاجابه الى سواله واجناه من شجرة سواله
ثمره سوله ومنحه سلطنه فنهض عن تاميل ادراكها الطالبون
ولا يقدر على منالها بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تع
سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا الايه
فالسلطان في الحقيقه قايم برعاية عباد الله وحمايه بلاد
الله وحراسة دين الله واقامة حدود الله وحفظ احكام
الله فقد ارتضاه الله من خليقته وامرهم بطاعته وناط ازمة
الامور نقضا وابراما بيقظته وجعل له الامر المطاع بعزمته
في اقضيته فهو المشرف في التنزيل بالذكر المقترن طاعته
بطاعة الله ورسوله في السر والجهر المعني بقوله تعا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر وهو بالاتفاق ظل
الله في ارضه وبه يقام شعاير سننه وفرضه وعلى الجمله
فشرف السلطنه جسيم وقدرها عظيم ومحلها كريم ونفعها
عميم ومن اراد كشف الحجاب عن بصر بصيرته ليدرك
فضلها ويعلم نبلها ويستوضح سبلها ويكون احق بمعرفتها
واهلها فلينظر الى اثار السلطنه وثمرتها ويعتبر لوازمها
التي بها يستدل على شمول منفعتها اذ الاشيا تعرف
باثارها ويستدل بعلم نتايجها على خطر اقرارها وثمرة
السلطنه حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الاموال
وادرار الارزاق واقامة المعايش ونشر العلم واظهار
الدين وذلك بقمع الظلمه وردع البغاة ومنع المتعدين
والانتقام من المفسدين وامن السبل وتوفر الدواعي

على مصالح الدواعي والدنيا فاي منقبة انفع وافضل
واي مزية ارفع واكمل واي مرتبة اجمع للمزايا واشمل من
حالة بها انتظام مصالح الدنيا وهي قوام الاخرة والاولى
فانه عند التحقيق لولا السلطنة ما قدر طايع على ازدياد طاعته
ولا خاشع على اقامة عبادته ولا زارع على القيام بزراعته
ولا البايع على استرباح بضاعته ولا صانع على اجتناء ثمرة
صناعته ولا راتع في رياض الجنة بتلاوة الذكر على تحصيله
ودراسته ولا قاطع مفاوز الفلوات لبلوغ مطلبه وحاجته
وقد ظهرت مخايل هذه الحالة ودلايل هذه المقالة
فان هولاء الخوارزمية الذين كانت نفوسهم قد مدت
يد اطماعها الى تملك البلاد واقتطاعها وتقويت عصبتهم
بانتظامها وجهاتها اجتماعها على غطاء الجهات ورعاعها
ففتكوا وسفكوا وهتكوا وانتهكوا واخافوا الطرقات
فقطعوها وطافوا الولايات فنهبوا اموالها وجمعوها
حتى رجفت منهم نوايب الافاق وحافتهم البرايا ما بين
مصر الى العراق مع كثرة من بها من الخلايق المختلفي الطرايق
المتباينى الحقايق من نبيه وخامل وعالم وجاهل ومفضول
وفاضل فما منهم من استطاع عن نفسه دفعا ولا ملك لا
ضرا ولا نفعا الى ان حرك الله العزمات السلطانية الملكية
الناصرية لا زالت ناصرة للاسلام منصورة بالملايكة الكرام
لعنايته سبحانه وتعالى بها لاعلاء حدها واحناء سبر حدها
وطهارة نيتها وقصدها وصحة توثقها بالله وعقدها فقامت
اكمل القيام في حراسة البلاد والعباد وانفقت جمل الاموال
في اجلاد الاجناد وجهزت للقاء الخوارزمية جيشا من عساكرها
كالسيل اذا اندافع تجاجه والبحر اذا ترادفت امواجه

والليل

والليل اذا امتلات بظلمته من العالم فجاجه بفرسان
كالعقبان على خيول كالرياح بل كالاسود الضوارب
في غابٍ من مشتبك الرماح قد ملك زمام امورهم من هو
خبير بالحروب وابن بجدتها وانتدب لتدبيرهم من هو عليم
بالمصالح عارف بحقيقتها قد حنكته التجارب الزمانية
بكثرة مباشرتها واكتنفته العناية الربانية محيطة بادراك
الحكم ومعرفتها فهو ثابت اذا جاشت للقا يوم الكريهة
قلوب الابطال ووقور اذا خفت من الفرق عند النزال ثقال
الرجال متبسم اذا اكفهر السوق في المعارك دما مقدم
اذ المر يبتفحي الشجاع ان يراه مقدمه منهزما يعد صوت
الصوارم على الرقاب الذ من نغم المزاهر ويعد قيامه بنصره
دينه وسلطانه من اذخاره لليوم الاخر فقصد هولاء
الخوارزمية الخارجين عن سنن الصواب الواجين في مسالك
الاقصاب بالجيش السلطاني وقد تدرع الناس من
النية الصالحة اوفى لباس وازدلف لمقاتلتهم ومقاتلتهم
بقلوب اسود في صور ناس فكانما ارادهم بمدحته
في كلمته ابو فراس حيث قال

فجيش جاش بالفرسان حتى ظننا البر بحرا من سلاح
باروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح
فلما ترائى الجمعان هتف لربه واستنصره بلسانه
وقلبه وحمل بنفسه وصحبه فلم يكن الا كلمح البصر حتى
احمرت بيض الصفاح وخضبت بالدما زرق الرماح
فكان يوما غيمه نقع القتام وغيثه دما الخوارزمية

لعله يفتح

الطغام ورعده وقع الضرب المتتابع على الهام وبرقه
لمع الصوارم والاسنه وطلعات الاعلام فاجتنوا
بالسعادة السلطانية من شجر رماحهم ثمر النصر وحكموا
في الخوارزميه الخارجين عن الطاعه يد القتل والاسر
فصارت اسراهم تدعوا ثبورا ولقتلاهم بطون الوحوش
والطيور قبورا فتطهرت منهم الاقطار وعمرت لهلاكهم
البلاد والامصار واطمانت القلوب الواجفه فقد
وضح بهذه الحاله بالسلطان نصره الله من النعمة السابغه
وانه بتاييد سلطنته يبيح لكل انسان مقاصد حركته
ويبلغ كل عامل بسعيه غاية امنيته ويدرك خاطب
الدنيا منها نهاية مآربه ويحصل الراغب في العلم
من طلبه على وصوله الى مطلوبه وبغيته فكان السلطان
قد عبد الله بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر
وحامد واذا كانت هذه فضيلة قد افاض الله تعالى
على السلطان سابغ لباسها ورزقه يانع غراسها وادر له
اخلاف نعمتها بايناسها واصطفاه لهذه النعمه
والموهبه من بين انواع الامه واجناسها فجدير به
ان يقابل هذه المنحه من الله تع باقامة شعاير ما
في مواقفها ويحلى نفسه النفيسه مهما استطاع بصفات
عوارفها ويعلم ان الله تع قد افترض عليه امورا
لابد من القيام بوظايفها من عقيدة صالحه سويه
وطريقة هاديه مهديه وسيره حميده مرضيه واخلاق
طاهره مرضيه واعمال صالحه زكيه وهمة موفقه
عليه قد استقصينا تفاصيل الاخلاق والخلال
المرغوبه المستحسنه والشيم المستقبحة المستهجنه

ام خا

وشرحنا ما يتعين اكتسابه وما يجب اجتنابه وبسطنا
القول في اقسام ذلك في القاعدة الاولى غير انه لابد
في هذه القاعده من الاشاره الى ما يخص السلطان
كان الله له عونا وعضدا واقام له من ملايكته
المقربين مددا وسلك به الى بلوغ كل سعاده وزياده
حدا لا ينقطع ابدا فاقول ان الله تعالى خلق الانسان
وجبله على اخلاق قل ان يحمد جميعها او يذم كلها بل الغالب
كون بعضها محمودا وبعضها مذموما ولهذا قيل قديما
وما هذه الاخلاق الا طبايع فمنهن محمود ومنها مذمم
غير ان من علت همته وانصرفت الى معالي الامور عزمته
ورغب في ان يكون اخلاقه كلها حميده تعرف بها سمته
راض نفسه رياضة تاديب وتدريج وتكلف فلم يلبث
الا هنيه حتى تستقيم له اخلاقه بعضها طبعا وبعضها تطبعا
ويعلم ان اشرف الاعمال لا يتصرف فيه الا بتهذيب
الاخلاق والخلال وقد نبه الله تعا على ذلك في القران
العظيم بقوله سبحانه لنبيه صلعم وانك لعلى خلق عظيم
فان النبوه لما كانت اشرف مراتب الخلق ندب لها من
ممدحات فضايل اشرف الاخلاق ولهذا قال صلعم بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق ولما كانت السلطنه عاليه المقام
معدوده من الرتب العظام مضبوطا بها صالح الانام
مرفوعة القدم على قمم الخاص والعام كان جديرا بمن
تسربل اثوابها وتعلق باسبابها واحرز نظامها ان ياخذ
نفسه برعاية احوالها ويروضها في افعالها واقوالها
ويعلم انه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة
العباد اقدر واذا اهمل امر نفسه كان باهمال غيره اجدر

وقديما قيل لا ينبغي لذي لب وعقل ان يطمع في طاعة
غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة
اتطمع ان يطيعك قلب سعد وتزعم ان قلبك قد عصاكا
وقد تزين نفس الاشارة له حسن الظن بها فيعتقد
انه متصف بمحاسن الاخلاق فيعرض عن مراعاتها وينقاد
بزمام الرضا عنها الى متابعتها في شهواتها فينقى وهو
لا يعلم في اسر هواه مرتهنا معدودا ممن زين له سوء
عمله فيراه حسنا فيقوي نفسه عليه حتى يغلب عقله
ويتلعب به هواه حتى يستقد في شهواته قوله وفعله
ويكتنفه ضوارف غفلاته عن تامل اصلاح شانه فيسبه
فرعه واصله فلا يشعر الا وقد اشرف به الصلف على التلف
فافسد امره كله فمتى استظهر على هذه الحالة من مبدا
امره واعتبر مواقع تزيين النفس الامارة بصره وفكره
وحصر اسباب التزيين فقطعها بشبا صبره وزجر
قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه
فانقادت نفسه طوع عقله في سره وجهره كان خليقا
ان تتقلب خلايقه الذاتية الحميده وطرايقه المايية
سعيده ونظراته في تصاريف الحركات والسكنات
سديده فلا جرم تكون مملكته دايمة ومدة سلطنته مديدة
لا تدرك هذه الاستظهار بعين اليقين الا اذا احاط
علما باسباب التزيين فقطعها بحد عزمه المتين
ودفعها بجد ذي القوة المتين وها انا الان انبه
عليها لتقرب اجتنابها واشير اليها لتجتنب فترا ما
فاولها الكبر وثانيها العجب وثالثها الغرور ورابعها الشح
وخامسها الكذب فهذه الاسباب الخمسة هي ام التزيين لكل

صيغة

صيغة ذميمة واصل التحسين لكل خلة قبيحة فاذا ابعدتها
النفس عنها وازالتها منها اسعدت للانصاف اشرف
الخلال والتحلي بصفات الكمال والارتقا الى محل الفخار
والجلال السبب الاول الكبر والتجبر وهو حال يسخط الله
تعالى قال الله جل وعز كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار وقال تع اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى الكبريا ردائي والعظمة
ازاري من نازعني شيا منهما قصمته وقال صلعم لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ويقال من تكبر بغير الحق
وتجبر على الخلق فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى ونفر عنه
قلوب الناس واستجلب العداوة والبغضا منهم وقلما اتصف
ملك بصفة الكبر الا اختلت احوال مملكته واضطربت قواعد
دولته وعميت عليه ابنا مصالحه وظهرت مقابله لسهام
اعدايه السبب الثاني العجب وهو من المهلكات قال الله تعالى
ويوم حنين اذا اعجبتكم كثرتكم الايه وقال رسول الله صلعم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والعجب
غير الكبر فلا يعتقد انهما شي واحد بل هما مختلفان
ينشيان من شيين مختلفين فالكبر والتجبر ثمرة عظم المنزلة
وعلو المكانة ونفاذ الامر وقلة رؤية الامثال والاكفاء
والعجب ثمرة اعتقاد رجحان الصفات النفسانية فلا يتوهم
ان لغيره كمالا مثل كماله او لا ان لنفسه احتياجا الى احد من
الناس ولهذا يقال من استهواه العجب حتى نظر في عطفه
واختال في برديه ولم ير لغيره فضلا عليه فقد اكتسب ما فوق
السهام المفوقة اليه واحتقب ما يورثه ندامة يوم يعض الظالم
على يديه السبب الثالث الغرور وهو مطل بصاحبه على العطب

سايق له الى ورطات هلاك ذات شعب وهوان يريبه
الاحوال في مناديها منتظمه في سلك السداد والامور في
اوايلها جاريه على وفق المراد والاوقات ساكنة على هبوب
عواصف البغي والعناد والاختلافات الشاغله قد نزلت بساحات
الاعدا والاضداد فيظن ان هذه حاله واجبة الاطراد لازمة الاستمرار
بلا انقطاع ولا نفاد فيغتر بذلك فيهمل الباهت ويغفل الاستعداد
فيفاجيه حوادث الخلل وتتابعه نوازل الزلل فينسد عنه ابواب
الصلاح وينفتح عليه ابواب الفساد واعظم مواد هذا السبب نفاق
المادحين ومدح المنافقين وتملق المقربين وتقرب المتملقين
الذين اتخذوا الكذب والنفاق وسيله وجعلوا المكر والخداع
في ذلك احبوله وحيله فمتى وجدوا النفاق فيهم نفاقا وسوقا
ولكذبهم قبولا وتصديقا بصورة سلما الى مرامهم واقاموا
المغتر بهم عرضا لسهامهم واتخذوه عرضه لاستهزايهم به
واستفسامهم وقد عد عظما الفضلا هذا النوع من الاغترار
من اقوى الاسباب وحثوا اكابر الملوك على التيقظ عند
الانتهاب فيه والاطناب ونهوا على الاحتراز
منه والتجنب عنه ارباب الالباب فان اقل ما فيه
رواج الاستسخار والاستهزا ونفاق الكذب والارتياب
ولهذا المعنى امر النبي صلعم باهانه مباشره فقال احثوا في
وجوه المداحين التراب السبب الرابع الشح وهو من
الاسباب التي صرح رسول الله صلعم بكونها مهلكه ويكفي في
ذمه ان الفلاح مقرون بالسلامه منه والتوقي عنه على ما قال
سبحانه وتعالى في محكم القران الكريم ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون ويقال الشحيح عدو نفسه ومتهم
لديه ومنقبض عن صديقه ومبغض في حياته ومنكد في

عيشه

عيشه وشقي في دنياه واخرته فهو معدود من سيات الايام
مطرود عن مقامات الكرام مقصود بسهام الملام بين الانام
لا يسود ابدا ولا يبلغ وطرا ولا مقصدا السبب الخامس
الكذب ويكفي ذمه انه مجانب الايمان ويسلب خصيصة الانسان
فان النطق هو الفاصل بينه وبين ساير انواع الحيوان
والنطق الفاصل وان كان بالقوه لكن الته المعبر بها عما في الضماير
المتوصل بها عند التخاطب الى اظهار ما في السراير هو اللسان
فاذا استعمله صاحبه في الكذب فقرب البعيد وبعد القريب
وغير الاشيا عن حقايقها واخبر بالامور على خلاف ما هي عليه
وابرز الباطل على صورة الحق وكسا المحال لباس الصدق
وابدل سراب الظمان شرابا وابدل للمسترشدين اختلافا وكذابا
فقد سقط الوثوق به فلا يبقى لما يصدر عنه اثر من المطلوب
وتبطل خاصيته وتضمحل من النطق ثمرته فيلتحق حينئذ
الكاذب بالحمار والكلب والخنزير بل يكون اسوء حالا فانه كم
من كاذب اراق دما واخر قدما ولهذا يقال الكذب يسلب
صاحبه صفة الصلاح ويلبسه جلباب الافتضاح ويجعل
دريعته لغا ولو نظمها الجوهري في سمط الصحاح فهذه
الاسباب الخمسه يتعين على كل ذي فطنه ونبل
ودرايه وعقل لا سيما من له نفس عاليه شريفه وهمه غالبه
ويطلع الى معالي الامور ان يصون شرف نفسه وعلو همته
وعز سلطانه وحسن سمعته عن شي من هذه الاسباب التي
هي ام النقايص وينبوع الرذايل فمنها يتطرق تزيين القبايح
وتحسين القبايح فانه قل ما كانت فيه الا اختلت احوال
مملكته واضطربت قواعد دولته ونفرت عنه قلوب اتباعه
وعميت عليه انبا مصالحه وظهرت مقاتله لسهام اعدايه ومالت

عنه خواطر ناصريه وانبعثت للالسن الطاعنين مجال القتال
وسقط وقعه من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعده وبالخوف
من وعيده فواجب على السلطان ان يحمي نفسه عن ان يتطرق من هذه النقايص شي كما يحرس مزاجه مولدات عوارض
الامراض واذا حماها ذلك فيتعين ان يتحلى بما يزداد به
مهابه ووقارا ويكسب عظمة وفخارا ويعلي له في العالم سانا
ومنارا ويبقي له على الابد ذكرا واثارا ونملا الان اليه
على شي منه تنبيها اعتمد فيه اقتصارا واختصارا فعليه
ان لا يسارع الى اتباع الشهوات وان يتثبت عند اعتراض
الشبهات وان يجانب سرعة الحركات وخفة الاشارات
ويديم اطراف طرفه وملازمة صمته الا عند الحاجه في اكثر الاوقات
فان انفاس السلطان ملحوظه والفاظه منقوله ولقد
قيل تكلم اربعه من حكما الملوك اربع كلمات كانها مقتبسه
من جذوة نور لامجوع او منبجسه من قرارة ينبوع فقال ملك
الروم افضل علم العلما الصمت وقال ملك الفرس اذا تكلمت
بالكلمه ملكتني ولم املكها وقال ملك الصين ندمت على الكلام
ولم اندم على السكوت فهذه الحكم الرايقه والاشارات
الفايقه والمعاني المتوافقه صدرت من هولاء العظما والملوك
الحكما وتطابقت خواطرهم عليها وتوافقت اشاراتهم اليها مع
تباين ازمانهم وتباعد ممالكهم وفي ذلك دلاله على شرف
الصمت وعلو مرتبته وقديما قيل انما خلق للانسان
اذنان ولسان واحد ليكون ما يسمعه اكثر مما يقوله فاذا دعت
الحاجه الى الكلام فليعتبره قبل ان ينطق به فان كلام الانسان
ترجمان عقله وبرهان فضله فاذا تكلم تجانب الاكثار فانه
قيل من كثر كلامه كثر ندمه وتخيار عند الكلام عذب الالفاظ

واحسنها

واحسنها واجزلها وابينها وقد اختار الحكما للسلطان جهارة
الصوت في كلامه ليكون اهيب لمسامعه واوقع في قلوبهم ويجعل
في وعده التاديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبه
والارتجا ومصلحة اجتناب الاثم بمجاوزة الحد والمقدار فقد
نقل ان ابا بكر الصديق كتب الى عكرمه وهو عامله بعمان يقول
اياك ان توعد على معصيه باكثر من عقوبتها فانك ان فعلت
اثمت وان لم تفعل كذبت وكلا الامرين ذميم ويجتهد السلطان
في منع نفسه من الغضب فان الغضب شر قاهر واضر معاند جاهر
وهو اذا غلب اعظم الاشيا فسادا لنظام الارا وابلغ الامور
تاثيرا في انتقاض قواعد التدبير فان قدره الله جل وعلا في
بعض الاوقات والاحايين فلا يمض السلطان في تلك الحاله
فعلا ولا ينفذ حكما وقد بما احترز عظما الملوك من الغضب حتى
نقل ان ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا
رايتني قد غضبت فادفع الي هذا الكتاب ولا تواخره وكان فيه
لمتوب مالك وللغضب لست باله معبود وانما انت بشر
مخلوق ارحم من في الارض يرحمك من في السما وكما يجب الاحتراز
والاحتراس من الغضب فكذلك يجتنب اللجاج فانه اليف
الغضب وحليف العطب وهو فيما يثمر الزلل في العاجل ويسفر
عن الندامه في الاجل ويدفعه عنه بعلمه ان الرجوع الى الحق خير من
التمادي الى الباطل ولا يستعمل في الناس كلهم حاله واحده
بل يعتمد من الحالات في كل قضيه ما يليق بحال صاحبها من لين
وشده واقبال واعراض واحسان واساه وعفو وعقوبه
وتجاوز وانتقام واقدام واحجام واجابه ومنع وزياده ونقصان
وبشر وقطوب وظهور واحتجاب فان استعمال كل حاله
في محلها مع مستحقها اكمل تدبيرا واتم رايا واجمع لمصالح

الملك ووضعها في غير محلها افضى الى توقع الضرر ومفتاح
لباب العطب فان طباع العالم متفاوتة واخلاقهم متباينة
فمنهم من يصلحه الاقبال عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه
الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين على السلطان استمالة
الاعدا واهل الاحن من ذوي القدره ويجتهد في استصلاحهم
فان لم ينجع فيهم استصلاح ولا استماله يعدل بهم الى طريق
المداراه اللايقه بهم الى ان يلوح له وجه الفرصه وتمكنه
المواخذه بالانتقام فينتهز ذلك بالمبادره اليه ولا يوخره عن
وقته فان تاخيره مضر وانتهاكه مفسد وليعلم السلطان
ان من اعم الاشيا نفعا واعظمها في مصالح الملك دفعا كتمان
سره واخفا امره وان لا يطلع احدا على ما قد عزم على فعله
قبل تمامه ولا يتحدث بما يريده من المهام قبل ابرامه فان ذلك
من اقوى الاسباب في حصول الظفر والنكايه في القلوب واعود
بنجح المقاصد وقد ندب النبي صلعم اليه فقال استعينوا على
الحاجات بالكتمان ونقل عن علي عليه السلام انه قال
سرك اسيرك فان اظهرته صرت اسيره لكن من الاسرار والامور
ما لا يستغنى فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخالص
يرى من طاعته لربه مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان
برايه في المهمات وينتفع في فكره بالحوادث الملمات ولا
يركن فيه الى عقل احد ولا يثق بعقل متملق ومتى حدث امر من الامور
الجليله يكثر الاستشاره فيه ممن يراه اهلا لذلك ويسمع راي
كل واحد منهم على انفراده وينظر في جميع ما سمعه ويعمل بمقتضى
ما هو الاقرب الى نيل المطلوب والاصوب في دفع المرهوب
ولا يهمل الاحتراز والحذر في عواقب الامور وما يوول اليه
ويجتهد ان لا يفتح بابا يعييه سده ولا يرمي سهما يعجزه رده

وقد قيل
واياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن ان يعذر المرء نفسه وليس له من ساير الناس عاذر
ولا يجعل السلطان اوقاته كلها مصروفة الى نوع واحد
فان ذلك ان كان جدا واجتهادا في مصالح الملك والنظر
في تدبيره ضجرت النفس منه وسئمت الفكرة فيه وربما ادى
الى خلل وساق الى زلل وقديما قال عمر ابن عبد العزيز نفسي
مطيتي فان اجهدتها كبت بي وان كان ذلك لهوا او قضا
شهوه ادى الى تضييع الملك وفساد اموره ووقوع الخلل فيه
بل عليه ان يقسم اوقاته فيصرف منها قسطا الى النظر في مصالح
ملكه ورعيته وقسطا الى الاختلا بنفسه لراحته وقسطا
يخصه بتضرعه الى الله تع وقيامه بشكر نعمته واداء عبادته وكما انه
يقسم اوقاته فيخص منها كل وقت منها بحالة لايقة بذلك
الوقت لا يليق ان يوقع فيه غيرها لوقت ركوبه على جاري
عادته ووقت نظره في مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف
قضايا رعيته ووقت دخول الجند عليه لادا وظيفة خدمته
ووقت استحضار من يحضر من الرسل لادا رسالته ووقت
اختلايه بنفسه طالبا للراحة ووقت سكونه ومنامه
وقيلولته ووقت استيناسه ممن يحضره بمحادثته ووقت
قيامه بفريضة الله تع وعبادته ولكل واحدة من هذه الحالات
وقت من الاوقات لا يتعداها وزمن منسوب اليها لا
يليق به سواها فلو اوقع كل حالة في وقت غيرها لارداها ولا اخلها
عن ضرب الاصابه وما هداها وكذلك يتعين عليه ان يستعين
في الاعمال بكفاة العمال ويعتمد في المهام الثقال على اجلاد
الرجال فيفوض كل عمل الى ما قد ثبت قدمه راسخة في معرفته

دابه به بد ماسطة فی درایته وتجربته ولا یفوض عمل عالم الی جاهل ولا
عمل نبیه الی خامل ولا عمل مستیقظ الی غافل ولا عمل ذی حلیه الی
عاطل فان فعل ذلک فقد باع حقا بباطل واعتاض عن قس بباقل
وسلط علی الدوله لسان کل قایل وقدیما قیل من استعان فی
عمله بغیر کفوه اضاعه ومن فوض امره الی عاجز عنه فقد افسدا وضاعه
ولیحذر کل الحذر من تولیه احدا امرا من امور المملکه الدینیه والدنیاویه
بشفاعة شفیع اورعایه لحرمه اولقضا حق اذا لم یکن اهلا للقیام
بما ولی ولا ناهضا بعبا ما استکفی ولهذا قیل من قلده بالشفاعه
والرعایه دوی عمله وندم فان احب مکافاه احد من هولا کافاه
بالمال والصلات وقطع طمعه عما لا یصلح له من الولایات لیکون
قاضیا حقوقهم بماله لا بمملکته وهذا المعنی الذی کان یعتمده کسری
لاحکام قواعد ملکه وتاییده واتمام مقاصد تدبیره وتاکیده
حتی وضع خشبة من ساج علی بابه منقوشه بالذهب علیها
مکتوب الاعمال للکفاة والحقوق علی بیوت الاموال ولهذا قیل
ای ملک ملک جده هزله وقهر رایه هواه وعبر فعله عن ضمیره
ولم یخدعه رضاه عن حقه وفوض کل عمل الی مستحقه واستعمل
بالکفاة لا بالشفاعه ولم یاخذ بالسعایه قبل الکشف ولا استهواه
تحرص المتقرصین فهو خلیق باستحقاق المملکه وارتدا جلبابها
جدیرها وان لم تکن اواصره وعناصره من اربابها **تجدید**
افتتاح وتاکید ایضاح متعین علی من رزقه الله نعمة السلطنه
وحلاه بعقدها واتاه ازمة حل الامور وعقدها وجعله نایبا
فی حمایة بلاده ورعایه عباده فالیه مآل مرجعها ومردها ان
یصرف عنان عنایته ونظر تیقظه فی عشرة امور هی مدار
قطب السلطنه وقرار قواعد المملکه **الاول** حفظ بیضة الاسلام
والدین فی ناحیته لیلا یقوی علیه شوکة کافر ولا تصل الیه ید فاجر

وذلک

وذلک باقامة الامرا والاجناد واعداد الاهب والاستعداد
وتحصیل الامداد لارهاب الاعدا والاضداد **الثانی** تفقد
المعاقل والحصون والثغور باعتبار رجال ولاتها واختبار
رجال حمایتها والبدار الی اصلاح عمایرها وذخایرها ومهماتها
الثالث السیاسه لدفع المفسدین وردع المعتدین فان
بها یتم سعی الرعایا لتحصیل المعایش والاقوات وینعم وتقع
الناس بالاسفار التی لا تحصل الا بامن الطرقات **الرابع**
اقامة حدود الله تعالی المانعه من ارتکاب المحارم الوازعه من اقتراف
الجرایم الرادعه من اکتساب المظالم فقد جعلها الله تعالی لحفظ النفوس
وحراسة الاموال وامر باقامتها فلا یحل اسقاطها بشفاعة ولا اسوال
الخامس دوام تمسکه بحبل الشریعه والتزامها واعتماده فی امره علی
نقضها وابرامها واعتباره امور القایمین باحکامها واعتناوه باقامة
قضاتها وحکامها قضیة صلحا القضاة قطع النزاع وصیانة
الحقوق والاموال عن الضیاع وحفظ ذلک من ان یمتد الیه ید
الانقطاع من ذوی الاطماع واقامة العقود المحتاج الیها علی ما لها
من الاوضاع **السادس** اقطاع الامرا والاجناد وارزاق ذوی الحقوق
من العباد وترتیبهم علی مقدار منازلهم واحوالهم وتفضیلهم بما یوجبه
تفاضل الاحتیاج الیهم فی اعمالهم **السابع** جهات الاموال اختلاف
انواعها ومواطن الغلال التی بها تقویة البلاد باعتبار مزارع
ضیاعها وان لا تؤخذ الا بالحق والعدل فهو اکثر حارس لها من
ضیاعها **الثامن** استخدام الکفاة والامنا واستعمال
النصحا والاقربا لیکون الاحوال بکفاتهم وقوتهم ملحوظه مغبوطه
وبامانتهم ونصحهم محفوظه ملحوظه **التاسع** امور العامه بان
یجلس لها فی وقت من الاوقات لکشف المظالم واقامة فریضة
العدل لازالة المظالم **العاشر** التطلع الی متجددات الاحوال

وحوادث الامور واستعلام ما تجدد منها مخافة طريان مكروه ومحذور
بان يجعل له عيونا يصدقها وثقات يعتمدهم لرصدها فان حوادث
الاقدار قد تقلب الموافق مخالفا والامين خاينا والناصح غاشا
والساكن مضطربا فاذا تطلع الى معرفة متجددات الاسباب ظهر له
الخطا من الصواب وعلم المحق من المرتاب فبادر الى اصلاح الخلل
وازالة الاضطراب فهذه الامور العشره اصول ينبث
منها شعب متفرعة وهي قواعد راسخة تبنى عليها احكام متنوعه
فاذا لحظها السلطان بعين يقظته وادخل بكرتها في باب معرفته
حمى حوز مملكته وقام بجوابه لله تعالى عند مسايلته فان السلطان
نايب الله في خليقته وراع امورهم وكل راع مسوول عن رعيته

الباب الثاني في الولايات

قد تقدم القول مشروحا في الباب الاول فيما يعتمده السلطان
وهذا باب معقود لبيان ما يعتبر في القايمين بمصالح المملكه المباشرين
تفاصيل احوالها فان السلطان وان كان يعتمد التطلع والنظر في
ذلك فانه نظر كلي واجمالي غير تفصيلي ويكون النظر في التفصيل والقيام
بجزويات الامور والاعمال مفوضا الى من اقامه السلطان وولاه
واستنابه فيما هو اهل لما تولاه فعلى السلطان وظيفتان الوظيفه
الاولى ان يعلم انه نايب قد اقامه الله في عباده وارتضاه من خلقه
لرعاية بلاده فيعمل في نيابته عن الله تعالى ما يجب ان يعمله من
يستنيبه من مماليكه وعبيده على وفق مراده الوظيفه الثانيه
ان يجتهد رايه ويعمل فكره من يفوض اليه شيا من اعمال مملكته
ويستخدمه في بعض الاحوال دولته ويوليه امرا من امور رعيته
فان افعالهم اليه منسوبه واعمالهم عليه محسوبه وقد قيل
قديما وزير الملك عينه ويده وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه ورسوله
لسانه فيعتبر فيمن يوليه اربع صفات لا بد منها المعرفه والديانه

والكفاة والامانه فان تفويض الامر الى من لا معرفة له به ولا علم
عنده فيه جدير باضاعته والى من لا دين له ولا تقوى له جدير
بافساده والى من لا كفاة فيه ولا نهضة له جدير بوقوع الخلل
فيه والى من لا امانه له جدير باجتناء ثمرة عمله لنفسه وهذه الصفات
الاربع هي عناصر صلاح الاعمال بالعمال ومواد نجاح مساعي
ولاة الاحكام والاموال وقد اشار القران الكريم في قصة
يوسف عم الى اعتبار هذه الصفات حيث قال انك اليوم لدينا
مكين امين قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فالمكانه
والامانه والحفظ والعلم اصل فيما ذكرناه من الاوصاف
الاربعه ثم الديانه والامانه وصفان معتبران على الاطلاق من غير
اضافة الى امر معين ولا عمل مخصوص فلا يمكن ثبوتهما بالنسبه
الى جهة ونفيهما بالنسبه الى جهه واما الكفاه والمعرفه فهما
وصفان اضافيان مختلفان باختلاف الاعمال فانه قد
يكون الانسان كافيا في عمل عارفا به ولا يكون كافيا ولا عارفا
بعمل اخر غيره فالمعتبر حصول الاوصاف في المتولي بالنسبه الى
العمل الذي فوض اليه واستنتدب له وهذا تفصيل صفات
الولايات وهي خمس طبقات

الطبقة الاولى الوزاره الطبقة الثانيه ولاية الانشا الطبقه
الثالثه ولاية الجيش والجند الطبقة الرابعه ولاية ديوان الاموال
الطبقه الخامسه ساير الحاشيه

الطبقة الاولى الوزاره

الوزير هو قطب الدوله ومدارها وزند المملكه وسوارها يستضي
السلطان في ظلم المهام بانوار تدبيره ويحمل عنه اعباء ما يحدث
من قليل الخطب وكثيره وجليله وحقيره وفسله ونصيره فعليه
بذل مجهوده ليصيب الصواب بسهام همه وليصوب انوار رايه
فيحبس من التدبير عيون ديمه فلا بد للملك من وزير يعضده

ومدبر يثقف المناد ويؤيده وقد صرح الكتاب والسنه باتخاذ
الوزير والاستظهار به في التدبير فقال سبحانه وتعالى في قصة موسى عم
واجعل لي وزيرا من اهلي وقال جل وعز ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا وقال النبي صلعم من ولي شيا
من امور الناس فاراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره
وان ذكر اعانه واذا اراد غير ذلك جعل له وزير سو ان نسي لم
يذكره وان ذكر لم يعنه واختلف الناس في اشتقاق هذا الاسم
على ثلثة اوجه احدها انه ماخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير
يحمل عن الملك اثقاله وثانيها انه مشتق من الوزر وهو الملجا
ومنه قوله تعالى كلا لا وزر اي لا ملجا فالملك ملتجا الى راي الوزير
ومعرفته وتدبيره وثالثها انه ماخوذ من الازر وهو الظهر ومنه
قوله تعالى في قصة موسى عم اشدد به ازري اي قوي به ظهري فالملك
يقوي بالوزير كقوة البدن بالظهر ولما كان هذا المنصب في نفسه
جليلا كان المناصب للقيام بوظايفه قليلا فان المتقدمين
من فضلا العظما ذكروا في صفات مباشره شرحا طويلا وحملوا
من حمل امانة الوزاره من الاوصاف المعتبره عبا ثقيلا والخصها
ماكتبه المامون في اختيار وزير ليزناد له فقال اني التمست
لاموري رجلا جامعا لخصال الخير عفة في خلايقه واستقامه في
طرايقه قد هذبته الاداب وحنكته الوقايع واحكمته التجارب
ان ايتمن على الاسرار قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها
يسكته الحلم وينطقه العلم ويكفيه اللحظ وتغنيه اللمحه له صولة
الامرا واناة الحكما وتواضع العلما وفهم الفقها ان احسن
اليه شكر وان ابتلي بالاساة صبر لا يبتع نصيبا من يومه بحرمان غده
يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما
نقل من كتاب المامون ولقد اشار في هذه الكلمات الموجوده

والالفاظ

والالفاظ المختصره الى رموز تحتها كنوز وفي رمزه المسطور ووصفه
للرجل المذكور نهوضه بمهمات الامور ومتى نهض بمهمات
الدوله وامور المملكه وانتصب لها ولزمه ان يحمل اثقالها
ويزيح اختلالها ويصلح احوالها ويحفظ رجالها ويثمر
اموالها ويستخدم الكفاة الثقات ويوليهم اعمالها
ويلزمهم محجة المعدله واعتدالها ويحذرهم عاقبة الظلم
ووبالها وينذرهم نكال الظلمة الخونه وما لها ثم يتفقد
تفاصيل احوالهم ويراعي تصرفهم في اشغالهم ويتطلع سرا
وجهرا الى اقوالهم واعمالهم فمن وجده قد نسي ذكره او غفل
عن شي بصبره او اخطا عن سهو على الندور غدره ومن
احسن منهم في عمله وثمره وقام فيه بواجب حقه ووفره
خصه بزيادة رعايته واعلا مكانته وشكره ومن خان عهد
الامانه وفرط في ولايته عاقبه وعزله وعوره وليعتني بجهات
الاموال وحراسة اسبابها وفتح ابوابها وضبط حسابها
وحفظ حسابها وبث الاحسان في مظان اكتسابها واعتماد
العدل والانصاف في استخراجها واجتلابها فان كثرة
الاموال وقلتها بقدر المعرفه باختدامها من شعابها من جزي
مقدره وتجاير معشره واخرجه محضره وعشور محرره وقسم
مقدره وغنايم موفره وفي من جهات غير منحصره هذا الى
زكوات واجبه واجور لازمه لازبه ودبات دما داهبه
ومحوز مباحات راتبه ومستخرج معادن غير ناضبه الى
غير ذلك من تربيع مزارع وتوزيع قطايع وتوسيع مرابع
وتفريع مواضع وترجيع طوايع فهذه جهات اموال جعل
الشرع بيد السلطنه زمام استخراجها ومكن من استيفايها
بسلوك طريقها ومنهاجها وفرض فيها حقوقا يجب رعايتها

عند صرفها واخراجها فاذا اقام وزير المملكه في جهات الاموال نوابا
بين لهم تفصيل هذه الاجمال وحرصهم على حسن التوصل الى
استخراج الاموال وعرفهم الطرق المفضيه اليها لئلا يشتبه
عليهم الحلال بالحرام امرهم باتباع الحق واجتناب الباطل
على كل حال ثم ان وزير الدوله والمملكه لا يخلوا من ان يكون
وزير تفويض او وزير تنفيذ فان لكل واحد من القسمين حكما
حكما يختص به ووضعا يلزمه فان وزارة التفويض اعلا المرتبتين
واعظم المنزلتين وهي ان يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكه
والدوله برايه وسداده ويجعل اليه امضا امورها بمقتضى نظره
واجتهاده فهذه ولايه لا يكون فيها مجرد الاذن بل لابد من عقد
وتصريح فيقول قلدتك ما الى نيابة عني او قد استنبتك فيما الي
او ما يقوم مقام ذلك ولو قال فوضت اليك وزارتي او ذكره
بصيغة الجمع للتعظيم وقد قال فوضنا اليك الوزاره ففي انعقاد
وزاره التفويض بهذا القول وحده خلاف والمختار انها
تنعقد وتحصل الولايه له فيستفيد بهذه الولايه بسط اليد
ونفاذ الحكم في امور المملكه والتصرف في احوال الدوله بما يقتضيه
نظره واجتهاده من توليه وعزل واطلاق وبذل واستخدام
وقطع واعطا ومنع ونقص وزياده واسدا واعاده وتسلط
على كل ما للسلطان فعله من امور المملكه الا على شيين فانه ليس
له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزاره احدهما اقامة
ولي العهد والثاني عزل من ولاة السلطان واقامه فان فعل
ذلك واقدم عليه فانه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا ووزير التفويض
وان عمت ولايته وشارك السلطان في حكمه فعليه وظيفه
لابد له من اقامتها ويجب عليه فعلها وهي ان يطالع السلطان
بما امضاه من عمل وما انفذه من ولايه وتقليد وعلى السلطان

ان يتامل افعال الوزير وما قد اصدره عن الراي والتدبير
ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب قرره وتركه وما راه
على خلاف ذلك رده واستدركه فهذه زبدة ملخصه ونبذه
مختصره في وزارة التفويض واما وزارة التنفيذ
وهي دون وزارة التفويض فان حكمها اضعف وشرطها
اقل اذ السلطان هو القايم في المعنى بالتدبير فيها والقضايا
صادره عن نظره ورايه وهي ان يقيم السلطان واسطه
بينه وبين الناس يودي عنه ما امره وينفذ ما قرره ويطالعه
بما يرد عليه ويسمع جوابه فينقله كما ذكره وهذه الوزاره لا
يفتقر في صحتها على عقد وتقليد بل يكفي فيها مجرد الاذن
ولا يعتبر في الموهل لها من الشروط ما يعتبر في القسم الاول
لكن لابد ان يكون امينا فان الخاين لا يعتمد عليه ولا يركن
اليه وان يكون صادقا بحيث يعتمد على انهايه ويعتقد على
قوله في اعادته واندايه فان الكذاب لا يوثق به وان يكون
قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ولا يخدع بالتحف
في شي من القضايا وان لا يكون بينه وبين الناس تشاحن
وتباغض يحمله على ترك الانصاف ويحثه على الاجحاف
والاعتساف وان يكون له فطنة حس ويقظة نفس ليامن
التدليس عليه واشتباه الامور لديه وان يكون خاليا عن الاهوا
فان الهوى خادع الالباب قاطع طرق الصواب وفي الحديث
النبوي ما يكمل به هذا الغرض ويتم وهو قوله صلعم حبك للشي
يعمي ويصم فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم
ولا النظر في المظالم ولا تقليد متول ولا اقامة متصرف
ولا تدبير جيش ولا حرب ولا التصرف في اموال بيت المال بقبض
المستحق وصرف الواجب فيها وهذا كلها يملكها وزير التفويض

ولاجل التفاوت بين الولايتين والفرق بين المنزلتين جاز
ان يكون وزير التنفيذ مملوكا ولا يشترط ان يكون حرا وجاز ان لا
يكون عالما باحكام الشريعه وجاز ان يكون جاهلا بامر الحرب
والخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان والرعيه مظهر
ومخبر ولا يشترط في قبول الخبر الحريه ولا المعرفه ولا الذكوره ولا العلم
بتفاصيل الشريعه وهل يشترط في هذا الوزير الاسلام حتى لو اقام
السلطان وزير تنفيذ من اهل الذمه كان جايزا ام لا اختلف ارا
الايمه في ذلك فذهب عالم العراق الامام ابو الحسن علي بن حبيب
البصري رحه الى جوازه وذهب عالم خراسان امام الحرمين رحمه الى
منعه وعدم تجويز ذلك من عالم العراق عثره لن تقال وخطا
فيها قال وهذا بخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط
معتبره من جمله ما تقدم بيانه من الاوصاف في حق المباشر لها

الطبقه الثانيه كتابة الانشا لابد قبل بيان المقاصد وتبيان
القواعد من ذكر شي من اصل الكتابه ووضعها والتعرض لمن قام
بتاليفها وجمعها ثم يعطف عليها مقصد الغرض المطلوب ويضيف
اليها ما يتعين من هذه الاسلوب فاول من وضع الخط العربي
واقامه وصنع حروفه واقسامه ستة اشخاص من طسم كانوا نزولا
عند عدنان ابن ادد وكانت اسماؤهم ابجد هوز حطي كلمن سعفص
قرشت فوضعوا الكتابه والخط على اسمايهم فلما وجدوا في
الالفاظ حروفا ليست في اسمايهم الحقوها بها وسموها الروادف
وهي الثا والخا والذال والضاد والظا والغين على حسب ما
يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره ونقل
ان اول من اتى اهل مكة بكتابة العربيه سفين بن اميه بن عبد شمس
ثم انتشرت وقيل غير ذلك واستكتب النبي صلعم عبد الله بن الارقم
ابن عبد يغوث ابن زهره وكان يجيب عنه الملوك وبلغ من

الامانه عند النبي صلعم الى ان كان يامره بان يكتب الى الملوك
فيكتب ويطين الكتاب ويختمه واستكتب زيد بن ثابت
وكان يكتب الوحي ويكتب الى الملوك ايضا وكان اذا غاب
عبد الله وزيد واحتاج ان يكتب كتابا يامر من يحضر ان
يكتب وكتب له ايضا عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والمغيره
ابن شعبه ومعويه ابن ابي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص
وغيرهم فالكاتب عضد معين وعون مسعد ولابد للدوله
والمملكه منه ولا غنا لها عنه ثم مراتب الكتابه المتعلقه
بالسلطنه ثلثه كتابة الانشا وهي الطبقه الثانيه من هذا
الباب وهذه الطبقه مسبوقه ببيانها وطبقة الجيش
وهي الطبقه الثالثه من هذا الباب وسياتي ذكرها ان شا الله
ثم كتابه الخراج والاموال وهي الطبقه الرابعه من هذا الباب
وسياتي ذكرها ان شا الله تعالى وكتابه الانشا من مقومات
الدوله وقواعد المملكه وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان
معدود من الاعضا والاعوان قايم في اتمام مقاصده
واغراضه مقام الترجمان نازل منزله القلب واللسان من
الانسان فانه المطلع على الاسرار المجتمع لديه خفايا
الاخبار المنتفع به في طريقي النفع والاضرار فحاجة الدوله
اليه كحاجة الهم الى منساته وذي السقم الى اساته والمعدم
الى مواساته اذ كم من عضب ما عنه اراق قلم الانشا نساه دمها
وكاتب جيش قابلها كاتب فردها وهزمها وصياصي منيعه يصبت
الكتب لتسلمها سلمها ونواصي عواصي اقتادت السطور الى
الطاعه لممها وانوف انف حطمها القلم بره الادلال وخزمها
وصفوف واقفه للنزال ازال المنشي عن موقفها
قدمها فهو يقوم من منا الدوله ما لا يقومه المثاقب

ويقوم بنصرة الملك في مواقف لاتصل اليها الكتايب ۲ فلوب
عدو عاثت على الدوله استدناه الكاتب بلطف انشابه
حتى انقلب وليا ومباين بابن استهواه ببراعة استدراجه
الى ان تركه حفيا وحناويا اوحى اليه من بلاغة ماقربه نجيا
وجيش جاش للقتال تلا عليه من ايات الرغبه والرهبه حتى جر
امراوه للطاعه سجدا وبكيا هذا الى غير ذلك من الاعراض المهمه
والمقاصد العارضه الملمه التي لابد للمملكه من اقامة وظايفها واداء
مناسك مواقفها من تهنيه يعظم بها قدر النعمه الموهوبه وتعزيه
يبرد بها حراره العبره المسكوبه وشفاعه يقتاد بها زمام القبول
بحصول المآربه المطلوبه فلهذا كاتب الانشا المعاني علم هذه
المعاني ضارب في اعتبار العلوم بالقدح المعلا راكب
من صهوات الفضايل مطا المحل الاعلا فان من مواد صناعته
وامتعة بضاعته وشروط براعته معرفة الايات القرانيه
واسباب نزولها وعلم الاحاديث النبويه وكنه مدلولها وفهم
سير الملوك الاول في افاعيلها واقاويلها والتضلع من الحكم
والامثال بتفريعها وتاصيلها والتطلع على وقايع العرب
بجملها وتفاصيلها والتوسع في ابحر المعاني الستعريه مابين
متقاربها وطويلها فذلك ملك زمام البلاغه والبراعه ورقي
بقدمه على قمم هذه الصناعه فاذا امره السلطان بكتاب تخير
له افصح الفاظه وارجح معانيه وجعل مطلع دعايه مشعرا بالغرض
المودع فيه ويختصر تارة ويطنب اخرى ويستعمل في كل مقام
ماهو به اليق واحرى وقديما قال عمرو ابن مسعده وكان قد
تفوق من البلاغه دراخلافها وتطوق من البراعه دراصدافها
لقد امرني المامون ان اكتب كتابا بين يديه الى بعض العمال
على يد رجل له به عناية لحاجة الرجل عند المكتوب اليه

وقال

وقال اوجز مااستطعت وبالغ في حقه فكتبت كتابي اليك
كتاب واثق بمن كتب اليه معين ممن كتب له ولن يضيع بين
الثقه والعنايه حامله والسلام فلما وقف عليه وقع منه
بموقع ظهرت لي اثار بشره وبره فالتعبير بالالفاظ القليله
عن المعاني الكثيره وابداؤها للسامعين في الكلمات القصيره
شاهد للكاتب برجحان فضله حامد له بلسان الادب كله فهذا
النوع من الايجاز في استعمال الحقيقه والمجاز معدود من
دلايل الايجاز وقد اجتمع ارباب علم المعاني والبيان وقطع
اصحاب التقدم في هذا الشان ان اوجز كلمة كانت العرب
تستعملها وتتداولها السنتهم الفصيحه وتفضلها قولهم
القتل انفى للقتل ويعدونها واسطة عقد الايجاز ويحمدونها
بلسان التفضيل والامتنان فلما نزل القران الكريم وفيه
قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقرعت اياته اسماعهم
وقطعت فصاحته معارضة اطماعهم اذعنوا له بخفض الجناح
ورفض اللجاج واعترفوا برجحان هذه الكلمه لما فيها من الكشف
والبيان والتكمله والايضاح ولا غنا عن كشف الغطا
عن وجه هذا الاجمال بيد التفصيل وابدا الوجوه الموجبه
لاعترافهم بالرجحان والتفضيل وهي خمسه الاول ان قوله
في القصاص حيوة عري عن تكرار اللفظ خلي عن اعادته وقولهم
القتل انفى للقتل مشتمل على تكرار لفظة القتل وذكرها مرتين
وتكرار اللفظ واعادته يسقط فصاحة الكلام وجزالته الثاني
انه اوجز واخصر في العباره واقل تطويلا وان حروفه اقل
عددا من حروف قولهم الثالث انه احسن تاليفا للحروف
المتباينه فان الخروج عند النطق من الفا الى اللام في قوله
تعالى في القصاص اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة في قولهم

القتل انفى وهى اخر القتل واول انفى لبعد ما بين مخرج الهمزه
ومخرج اللام وكذلك ايضا الخروج من الصاد الى الحا اخر القصاص
واول حياة اعدل من الالف الى اللام وهو اخر انفى ولام تعريف
القتل اذ الهمزه تسقط وحسن تاليف الحروف ادخل في
الفصاحه الرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف
بذكر القصاص الدال على المساواه فان القصاص ماخوذ من
التساوي ومنه سمي المقص مقصا لاستوا جانبيه واعتدال
طرفيه ولا كذلك لفظ القتل وما كان مشتملا على اقامة
العدل والانصاف كان ارجح الخامس تصريحه بالغرض المطلوب
المرغوب فيه وهو الحياه ولا كذلك قولهم فظهر بهذه الوجوه
تفصيل ادلة الرجحان وتفصيل الجزالة والايجاز في علم البيان
فمتى ملك الكاتب جواهر انواع الكلام وسلك في شعب البلاغه
لاستجلا وجوهها الوسام وادرك معرفة اقسامها فابرز في
كل مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل
وخصله وفاز بفضل الله فانه يوتي كل ذي فضل فضله وحكم له
باقتعاد غارب البلاغة المغربه واقتياد مراكب الفصاحه
المعربه وجات الفاظ كتبه ولها عذوبه وحلاوه وعليها بهجه
وطلاوه فيشتمل القلوب ويملك النفوس ويخدع الالباب
فتنجح بها المساعي وتحصل المقاصد وتتم الاغراض وتقضى
الحوايج فيكون حميده الورود والصدور متعبده في جميع
الامور ولا يحصل ذلك الا بسلوك شعب البلاغه التي منها
متى احكمها الكاتب اضا كوكب فهمه الثاقب وهي عشرة
شعب الاستعاره التشبيه الكنايه الايجاز الاطناب
المغالطه التضمين الاستدراج المبادي التخليص فهذه
الشعب العشره هي اصول وما عداها فيرجع اليها وانا اشير

الى كل واحد منها بذكر حقيقته ووصفه واكشف وجهه
ليعرفه ناظره ولا جهاله بعد كشفه واوضحه ان شا الله تعالى
ايضاحا لا يابنه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه الشعب
الاول الاستعاره وهو ان يحاول المنشي تشبيه شي بغيره
ولا يوثر الاتيان بلفظ التشبيه واداته طلبا لزيادة الدلاله
مع الايجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه للمشبه من غير تعرض
لذكر المشبه لفظا فيحصل له بذلك زيادة فصاحه وحسن بلاغه
ومثاله من القران الكريم في حق القرية التي كفرت بانعم الله تعالى
قوله سبحانه فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
ووجه الاستعاره ان الثوب لما كان يحيط بجوانب لابسه
ويشمله من جهاته استعار اسمه للجوع والخوف حين اراد الاخبار
عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فاتى بنظم هو
ابلغ في تحصيل الغرض من الحقيقه وافصح فانه لو قال فجعل الله
الجوع والخوف محيطا بهم من جوانبهم كانه لباس لهم لم يكن فيه
من الفصاحه والحسن كما ذكره سبحانه وتعالى من الاستعاره
الشعب الثاني التشبيه وهو الدلاله على ان شيئين اشتركا
في معنى هو ثابت لما دخلت عليه اداة التشبيه في نفسه وهو
اشهر معانيه فيجعل المنشي احدهما الذي لم يدخل عليه الاداة
مثل الاخر التي دخلت عليه كقول القايل رجل كالاسد ووجه
كالقمر ومثاله من القران الكريم في وصف العالم عند خروجهم
من القبور يوم البعث والنشور قوله تعالى يخرجون من الاجداث
كانهم جراد منتشر فانه لما يكون الناس عند خروجهم من القبور
مضطربين بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشر وجعلهم
مثله نظرا الى ما ذكرناه من المعنى الشعب الثالث الكنايه وهو
ان يريد المنشي اثبات معنى من المعاني ولا يذكره بلفظه الموضوع

له فيعدل الى معنى هو تابعه ورديفه فى الوجود فياتى به لتحسين
كلامه وايجازه ومثاله من القران الكريم فى صفة عيسى عليه السلام
وصفة امه قوله تعا كانا ياكلان الطعام كنى بذلك عن خروج
الخارج منهما لانه من توابعه وروادفه فجانت الكنايه افصح واوجز
الشعب الرابع الايجاز قد تقدم ذكره والتنبيه عليه الشعب
الخامس الاطناب وهو ان يذكر المنشى كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله
حقيقة مدلول الكلام الاول تضمنا تنبيه بذلك على زياده وقع
هذا المعنى فى النفوس وشدة الاعتنا به ومثاله من القران
الكريم فى قصة الافك فى حق عايشة قوله تعا اذ تلقونه بالسنتكم
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند
الله عظيم فقوله بافواهكم اطناب فانه دل على حقيقة ما دل عليه
قوله وتقولون لان القول لا يكون الا بالفم لكن نبه بهذا الاطناب
على تعظيم هذا الامر المرتكب وشدة وقعه وقبحه واكثر الفضلا
يستعملونه فى الوقايع المعتنا بها الشعب السادس المغالطه
وهى من محاسن ما يتعاناه المنشى المجيد ويعتمده الحاتك الفريد
ويختص بمواقف ما على حسن استعمالها فيها مزيد وهو ان المنشى
او المتكلم بكلام يدل على معنى له مثل او نقيض فى شى ويكون
المثل او النقيض احسن موقعا لارادته والايهام به ومثاله
من القران الكريم فى حق المنافقين وقد صدرت منهم حركات
وكلمات فى حق النبى صلعم بالاستهزا والاستسخار فقال تعا
ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فغالطوا فى
الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا
فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزؤن الشعب السابع التضمين وهو ان ياخذ المنشى
الايات القرانيه والاخبار النبويه والامثال العربيه والابيات الشعريه

فيجعل

فيجعل سجعات كتابته مشتملة عليها منها فتارة ياخذ الايه كامله
وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة تقتصر على شى منها يتمم به فقره
وسجعته فيكتسى كلامه بهارا ونقاوا شراقا ويعذب عند سامعه
مذاقا وهو شعب عنى به اكابر الفضلا واكثر ما يستعمل فى الخطب
والمواعظ فانه يبين وقعها ويحسن وصفها الشعب الثامن الاستدرا
ج وهو ان يصوغ المنشى لغرضه الفاظا يكسوها من اللطافه والبراعه ما يخدع
بها الالباب لينقاد معه الى مراده وهذا الشعب وان كان خفيا
فهو الركن الاعظم والسنن الاقوم فى هذه الصناعه وكل من لم يبلغ
فى علم البلاغه الى احكام مقامات الاستدراج فقلما ينجح مسعاه
ويساعف مبتغاه واذا تامل المتامل فى القران الكريم من وجد فيه
من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع كثيره منها
فى قصة موسى عم لما اراد ان ينقل قومه من ارضهم الى غيرها فاخبر الله
تعا عنه بقوله سبحانه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جعل فيكم ابنيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يات احدا من
العالمين فبسط امالهم واسمعهم ما سر نفوسهم واستدرجهم به الى
قبول ما يامرهم به قال لهم مطلوبه ومقصوده وهو قوله يا قوم
ادخلوا الارض المقدسه التى كتب الله لكم وفى هذه الايه وامثالها
من ايات الاستدراج من الحكم ما يحيط باسرارها من رسخت فى علم
البلاغه اخمص قدمه وانبجست عيون البراعه من شق قلمه الشعب
التاسع المبادي وهو ان يجعل المنشى فاتحة كتابه واولا دليلا على
المقصود الذى انشاه له فينظر الى الغرض المطلوب فيجعل التحميد
او الدعا والتضمين مشعرا بذلك فانه من اعلى مراتب البراعه والبلاغه
وفى القران الكريم من المبادي والافتتاحات مواضع تخرق عقول
السامعين الفاضلين بفصاحتها منها قوله تع فى اول سورة النسا
وفى غيرها يا ايها الناس اتقوا ربكم فانه افتتح كلامه بالندا الذي يستفتح

ابواب الاسماع ويستحضر الاذهان لاجل الاستماع وهذا الشعب عظيم
النفع لمن حققه لا ينفتح بابه الا لمن طرقه **الشعب** العاشر التخالص وهو
ان يجعل المنشى بين المعنى الذي ينتقل عنه وبين المعنى الذى ينتقل اليه
تعلقا وارتباطا بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعانى المتعدده
والالفاظ الكثيره من اوله الى اخره كالمنتظم فى سلك واحد ياخذ بعضه
بازمة بعض وفي القران الكريم من ذلك مواضع تطرب وتستعذب
اوضاعها منها قصة ابراهيم ع م فى سورة الشعرا فمن تاملها حق التامل
من اولها وهو قوله واتل عليهم نباء ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
الى اخر القصه علم كيف تكون الفصاحه فى ارتباط الكلام بعضه ببعض
والتخلص من معنى الى غيره فانه جمع فى هذه القصه المختصه من المعانى
العظيمه وتخلص من بعضها الى بعض بالالفاظ المتتابعه فيه من له ذوق
فى علم البلاغه فهذه الشعب العشره هى قواعد اصول الكتابه
التي يسفر بها اوصافها وتدر عليها اخلافها فيما يرجع الى معرفه
البلاغة والفصاحة من علم المعاني والبيان ولا غنا لمن حصل
ذلك وادركه ودخل في سننه وسلكه ان يعرف حال الحروف
المتقاربه والمتباعده والحروف المتصاحبه والمتضادده
ليفتح بذلك اقفالها ويوضح اشكالها ويشرح اشكالها فان حل
التراجم عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصايب وفهمه
الثاقب فان معرفة حال الحروف فى ذلك من اسبابه اللوازم
اللوازب وقد استقصيت الكلام فى اقسام الحروف
وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريبها وافهام تاليفها للمعتنى بها
فى الكتاب المسمى بالكوكب الناجم فى معرفة التراجم ولولا ان
الاسهاب يورث الاضجار والاطناب متعب للافكار وان
الاولى سلوك سبيل الاختصار والميل الى الايجاز والاقتصار
لما اقتصر لسان القلم على هذا المقدار وانتشر من محاسن

الانشا ما يحار منه اولو الالباب والابصار **الطبقة الثالثة**
كتابة الجيش اجتمع ارباب الدرايه بتدبير الممالك ومن
انتصب لاصلاحها بايضاح الطرق والمسالك ان من حراسة
المملكه وسياسة الدوله ضبط امور الجيش وحفظ احوال الجند
فانه قطب مدارها وسبب استقرارها فيتعين الاعتنابه والنظر فى
وظايف كاتبه فان شانه ارفع وديوانه اجمع وعمله اوسع لاسيما
فى دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكناف قد للت جرايد
جيشها على الالوف لا الالاف فيحتاج الى ترتيب منازلهم
على اقدار طبقاتهم وضبط مقادير اقطاعاتهم ونفقاتهم
ورعاية مبادي مددهم واوقاتهم وتمييزهم بالاسما والكنى
وتعريفهم بالاوصاف والحلى واعتبارهم واختبارهم وانتقادهم
لازالة زيف التلبيس واعتمادها يومن من الاشتباه والتدليس
والتيقظ لهذا الامر والتحفظ فيه من اعظم الاغراض فان كثيرًا
من الدواب والاسلحه تستعار وتستاجر يوم الاستعراض
وقد قرر المتقدمون فى ذلك اوضاعا اوضحوها وانواعا شرحوها
فيتعين الاقتدا بسلوك طريقهم ويجب فى ذلك اتباع مجازهم
وحقيقهم واول من دون الديوان فى الاسلام وضبط الامور
على الاسنار وحاط الاحوال بيد الاستظهار ونزل ارباب
الارزاق على مراتب الاقدار وجعل لم قرره من العطا والقرار
متصفا بمقدار امير المومنين عمر بن الخطاب رض وانما لما
اتسعت خطة الاسلام وامتدت اقطاره وظهرت اثاره
وكثرت انصاره وصارت ترد على امير المومنين عمر رض حمول
الاموال من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمده رعايه
لما هو الاحوط وعنايه باقامة ما هو الانفع والاضبط فما
ذو راى من الصحابه الا قال ما عنده وبذل فى المناصحه جهده

حتى قال خالد بن الوليد رضه يا امير المومنين اني كنت رايت ملوك
الشام قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون انت ديوانا
وجند جنودا فبادر عمر رضه واستدعى عقيل بن ابي طالب
ومخرمه بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا انساب قريش وقال اكتبوا
الناس على منازلهم فقالوا بمن نبدا فقال عبد الرحمن بن عوف
رضه ابدا بنفسك فقال عمر رضه اني حضرت رسول الله صلعم وهو
يبدا ببني هاشم وبني المطلب فبدا عمر رضه بهم ثم بمن يليهم من قبايل
قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى الى الانصار
فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فصل
بينهم بالعطا فجعل ارزاقهم متفاوته بقدر سابقتهم في الاسلام
فقيل له كيف تفاوت بينهم وقد تساووا في الاسلام فقال
كيف اساوي بين من هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين وبين
من اسلم عام الفتح خوف السيف وليس من قاتل رسول الله صلعم
كمن قاتل معه ثم قرر وضع الديوان وزاد بالسابقه وفضل
كل من شهد بدرا في عطايه وفضل علي بن ابي طالب وعثمان
ابن عفان وطلحه بن عبد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن
ابن عوف رضه وفرض لنفسه مثل واحد منهم والحق بهم
العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رض لمكانهم من
رسول الله صلعم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والاحسان
وجعل ترتيب المرتزقه وتنزيل اقدارهم من قواعد الديوان فاقتدى
الناس بعده بطريقته وعملوا في ذلك بمقتضى سنته اذ اوضح
ذلك فالذي يجب اعتباره ويتعين استمراره ويعتمد في ديوان
السلطنه ثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب
ديوان الجيش وقسم بصاحب ديوان الاموال فاما ما يتعلق بصاحب
ديوان الاموال فسياتي مشروحا ان شا الله تعالى واما ما يتعلق بصاحب

ديوان الجيش فامور كثيره لكن اذا ذكرت اصولها لزمتها فروعها
وهي اثبات المستخدمين من الجند واعطاوهم قدر ارزاقهم من
الاقطاع والنقد ولكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز
الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض عنها اما الاثبات والاستخدام
فانه يستدعي اعتبار اوصاف خمسه منهن واحد مختلف فيه
واربعه متفق عليها اما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام
والسلامه من اسباب العجز كالزمن والعما وكلما يمنع القتال معه
فاما العرج فان كان يستخدم ليقاتل راجلا فيمنع الاستخدام
فلا نثبته وان كان ليقاتل راكبا فانه لا يمنع الاستخدام فنثبته
والرابع ان يكون قوي المنه عارفا بالقتال غير جبان فهذه الاربعه
المتفق عليها واما المختلف فيه فالحريه اعتبرها الشافعي رضه واسقط
اعتبارها ابو حنيفه رضه فاذا كانت هذه الاوصاف حاصله في واحد
وطلب ان يكون في الخدمه ليثبت في ديوان الجيش وتجرد عن الاعمال
الشاغله والموانع القاطعه فيجيبه ولي الامر الى ذلك ان كان
الاحتياج تدعو اليه فان لم يكن هناك حاجه داعيه فلا فاذا استخدم
واثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل كان خاملا مغمورا
يحليه كاتب الجيش ويصفه ويذكر ما يميزه به ويعرفه ولا يقتصر
على مجرد اسمه فان الاسما قد تتوافق والالفاظ قد تتطابق ثم يضيفه
الى مقدم يصحبه او نقيب بحيث يرعاه ويرقبه واذا اثبتهم نزلهم
منازلهم على اقدارهم وراعى في ترتيبهم اسباب اعتبارهم ولاعتبار
ترتيبهم جهه عامه وجهه خاصه اما الجهه العامه فترتيب القبايل
والاجناس فان كانوا عربا اعتبر القبايل والانساب فيقدم
في ترتيب العطا والاثبات الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلعم
ويعتمد في ذلك قاعدة انساب العرب فان انسابهم على ست
طبقات شعب ثم قبيله ثم عماره ثم بطن ثم فخذ ثم فصيله

فالفخذ يجمع الفصايل والبطن يجمع الافخاذ والعماره تجمع
البطون والقبيله تجمع العماير والشعب يجمع القبايل فالشعب
هو طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيله طرف النسب
الادنى من جهة القرب فعدنان مثلا شعب فمنه شعب القبايل
ومضر منها قبيله ثم من القبيله العماير فمنها قريش عماره ثم من العماره
البطون فمنها عبد مناف بطن ثم من البطن افخاذ فمنها عبد المطلب
فخذ ثم من الفخذ الفصايل فمنها عبد الله ابو النبي صلعم فصيله وعلى
اعتبار ذلك وترتيبهم على قدر انسابهم وسابقتهم في الاسلام
وان لم يكن عربا وكانوا اجناسا مختلفه كالاتراك والاكراد والديلم
وغيرهم من الاجناس فيعتبر في ذلك تقدمهم في الاسلام فان لم
يكن لهم تقدم بان استووا فيه ولم يعلم حاله فيعتبر قربهم من
ولي الامر فان استووا فيه فيعتبر اعلاهم درجة في طاعة الله
ونصرته فهذه الجهة العامه واما الجهة الخاصه بعد
التساوي في الجهة العامة يعتبر في تقدم الواحد على غيره التقدم
بالسنين فان استووا فيه فالتقدم بالشجاع فان استووا فيها
فولي الامر ان شا يقدم بالقرعه وان شا يقدم من يقتضيه
نظره واجتهاده فهذا ما يتعلق بالترتيب والتنزيل واما
عطاوهم فعليه النظر في حال المرتبين في ديوان الجيش واعتبار
ما يحتاج اليه كل واحد منهم في سنته لنفسه واولاده ولوازمه
ومماليكه ودوابه من طعام وكسوه وعلوفه وما تدعوا الحاجة اليه
ثم بعد اعتبار ذلك يعتبر محله في الغلا والرخص فيقدر له ما يكفيه
لذلك كله ويستغني به لسنته ثم يتفقد امره كل حين فان زاد في
عايلته ولوازمه زاده بقدر ما تجدد ويعتبر كل سنة ثم اختلف ايمة
العلم اذا كان قد قرر له ما يكفيه ويقوم بمونته فكثرت اموال بيت
المال وتجددت زيادات وزادت متجددات فهل يجوز ان يزاد

قراره

قراره على قدر كفايته ويعطا قسطا زايدا على ذلك فذهب الشافعي
رضه الى انه لا يزاد على قراره الذي يكفيه ولا يعطا بسبب الزياده
المتجدده لبيت المال زيادة فيه مذهب ابو حنيفه رضه الى جواز
الزياده عند اسباغ المال ويجعل لصرف قرارهم اليه وقتا معينا
في السنه اما في اولها او في وسطها وان جعله في كل فصل جاز وان
طرى على احدهم موت او قتل وله ذريه صار ما كان قد استحقه
في المده الماضيه حقا لهم يطالبون به واما في المدة المستقبله فقد
اختلف العلما في ان نفقة ذريته هل يتصرف اليهم من القرار الذي
كان باسمه في الديوان ام لا فمنهم من اوجبه لتتوفر دواعي الناس
على الخدمه وبذل النفوس في الطاعه ومنهم من منع ذلك لانقطاع
الاستحقاق بموت المستحق ولذلك اختلفوا الوطرت زمانه
على المستخدم فهل يبقى استحقاق نفقته في عطايه الذي
كان مقررا باسمه ام يسقط على الخلاف المذكور ولو اراد ولي
الامر قطع بعض الجند المستخدم في الجيش واسقاطهم من
ديوانه فان كان قد ظهر منه ما يوجب قطعه او حدث عذر يقتضيه
جاز له ذلك ولا جناح عليه وان لم يكن شي من ذلك فلا يجوز
قطعه وان اراد بعض الجند اخراج نفسه من الديوان وقطع الخدمه
فان كان عنه استغنا جاز له ذلك ولا يمنع منه وان كانت
الحاجه تدعوا اليه فلا يجوز واذا وجدت طايفة من الجيش للقاء
عدو فامتنعت من ذلك فان كانوا اكفا للعدو وسقط قرارهم
واستحقاقهم ولا يصرف اليهم وان ضعفوا عن العدو لكثرته فلا
يسقط ومن ماتت دابته في حرب عوض عنها وان تلف
سلاحه في قتال عوض عنه ان لم يكن داخلا في قراره واما
الاقطاعات فيلزمه امعان النظر في تحرير اعتبارها وتقدير
عبرها بنسبه بذارها وتقرير محصولها بتعديل مغلها لمدد تختلف

في ربعها واشعارها واخراج ما بين اول الحل والاقطاع من المده
عن اخرابها في استقبالها واستدبارها ثم اثبات ما على فلاح
النواحي المقطعه من الحقوق المقرره والرسوم المقدره واللوازم
المحرره والقسم المعتبره وتنزلها في منشور من حرث تلك الناحيه
في اقطاعه واقراره وذكر الاشتراط عليه فيه انه لا يتعدى
حده بتناول ما تغير ذلك عن استمراره واستقراره ثم يضبط
حدود ما اقطعه لئلا يمد احد يده الى زيادة في مقداره ثم
في تكميل عده الرجال المضاف استخدامهم اليه وعدة الاسلحه
التي وجبها شرع الخدمة عليه ويستعرض البرك التام الذي به
يستظهر على الاعدا والحروب ويعتبر في دفع خوارج الاسلحه
عند اللقاء عن الراكب والمركوب هذا الى اقامة حساب الجرائد
وادامة العمل بتكميل اسباب المقاصد واجرا كل ما يتعلق بالجيش
على اجمل قواعد العوائد فهذه جمل من اصول عمل الجيش تحكمها
العارف بقوانينها المستغني بدرايته ومعرفته عن شرحها
وتبيينها الطبقة الرابعة كتابة ديوان الاموال وهي وظيفة
صاحب الديوان لما كانت السلطنه لا يتم نظامها ولا ينتظم
تمامها ولا يدوم احكامها ولا يحكم دوامها الا بالامرا والاجناد
والزعما والقواد والعساكر الاجلاد في الجلاد وهولا لا يصحب
جامح طاعتهم ولا يقترب نازح خدمتهم الا بالاموال يدر اخلافها
عليهم وارزاق كافيه كافلة تصل اليهم لا جرم كانت الاموال
في الحقيقة للسلطنه قواما ويشتمل استقرارها واستمرارها
نظاما فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتثميرها ويتعين
القيام في تسهيل موادها وتيسيرها ولهذا معظم مطلوب
الوزاره والاعتنا باموال الاموال وتدبيرها وصاحب الديوان
وان كان فرعا من فروع الوزاره فان ولايته واسعه وايالته

جامعه

جامعة وكلمته في جهات الاموال بتقصيرها وتثميرها خافضه
رافعه وهو في الحقيقة كافل برحوا المملكه وحامل اثقال مهماتها
وعامل لنمو الدوله وحارس اعمالها ونايل كفايه ارابيه
لتوفير جهاتها وتثمير اموالها وباذل جهده في ادامة حمولها بعد
وظايفها وذخايرها وارزاق رجالها فيتعين عليه اولا حصره
لجهات الاموال واقسامها ونظره في تفاصيل اسبابها
واحكامها وحيث كانت الاموال التي جعل الله بيد السلطنه
زمام استخراجها وناط بنظره اقامة منهاجها وحاط بسياستها
مواد امتناحها واوجب عليها سلوك سنن الحق والانصاف
في اخذها واخراجها متنوعه المواد ممتدة الانواع متسعة
الاعداد متعدده الاتساع مرتفعة الازدياد متزايده الارتفاع
يكاد لسان القلم ان رام حصرها ان يعترضه حصر او تطاول
الى استقصايها ان يمنعه قصر وجب ذكر اصول الاموال
دون فروعها فانه يلزم قبل بيان محمول كل قضيه بيان
موضوعها فاذا احكم صاحب الديوان معرفه اصول الاموال
استظهر على استخراج احكامها وقدر على استفتاح مقصد
الولايه ومرامها واصولها عشره جزيه وخراج
وعشور واجور وزكوات واثمان ومقاسمات ومناجح
وغنيمه وفي ومعادن ولكل واحد من هذه الاصول احكام
يسوغها الشرع ورسوم قررها الوضع والتحريص على ابدا
شعارها والحث على اجتنا ثمارها من لوازم الوزاره واثارها
وصاحب الديوان هو المباشر للقيام بواجبها المناهز على
اتمام روابيها الاول الجزيه قال الله تعالى قاتلوا الذين لا
يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزيه

عن يد وهم صاغرون الجزيه هي الجزاة الماخوده من بعث
الذمه من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ويوخذ
من المجوس وفي السمره والصابيه خلاف ولا يوخذ الجزيه
من امراه ولا صبي ولا عبد ولا مجنون ولا خنثى مشكل واقل
الجزيه دينار وعلى المتوسط ديناران وعلى الغني ثلاثه
دنانير فان قرر عوضا عن الدنانير دراهم كان عوض كل دينار
اثني عشر درهما ومن مات او اسلم او جن بعد تمام السنه لم
يسقط عنه ما وجب عليه وان كان ذلك في اثنا السنه فالصحيح
انه لا يسقط عنه قسط ما مضى ومن اعرابها لم يسقط عنه
واذا اسر توخذ منه ولا يجوز اسقاطها والمسامحه بها الثاني
الخراج قال الله تعالى ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو
خير الرازقين الخراج هو المال المودي عن رقاب الارض
بشرط مخصوص والاراضي اربعه انواع الاول ما احياه المسلمون
فذلك ارض عشر لا يكون عليها خراج والثاني ما اسلم عليه
اصحابه فهم احق به فعند الشافعي رضه هي ارض عشر لا يكون
عليها خراج الثالث ما ملك من المشركين قهرا فهو عند
الشافعي رحه مقسوم بين الغانمين ويكون ارض عشر لا يكون
عليها خراج الرابع ما كان قد صولح عليه المشركين من اراضيهم
فهي اراضي الخراج ثم منها ما يكون اهله قد انجلوا عنه
فتصير تلك الاراضي وقفا على مصالح المسلمين ويضرب
عليها الخراج ويكون اجره مقرره على الابد لا يوثر فيها
الجهاله ولا يجوز بيع هذه الاراضي المختصه بهذا الخراج
ومنها ما يقيم اهله فيه ويصالحون على اقراره بايديهم
بخراج يضرب عليهم ثم الخراج المضروب على الاراضين
يختلف مقداره باختلاف نما الارض فان امير المومنين

عمر بن الخطاب رضه لما ضرب الخراج على سواد العراق اعتبر
ذلك وكان كسرى اول ما مسح السواد وضرب عليه الخراج
راعى ما يحتمله الارض ولما بعث امير المومنين عمر رضه عثمان بن
حنيف الى العراق امره بالمساحه ووضع ما يحتمله الارض
فمسح ووضع على كل جريب من الكرم والشجر الملتفت عشره
دراهم ومن النخل ثمانيه دراهم ومن قصب السكر سته
دراهم ومن الرطبه خمسه دراهم ومن الحنطه اربعه دراهم
ومن الشعير درهمين فهذا كان عمله في ارض العراق وعمل في
ارض الشام غير ذلك رعايه لاحوال الارض واختلاف
احوالها من ثلثه اوجه الاول لذاتها فرب ارض طيبه ورب
ارض رديه لا يزكو نباتها الثاني لذات المزروع لتفاوت
قيمته فان الحنطه اغلى من الشعير والثالث لحالها في
السقي والغدى فيراعي هذه الاحوال في ضرب الخراج لئلا
يجحف باحد الجهتين الثالث العشور العشر ينقسم الى
قسمين احدهما يجب في الزروع التي سقيت بما السما على تفصيل
فيه وهو مذكور في الزكوات والثاني ما يوخذ من اموال الكفار
فاذا دخل شي من اموال الكفار اهل الحرب الى بلد الاسلام المتاجر
لهم وقد استقر الصلح معهم على اخذ العشر او الخمس او اكثر منه
او اقل منه اثبت ذلك الشرط في الديوان حفظا لاعتباره
وان كان قد فاوت فيه بين الامتعه وانواع الاموال
اثبته ايضا وقرره واستوفا على مقتضى الشرط اما اعتبار
الاموال المنتقله في دار الاسلام من بلد الى بلد ممنوع منه
شرعا وقد قال رسول الله صلعم شر الناس العشارون الرابع
الاجور وهي كل اجره لمكان من حقوق بيت المال او جر اجاره
شرعيه لا يجوز ان يوجر مكانا ليباع فيه خمر وما جانسه ولا يحل

ذلك عند الشافعي رضه **الخامس** الزكوات وهذا نوع عظيم
الاحكام كثير الاقسام فان الزكوة تتعلق بالذهب والفضه
والابل والبقر والغنم وعروض التجاره والزروع والثمار والمعدن
والركاز فاما الذهب فانه اذا بلغ عشرون مثقالا فصاعدا يتعلق
وجوب الزكاة به فيجب فيه ربع العشر واما الفضه فاذا بلغت
مايتي درهم فصاعدًا وجب فيها ربع العشر واما الابل فاول نصابها
خمس ثم الى خمسه وعشرون يجب فيها عن كل خمس شاه وفي
الخمسه وعشرين بنت مخاض وعمرها سنه فصاعدا الى سته واربعين
وفي سته وثلثون بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى سته
واربعين وفي سته واربعين حقه وعمرها ثلاث سنين فصاعدا
الى احد وستين وفي احد وستين جذعه وعمرها اربع سنين
فصاعدا الى سته وسبعين وفي سته وسبعين بنتا لبون الى
الى احد وتسعين وفي احد وتسعين حقتان الى مايه واحد
وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب في كل
اربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقه واما البقر فاول نصابها
ثلثون وفيها تبيع وعمره سنه وفي اربعين مسنه وعمرها سنتان
وهكذا الحساب واما الغنم فاول نصابها اربعون وفيها شاه
الى مايه واحدى وعشرين وفي مايه احدى وعشرين شاتان الى
مايتان وواحده وفي مايتان وواحده ثلث شياه ثم في كل مايه شاة
واما عروض التجاره فيقوم ويعتبر الحوك وراس المال والربح على
تفصيل مبسوط فيه ويوخذ منه ربع العشر بشرايطه واما الزروع
والحبوب القطاني ان سقت بالسما او بسيح فيوخذ منها
العشر بعد التصفيه والتنقيه وان سقت بالدواليب والنواضح
يوخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمان مايه منا
فصاعدًا ولا يمنع من اخذ ذلك كون الارض المزروع فيها خراجيه

بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعي رضه واما المعدن فيوخذ
مما يخرج منه من ذهب او فضه خمسه على قول وربع عشرة على قول
واما الركاز فيوخذ ان كان من دفين الجاهليه خمسه اذا كان في موات
وفي تفاصيل شروط الزكوات وجوبا واستخراجا وصرفا واخراجا
ابحاث كثيره ومسايل متعدده لا حاجة الى بسطها في هذا الكتاب
وفي القدر المذكور من التنبيه على انواع الزكاة كفايه في هذا الباب
السادس اثمان المبيعات قد تدعوا الضروره في بعض الاوقات
عند تضاعف مواد الاخراجات وترادف دواعي الحاجات الى سد
شق وعمارة ثغر وتجهيز جيش وهجوم عدو ومداراة خصم معاند
ودفع قاصد خارج وتضيق الاموال الحاصله والنقود المدخره
عن الوفا بذلك فيجوز بيع شي من الاملاك المنتقله الى بيت المال
رعاية للاغبط واعتنا بالعمل بالاحوط ولذلك اثمان مبيعات
ديوانيه واعواض مصالحات عن امور سلطانيه كل ذلك من اموال
السلطنه وحقوق المملكه ويتعين عليه في بيع ذلك ما يتعين
على الوكيل المطلق من رعاية ثمن المثل والنقديه والحلول **السابع**
المقاسمات لا يكاد يخفى حكم المقاسمه على من انتصب لخدمة السلطان
ووسم نفسه بصاحب الديوان والتزم بالولايه بحمل عبا هذا الشان
متى خرجت سباع الارضين من الديوان وكان قد تقررت القسمه
مع اربابها بجزء معلوم من ثلث او ربع او غير ذلك من الاجزاء
يجب اتباع ذلك ولا يجوز اخذ الزايد على المشروط وقد تقدم
ذكر استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمه مع ارباب
الاموال **الثامن** من الغنيمه وهي ما يوخذ من الكفار بالقتال
والايجاف فاربعة اخماسها للغانمين وخمسها مخمس مرصد لمصالح
العامه **التاسع** الفي وهو كل مال يوخذ من الكفار بغير قتال وكما
هربوا عنه وكل مال مات عنه من لا وارث له وهي الاموال الحشريه

العاشر المعادن والمعادن اجناس والعلما قد اختلفوا في
مقدار ما يوخذ منها وفي الجنس الماخوذ منه والمختار ما تقدم في
نوعه من الزكاة فان كان لها قرار مثبت في الديوان عن اجتهاد
صدر ممن تقدم فيعمل به وان لم يكن هناك قرار فيعمل بما ذكرناه
فهذه اصول جهات الاموال السلطانيه ومواد الحقوق الديوانيه
وهي فان كانت مختصرة الالفاظ فلها لوازم وتوابع وفروع
مبسوطة المعاني لا يجوز اغفالها ولا اهمالها وتستعمل اليقظه
في التطلع الى احوال المستخدمين بين يديه ويتتبع قضايا من
استشا به في بعض الاعمال واعتمد عليه ويلزم كل عامل بحساب
عمله ويواخذه بما يظهر عليه من احتماله خلله ويستوقع شواهد
الاعمال لاوقاتها ويستطلع عوايد العمال في خلواتها فمن احضر
حساب عمله محررا ووجده فيما يباشره لا خاينا ولا مقصرا
ولم يكن في حلية اللعب واللهو لا متهتكا ولا متهتزا استدام
استخدامه وادام اكرامه وزاد احسانه في حقه وانعامه
وشكر نهضته في عمله وقيامه ومن نكث منهم عن سنن الصواب
وركب مطايا الاضطراب قطعه عن مباشرة الاسباب
وجرعه من الاهانه صاب الاوصاب وليجتهد في ان لا
يدخل عليه في شي من اعماله خلل ولا يتطرق اليه من جهة الاعمال
والعمال زلل فانه مطالب بعهدة ما قد تقلده محاسب في
الدنيا والاخرة على ما اعتمده **الطبقة الخامسه ساير الحاشيه**
المرتبين بصدد المهام المنتدبين للقيام باتمام المراد والمرام
المعدودين من اصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام
فيجب نزاهتهم عن مواقف التهم واحترازهم عن مواطن
الريبه واتصافهم بالامانه واجتنابهم وصمة الخيانه
خصوصا من كان منهم ناقلا عن السلطان واليه وشاهدا

في الحقيقه له وعليه وهو المرتب للحجه والمنتدب
للرساله فان ادنى زلل يقع منهما واقل خلل يصدر
عنهما يفتح باب فساد لا ينسد شقه ويقدح في الدوله
قدحا يتبع خرقه فلهذا اعتبر قديما فيمن يقوم بذلك
معرفة ودين وامانه وصدق ومروه ونزاهة نفس
ليلا يستمال بشي من الرشوه فيبيع مصالح الدوله وللقلم
في هذا المقام مقال واسع ولمن تقدم من العظما فيه
كلام نافع لكن صدرت عن بسط لسان القلم به عذر
عن الاطاله مانع على الجمله فاهماله واغفاله سيف قاطع
وسم ناقع

القاعدة الثالثة

في الشريعه والديانات هي المحجة الواضحه التي جا بها
رسول الله صلعم وشرعها والحجة القاطعه الذي اذا قطع
حصن بها سبيه المبطلين وقطعها والطريقه المثلى التي
بناها على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها والحقيقه
العليا التي اعلاها الله تعالى على جميع الشرايع والملل
ورفعها فهي سبيل يعصم سالكه الى الصراط المستقيم ودليل
على هدى متبعه الى الفوز العظيم ولقد تركها رسول
الله صلعم بصايبه للناظرين واقام لها شاهد من
القران الكريم الذي هو لسان صدق في الاولين والاخرين
وجعل لها حماة وحمله فحماتها الملوك وحملتها العلما فاما
الملوك الذين اذا اقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ
المله وحماية الشريعه فقد تقدم القول في تفاصيل صفاتهم
وفيما يتعين اعتماده من صنوف تصرفاتهم واما العلما فهم
القايمون بحملها المعنيون بنقلها الحاملون عبا نقلها

فالحقيقة هم باحكام احكامها معتنون بعيد و نهاد نحرا اليوم
لا ينفعهما مال ولا بنون وقد رفع الله بعضهم فوق بعض درجات
واختص من يشا منهم من لطفه بمزايا وصفات فاقدارهم معتبره
بالصفات دون الذوات ومراتبهم بالعلم متفاوته بحسب
ما رزقوا منه من الثمرات فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات اما الظالم لنفسه فهو الذي لا يعمل بعلمه
ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه فهو على الحقيقة بايع هداه
تابع هواه فينبغي ان لا يفوض اليه امر ديني ليتولاه فان من
لم ينصح لنفسه حليق به ان لا ينصح سواه واما الاخران
فجديرتهما ادا الامانه ما تحملاه وحقيق بهما النهوض باعبا
ما تقلداه فان الاعمال الدينيه من ابتداء الاجتهاد الى طرق
الحلال والحرام والافتا فيما يعرض من الوقايع والاحكام والقضا
بين المتشارعين لفصل الخصام والاعتنا بامور المستضعفين
من الايامى والايتام ثم الحسبة التي هي من شعاير الاسلام
وهي مشاركه للقضا في كثير من اقسام النقض والابرام هذا
الى تعليم العلم ونشره وتفهيم غامضه وذكره واشتغال
كل قضيه بقدر ما يحتمله اذ اقدر فهمه حق قدره الى غير
ذلك من الامور الدينيه التي منعت الشريعه المطهره من اهمالها
واوجبت على من هو ظل الله في ارضه النظر في احوالها وحرمت
عليه الاعراض عن تفقدها مخافه اختلالها ثم ففيها التقرب
الى الله تعالى في تصرفها الى جهة استحقاق واتصالها الى اربابها
لينالوا بها منزه الارتفاق وهم من الخصما المتعلقين عند الله
بمعطلها وما له من الله من واق والغرما المتطلبين في عرصات
القيمه من مبطلها يوم صيحه واحده ما لها من فواق وكيف
لا وهي سبب خير كثير وباب كبير من اعانه اسير واغاثه فقير واسعاد

من ارقاف قصد و

فقيه

فقيه واسعاف طالب علم وارفاد صوفي وميرة عابد وتفقد
منقطع وسد فاقة محتاج واطلاق مسجون وصلة رحم وجبر كسير
ومداراة مريض واقامة وظايف مدارس العلم التي بها يحفظ احكام
الشريعه وادرار ارزاق عمارة المساجد باقامة الجماعات
من الايمه والموذنين والقومه والقرا فهذه الاصول من قواعد
الديانات والفصول المتعدده من محاسن الحسنات
لا يجوز تفويضها الا الى متصف باشرطته الشريعه الشريفه من الصفات
من عداله لا يجوز العدل عنها وامانه لا يحل الاخلال بها وكفاه
لا ينبغي الخلو منها فان تولى شي من هذه الاعمال فاسق او خاين
او عاجز لا تصح ولايته ولا تحل مباشرته ويكون من ولاه ذلك
عالما به عاصيا اثما يطالبه الله جل وعلا يوم القيمه بعهدته ويواخذه
بفعله اذا ظهرت هذه الجمله فيفصل اجمالها ولنقول اركان
اصولها وفصولها المذكور الفتيا والقضا والحسبه وامر
الاوقاف ولكل واحده من هذه الرتب شروط تخصها وامور
تتعلق بها واحكام تبتني عليها وهذا بيان شاف بشرح هذه
الاركان واهلها وتوضيح ان من لا اهليه له لا يحل له ان يتعرض
لها **الركن** الاول الفتيا وهي ركن عظيم من الشريعه وعليه عول
الصحابه رض بعد رسول الله صلعم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم
الى زماننا هذا والكلام في صفات المباشر للفتيا القايم بها
وهو المفتي فانه المسلط على احكام الشريعه نصا واستنباطا
فلا بد له من اوصاف يصير بها متوصلا الى استخراج الاحكام
واهلا لقبول قوله في الحكم المستفتا فيه وهي العقل والبلوغ والعداله
واجتناب المعاصي القادحه فيها ومعرفة اللغه وفهم كلام
العرب وعلم النحو والاحاطه من القران الكريم والاحاديث
النبويه بما يتعلق بالعلم والاحكام بما يختص بذلك من ناسخ ومنسوخ

وعام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين ومتقدم ومتاخر
ومتواتر واحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف واقوال
الصحابه والمجتهدين وكذلك تعلم اقسام الاحكام من الواجب
والمندوب والجايز والمكروه والحرام واقسام الاوامر والنواهي
وما يتعلق بها وعلى الجمله معرفة اصول الفقه شرط لابد منه
واذا حصلت هذه الصفات وكملت هذه الشروط فلابد معها
من غريزه نفسانيه لاتحصل بالاكتساب وهي نباهة النفس
واستقامة الذهن بحيث يحصل بها استعمال هذه الاسباب
لمعرفة الحكم المستفتى فان قيل فعلى من لم يعرف هذه الاسباب
ولاحصلت له هذه الصفات هل يجوز ان يفتي وهل تقبل
فتواه قلت ان فقد العقل او العداله فلا يجوز له الافتا
بالاجماع فان قول الفاسق ومن لاعقل له لايقبل وان كان ناقلا
عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاه عن امام درج الى رحمة الله
فقد اختلف الناس في فتياه فذهب بعضهم الى انه لايجوز
ومنع منه وذهب اخرون الى جوازه توسعه للامر على الناس
ورفقا بهم الركن الثاني القضا وهو من اعظم الاركان وقعا
واعمها نفعا وعليه مدار مصالح الامه عقلا وشرعا والقصد
به نصب ميزان المعدله في الاحكام وفصل القضايا بين الانام
عند الخصام وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام
في النقض والابرام ولن يتم هذا الغرض من مباشره الا اذا
كان كثير من اخلاق النبوه من صفاته وماثره من متانة
دين يردعه عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدي
بنوره في باطن كل امر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف
التهم وشرف همه تحمله على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة
تنفي عرضه عن ان يتهم فيما حكم وان يكون متضلعا من معرفة

اداب القضا متحليا بتجربه قد كشفت له حقايق الاسرار
رحيب الصدر ثابت الراى لاتزعزع هضابه اذا طاشت نوابت
الارا همه الارتدا بجلباب الوقار والتدرع بشعار
النزاهة عن الاكدار والتجنب لفعل كلما يحوج الى الاعتذار
وسلوك السنن القويم عساه يكون احد القضاة الثلاثه الذي
في الجنه والا فيكون احد الاخرين الذين في النار فان قيل
قد اجملت القول في الجلباب الذي يتعين على الحاكم الارتدا
به واعرضت في تفضيل ما يجب البينه عليه من لوازم القضا
وادبه وكيف عن السنن القويم الذي من زاغ عنه حكم عليه
بعطبه ومن امه واقتفاه حصلت له النجاة بسببه وامن
لم يعمل تفاصيل الاداب ولايقف على حقيقة الاسباب
كيف يعلم الخطا من الصواب ويميز بين القشر واللباب
ففصل ايها المصنف ما اجملته وبين ما اهملته لنعلم عند
تتبع الاحكام من الحكام اي الفريقين احق بالامن مكين
العطب واي الحزبين يقال لهم انطلقوا الى ظل ذي ثلث
شعب لا ظليل ولايغني من اللهب قلت اعلم
ان ولاية القضا تستدعي تقدم اوصاف في مباشرها حتى
يجوز له الارتقا الى درجتها ويستحق ادابا تقوم بحكم الولايه
بالقيام لها والاستمساك بعروتها وانا الان افصل كل
واحد من هاتين الحالتين المذكورتين على جهتها اما الاوصاف
المشروطه لهذه الولايه فهي الاسلام والحريه والبلوغ والعقل
والذكوره والسلامه في السمع والبصر واللسان ولايقتنع
بالعقل الذي هو مناط التكليف بل ينبغي ان يكون صحيح
التمييز جيد الفطنه بعيدا عن السهو والغفله يتوصل بذكايه
الى وضوح ما اشتكل وفصل ما اعضل ثم العداله وهي

ف

العداله

اصل في ذلك ومدارها على اجتناب الكباير وترك الاصرار
على الصغاير وحفظ المروه والكبيره من الذنوب ما توجب
حدا او قيل ما لحق الوعيد لفاعله بنص الكتاب والسنه
والصغيره ما ليس كذلك من الذنوب او يندرج في ذلك على راي
بعض الاصحاب ان من ترك فريضه واحده من الفرايض مع
العلم حتى خرج وقتها من غير عذر فلا عداله له وكذا من اعتاد
ترك السنن الروات وتسبيحات الركوع والسجود واما

المروه

المروه فهي حسن السيره ومجانبة الدنايا فيتلخص من ذلك
ان يكون صادق اللهجه ظاهر الامانه عفيفا عن المحارم متوقيا
للماتم بعيدا من الريب مامونا في الرضا والغضب معتمدا
المروه مثله في دينه ودنياه وان يكون عالما باحكام الرعيه
وان يكون عارفا بالكتاب والسنه والاجماع والاختلاف
والقياس ولغة العرب فلا يشترط معرفة جميع ذلك بل يعرف
ما من الكتاب والسنه ما يفتقر الاحكام اليه بحيث انه يقدم
المحكم على المتشابه والخاص على العام والمبين على المجمل
والناسخ على المنسوخ ويبني المطلق على المقيد ويقضي
بالتواتر دون الاحاد وبالمسند دون المرسل وبالمتصل
دون المنقطع وبالاجماع دون الاختلاف ويعرف انواع
الادله وما يتعلق بها ليرجح بعضها على بعض ويعرف
اقسام الاقيسه ليتوصل بها الى الاحكام فانه ليس كل
حكم منصوصا عليه واقسام القياس المعتبره ثلثه جلي وواضح
وخفي فالجلي ما يقع السامع عليه باول وهله من غير اعمال
فكر وهو انواع بعضها اجلى من بعض واما القياس الواضح
فهو ان يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه ويوجد
معنى الاصل في الفرع بكماله واما القياس الخفي فهو قياس

السنه

السنه فهو ان يكون الحادثه الواقعه بين اصلين مختلفي
الحكم ويكون باحدهما شبيها بها من الاخر فيلحق بالاصل
الذي شبهه به اكثر وهذه الاقسام الثلثه ارجحها القياس
الجلي فانه لا يحتمل الا معنى واحدا فاشبه النص ولهذا يجوز
نقض الحكم اذا وقع على خلافه خلاف القسمين الاخرين
واما الاداب التي يومر بها فامور كثيره منها ما
هو واجب ومنها ما هو مستحب وانا اشير الى بيانها على وجه
الاختصار فاقول ينبغي ان يكون شديدا من غير عنف
ويجعل مجلسه في وسط البلد ليستوي اليه ويتخذ كاتبا
عدلا امينا كامل العقل عارفا بشروط الكتابه ويجلسه قريبا
منه ويتخذ قاسما امينا على صفة الكاتب وزيادة معرفه
بالحساب لاجل وقايع الاملاك المتجدده وان يشاور
العلما في الوقايع الاجتهاديه ويستحضر الشهود الى مجلسه
وان ينفرد بسجاده عن الحاضرين ويحث الخصمين على
الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبينه احترازا من
التناقض بينهما فان اثبات الحكم عليهما ولا يبيع
ولا يشتري لنفسه ولا يجعل له وكيلا معروفا في البلد
ليلا يراعيه الناس في البيع والشرا ولا يشتغل بملكه
واسبابه عن فصل القضا ما بين الناس ولا يقبل الهديه
بل ينزه عنها ثم يبدا بالسوال عن حال المحبوسين وكشف
امورهم فيطلق من حبس ظلما ويستديم من حبس بحق
ومن جهل حاله اشاع امره لينكشف له وفي مدة الاشاعه
لا يحبس بل يوكل عليه من يحفظه او يطالب بكفيل لا غير
ثم ينظر في امور اليتامى واموال الاطفال ومحاسبه الاوصيا
ثم في امور الامنا الذي نصبهم الحاكم من قبله ثم في امور الشهود

ويقيم المزكين والمترجمين ان دعت الضروره الحاجه اليهم
عند تغير طبعه واختلال خلقه بغضب اوحزن او فرح
اوجوع اوعطش ام حر مزعج اوبرد مولم اوعند مدافعة
الاخبثين اوعند غلبة النعاس فان خالف وقضى نفذ
قضاوه ويحرم عليه ان يرتشي بكل حال فان اخذها ففيها
وجهان احدهما انها ترد الى اصحابها والثاني انها
تحمل الى بيت المال لمصالح المسلمين واذا حضره خصمان
فلا يخص احدهما باذن ولا زيادة بشر ولا قيام ولا مجاوبه
ولا نظر ولا يرفع في مجلس الا ان يكون احدهما مسلما
وذميا ففيه خلاف ويقدم السابق فالسابق في فصل
القضايا فان تساووا قدم بالقرعه في قضية واحده
فان كان فيهم امراه اومسافر وراى المصلحه في
التقديم قدمه ومهما جرت قضيه كتب فيها مكتوبا بشرحها
وادخره احتياطا ومن جرت منه اساءه ادب في
مجلسه عزره بما يراه ويعزر شاهد الزور وينبغي
ان لا ياخذه في الله لومة لايم ولا يحكم بخلاف علمه قولا
واحدا وفي حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضي لنفسه
ولا لولده وان سفل ولا لوالديه وان علا وعلى الجمله فلو
بسط القلم لسانه لما استقصا لوازم هذا الباب واستيفا
بالولايه القضا من الشروط والاداب له بذلك الاطناب
فخرج عن الاختصار المشروط في هذا الكتاب وفي هذه
النبذ اليسيره كفايه لمن وعاها وهدايه معينه لمن دعاها **خاتمه**
لهذا الركن من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب
الى ادراك الفضايل منقاد انه اذا وقف على القواعد
الكليه في المقاصد العليه والمقاصد المرعيه لاسيما

في المراصد الشرعيه ان يتطلع الى الوقوف على شي من جزوياتها
ويتوقع معرفة شي من احوال سالكي طرقاتها لتكون على بصيره من
التفاوت بين الجامعين اصناف صفاتها القارعين وصيد
صفاتها وبين القانعين منها بمجرد اشماسها التابعين اهوا
نفوسهم الامارة في ملاذها وشهواتها **وهذه** قضايا ووقايع
صدرت عن جماعه من المتقدمين القايمين باحكام المسلمين
فيها اعتبار جامع للمتوسمين واذكار نافع والذكرى
تنفع للمومنين يصدع بان قضاة الشريعه هذا وصفها وولاة
احكام المسلمين هكذا صنعها والوقايع الصادره عنهم
كثيره يبعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصره يعم نفعها ويعظم
وقعها وقد وقع الاختصار من احكامها على ذكر عشره ولا
حاجه معها الى زياده تذكره **القضيه** الاولى قال نمير المديني
قدم علينا امير المومنين المنصور المدينه ومحمد بن عمران الطلحي
متولي القضا بها وانا كاتبه فحضر جماعه من الجمالين
واستعدوه على امير المومنين المنصور في شي ذكروه فامرني
ان اكتب الى المنصور بالحضور معهم وانصافهم فقلت له تعفيني
من ذلك فانه يعرف خطي فقال اكتب فكتبت وختمت
فقال والله ما يمضي به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجبه
وجعلت اعتذر اليه فقال لا باس عليك ودخل الى المنصور
بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه اهل
المدينه والاشراف وغيرهم ان امير المومنين يقرا عليكم السلام
ويقول لكم اني دعيت الى مجلس الحكم فلا احدا منكم يقوم اذا
خرجت ولا يبداني بالسلام قال ثم خرج وبين يديه المسيب
والربيع وانا خلفه وهو في ازار ورداء فسلم على الناس
فما قام اليه احد حتى بدا بقبر النبي صلعم فسلم عليه ثم التفت فلما راه

ابن عمران القاضي اطلق رداه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا
بالخصوم والحمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى
لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب
فاذا قام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعاه دخل على المنصور
وسلم عليه فرد عليه السلام قال له جزاك الله عن دينك وعن
نبيك وعن حسبك وعن خليفتك احسن الجزا قد امرت لك
بعشرة الاف درهم صلة لك فاقبضها فكانت عامة
محمد بن عمران من تلك الصلة **القضية** الثانية نقل ان عافية
ابن يزيد القاضي كان على القضاة ببغداد للمهدي فجا في
بعض الايام للمهدي وهو خال وقت الظهر واستاذن عليه
فلما دخل استاذنه في ان يسلم اليه القمطر الذي فيه قضايا
مجلس الحكم واستعفاه من القضا وطلب منه ان يقيله
من الحكم والولاية فظن المهدي ان بعض الاوليا قد
عارضه في الولاية حكمه فقال له في ذلك فان كان احد عارضك
في شي لتنكر عليه فقال القاضي لم يكن شي من ذلك فقال
ما سبب استعفايك من القضا قال يا امير المومنين كان يتقدم
الي خصمان منذ شهر في قضية مشكلة وكل يدعي بينة وشهود ويدلي
بحجة تحتاج الى تامل وتثبت فرددت الخصوم رجا ان يصطلحوا
وان يظهر الفصل بينهما فسمع احدهما اني احب الرطب
فعمد في وقتنا هذا وهو اول اوقات الرطب فجمع رطبا لا يتهيا
في وقتنا جمع مثله لامير المومنين وما رايت احسن منه ورشى
بوابي بدراهم على ان يدخل الطبق الي ولا يبالي ان يرد عليه
فلما ادخله الي انكرت ذلك وطردت بوابي وامرت برد
الطبق فرد عليه فلما كان ثاني يوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا
في قلبي ولا في عيني فهذا يا امير المومنين ولم اقبل فكيف يكون

حالي

حالي لو قبلت ولا امن ان يقع علي حيلة في ديني فاهلك وقد
فسد الناس فاقلني يا امير المومنين اقالك الله واعفني
عفا الله عنك فاقاله **القضية** الثالثة روى عمر بن هياج
ابن سعيد قال اتت امراة شريك بن عبد الله قاضي القضاة
بالكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت انا بالله ثم بالقاضي فقال
من ظلمك فقالت الامير موسى بن عيسى بن عم امير المومنين
كان لي بستان على شاطي الفرات لي فيه نخل ورثته عن ابي وقاسمت
اخوتي وبنيت بيني وبينهم حايطا وجعلت فيه رجلا فارسيا
يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى من جميع اخوتي
وساومني وارغبني فلم ابعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسماية
غلام وفاعل فاقتلعوا الحايط فاصبحت لا اعرف نخلي ولا
شيا منه واختلط بنخل اخوتي فقال يا غلام احضر طينة فاحضرها
فختمها وقال لها امضي الى بابه بهذا الختم ليحضر معك فجات
المراة بالطينة المختومة فاخذها الحاجب ودخل بها على موسى
فقال قد اعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع لي
صاحب الشرطة فدعي به فقال امض الى شريك القاضي فقل
له يا سبحان الله ما رايت اعجب منك امراة ادعت دعوى
لم يصح دعوتها علي قال صاحب الشرطة ان راى الامير ان يعفيني
من ذلك فقال امض ويلك فخرج وقال لغلمانه اذهبوا واحملوا
الى الحبس بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك
فلما وقف بين يديه ادى الرسالة فقال شريك للغلام المجلس
خذ بيده فضعه في الحبس قال صاحب الشرطة والله قد علمت
انك تحبسني فقدمت ما احتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن
عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال رسول ادى رسالة اي شي
عليه فقال القاضي اذهبوا به الى عند رفيقه الى الحبس فحبس

فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى ابن اسحق بن الصباح والى
جماعه من اهل الكوفه من اصدقا القاضى شريك فقال لهم امضوا
الى القاضى فابلغوه السلام واعلموه انه قد استخف بى
وانى لست كالعامه فمضوا اليه وهو جالس فى مسجد بعد
صلاة العصر فابلغوه الرساله فلما ابلغوه وانقضا كلامهم قال
مالى اراكم جيتمونى فى غرة من الناس فكلمتمونى من ها هنا من
فتيان الحى فاجابه جماعه من الفتيان فقال لياخذ كل واحد منكم
بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما انتم الا فتنه وجزاكم الحبس قالوا له
انت جاد قال حتى حقا لا تعودوا برسالة ظالم فحبسهم
فركب موسى فى الليل الى باب السجن وفتح الباب واخرجهم
كلهم فلما كان الغد وجلس شريك للقضا جا السجان فاخبره
فدعا بالقمطير فختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه الحقنى بثقلى
الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم ولكن اكرهونا عليه ولقد
ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطره الكوفه
الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى فركب فى موكبه ولحقه
وجعل يناشده الله ويقول يا ابا عبد الله تثبت انظر جوابك تحبسهم
دع اعوانى قال نعم احبسهم لانهم مشوا لك فى امر لم يجز لهم المشى فيه
ولست ببارح او تردوا جميعا الى الحبس والا مضيت الى امير
المومنين المهدى فاستعفيته بما قلدنى فامر موسى بردهم الى الحبس
جميعا وهو واقف والله مكانه حتى جاه السجان فقال قد رجعوا
الى الحبس فقال لاعوانه خذوا بلجام دابته بين يديه الى مجلس
الحكم فمروا بين يديه حتى ادخل المسجد وجلس فى مجلس القضا
فجاءت المراة المتظلمه فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى
وهو مع المراه بين يديه قبل كل امر انا قد حضرت اولئك يخرجون
من الحبس قال شريك اما الان فنعم اخرجوهم من الحبس ثم قال

ما

ما تقول فيما تدعيه هذه المراه قال صدقت قال ترد ما اخذت
منها وتبنى حايطها سريعا كما كان قال افعل ذلك كله قال لها ابقى
لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسى ومتاعه قال
موسى وترد ذلك كله بقى لك دعوى قالت لا وبارك الله
عليك وجزاك خيرا قال قومى فقامت من مجلسه فلما فرغ
حكمه اخذ بيد موسى بن عيسى واجلسه فى مجلسه وقال السلام
عليك ايها الامير اتامرنى فقال اى شى امر وضحك فقال
له ايها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الان حق
الادب فقام الامير وانصرف الى منزله وهو يقول من عظم
امر الله اذل الله له عظما خلقه القضيه الرابعه قال عمر بن اخ
خالد بن سعيد كنت من اصحاب القاضى شريك واتيته يوما فى منزله
باكرا فخرج الى فى فرد لبس تحته قميص وعليه كسا فقلت له قد
اصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابى امس فلم تجف
وانا انتظر ان تجف اجلس فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد
يتزوج بغير اذن مواليه فقال ما عندك فيه وما تقول فيه
وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكو
وكتبت الى موسى بن عيسى ان لا تعصى له امرا وكان مطاعا
بالكوفه فخرج علينا ذلك من زقاق ومعه جماعه من اصحابه
وعليه جبه خز وطيلسان وتحته برذون فاره واذا بين يديه
رجل مكتوف وهو يقول واغوثاه بالله وانا بالله ثم بالقاضى
واذا فى ظهره اثار السياط فسلم على شريك وجلس الى جانبه
فقال الرجل انا بالله ثم بك اصلحك الله انا رجل اعمل هذا
الوشى اجرتى كل شهر مايه درهم اخذنى هذا منذ اربعة اشهر
وحبسنى الى الطراز يجرى على القوت ولى عيال قد
ضاعوا وهلكوا وافلتت اليوم نحوهم لا اراهم فلحقنى ففعل

فه

بظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع خصمك يا نصراني
فقال اصلحك الله يا ابا عبد الله هذا من خدم السيده حربه
الى الحبس قال قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك فجلس
معه فقال ما هذه السياط التي بظهر هذا الرجل من اثرها فقال
اصلح الله القاضي انما ضربته اسواطا بيدي وهو يستحق اكثر
من هذا امر به الى الحبس فالقى شريك كساه ودخل داره واخرج
سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل
انصرف الى اهلك ثم رفع الصوت وجعل يضرب النصراني
ويقول لا تضرب بعدها والله المسلمين فهم اعوانه ان يخلصوه
فقال شريك لفتيان الحي خذوا هولاء الى الحبس فهرب
الاعوان وبقي النصراني فضربه اسواطا فجعل النصراني يبكي ويقول
ستعلم فلما فرغ من ضربه القى السوط في الدهليز وقال يا ابا حفص
ما تقول في العبد يتزوج بغير اذن مواليه واخذ فيما كنا فيه
كانه لم يصنع شيئا وقام ذلك النصراني الى البردون ولم
يكن له من يمسكه فجعل يضرب البردون فقال له شريك
ارفق به ويلك فانه اطوع لله تعالى منك ثم قال لي خذ
فيما كنا فيه قال عمر فقلت له ما لنا ولهذا لقد فعلت اليوم
فعله ستكون لها عاقبه مكروهه فقال لي اعز امر الله يعزك
الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصراني الى موسى بن عيسى فدخل
عليه فقال ما بك فقال شريك فعل بي كيت وكيت فقال له
والله ما اتعرض لشريك فمضى النصراني الى بغداد ولم يعد
بعدها الى الكوفه القضية الخامسه قال الزبير بن بكار
حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن طبيان قاضي
الرشيد بالرقه وكان الرشيد اذ ذاك بها فجا رجل
الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه

القاضي

القاضي بن طبيان اما بعد ابقى الله الامير وحفظه
واتم نعمته اتاني رجل فذكر انه فلان بن فلان وانه له
على الامير ابقاه الله خمسمايه الف درهم فان راى الامير
ان يحضر مجلس الحكم او يوكل وكيلا يناظر خصمه او يرضيه
فعل ودفع الكتاب الى رجل فاتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب
الى حاجبه فاوصله اياه فقال قل له يا كل هذا الكتاب فرجع
الرجل الى القاضي فاخبره فكتب اليه ابقاك الله وامتع بك
حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر ان عليك حقا فصر معه الى مجلس
الحكم او وكيلك ان شا الله ووجه الكتاب مع عونين من اعوانه فحضرا
باب عيسى بن جعفر ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به اليه
فانطلقا فاخبراه فكتب اليه حفظك الله وامتع بك لا بد ان تصير انت
او وكيلك الى مجلس الحكم فان ابيت انهيت امرك الى امير المومنين
ان شا الله تعالى ثم وجه الكتاب مع رجلين من اصحابه فقعدا
على بابه حتى طلع فقاما عليه ودفعا اليه كتاب القاضي فلم يقراه
ورمى به فعادا فابلغاه ذلك فختم قمطره واغلق بابه وقعد
في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه وساله عن امره فاخبره الخبر
وقال يا امير المومنين اعفني من هذه الولايه فوالله لا افلح
قاض لا يقيم الحق على القوي والضعيف فقال له الرشيد
ومن يمنعك من اقامه الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد
لابرهيم بن عثمان صر الى دار عيسى بن جعفر واختم ابوابه كلها
ولا يخرج منها احد ولا يدخل اليه احد حتى يخرج الى الرجل من حقه
او يصير معه الى مجلس الحكم فاحاط ابرهيم خمسمايه فارس واغلق
الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر وظن ان الرشيد قد حدث
عنده راي في قتله ولم يعلم الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف
الباب وارتفع الصراخ في منزله وضج النسا فجعل يسكتهن

ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابرهيم ادع لى ابا اسحق
لاكلمه فاعلموه حتى وقف بالباب فقال له حبسى وبك
ما حالنا فاخبره بخبر القاضى ابن طيبان فامر باحضار
خمسمايه الف درهم من ساعته فاحضرت وامر بان تدفع
الى الرجل فجا ابرهيم الى الرشيد واخبره فقال اذا قبض
الرجل ماله فافتح ابوابه وعرفه ان القاضى من عمل حكمه فيك
ما رايت فاياك ومعاصاته القضيه السادسه قال عمر بن
حبيب القاضى حضرت مجلس الرشيد يوما فخرجت مسيلة
فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم فيها
بحديث يرويه ابو هريره رضه عن النبى صلعم فدفع بعضهم
الحديث وزادت المدافعه والخصام حتى قال قايلون منهم
ابو هريره متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورايت الرشيد
قد نحا نحوهم فقلت انا الحديث صحيح عن رسول الله صلعم
وابو هريره صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله صلعم
فنظر الى الرشيد نظر مغضب فقمت وانصرفت الى منزلى
فلم البث ان جانى الغلام فقال اجب امير المومنين اجابة
مقتول وتحنط وتكفن فقلت انك تعلم انى دفعت عن صاحب
نبيك واجللت نبيك ان يطعن على اصحابه فسلمنى منه
فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى حاسر عن ذراعيه
بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بى قال لى يا عمر
ابن حبيب ما يلقانى احد من الرد والدفع لقولى بمثل
ما تلقيتنى به وتجرات على فقلت يا امير المومنين ان الذى
قلته ووافقت عليه وملت اليه وجادلت عنه ازرا على
رسول الله صلعم وعلى ما جا به فانه اذا كان اصحابه ورواه
حديثه كذابين والشريعه باطله والفرايض والاحكام فى

الصلاه والصيام والطلاق والنكاح والحدود مردوده
غير مقبوله فالله الله يا امير المومنين ان تظن ذلك او
يصغ اليه وانت اولى ان تغار لرسول الله صلعم من الناس
كلهم فلما سمع كلامى رجع الى نفسه ثم قال احييتنى
يا عمر بن حبيب احياك الله ثلاث مرات وامر لى
بعشرة الاف درهم القضيه السابعه قال يحى ابن
الليث باع رجل من اهل خراسان جمالا على مرزبان
المجوسى وكيل ام جعفر بثلاثين الف درهم فمطله
بثمنها وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل فاتى
بعض اصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى المرزبان
وقل له اعطنى الف درهم واحيل عليك بالمال الباقى واسافر
الى خراسان فاذا فعل فعرفنى حتى اشير عليك ففعل ولبنى
الى مرزبان فاعطاه الف درهم فرجع الى الرجل واخبره
فقال عد اليه وقل له اذا ركبت غدا فطريقك على القاضى
تحضر حتى اوكل رجلا يقبض المال منك فى دفعات واروح
انا الى خراسان فاذا جا وجلس الى القاضى فادعى عليه
بمالك فاذا اقر حبسه القاضى واخذت مالك منه فرجع
الخراسانى الى مرزبان وساله ذلك فاجابه وقال غدا
انتظرنى بباب القاضى فلما ركب من الغد قام اليه الرجل
وقال ان رايت ان تنزل الى القاضى حتى اوكل بقبض
المال واروح فنزل مرزبان فتقدما الى القاضى وكان
حفص بن غياث فقال الرجل اصلح الله القاضى لى
على هذا تسعه وعشرون الف درهم وادعا عليه فقال له
القاضى حفص ما تقول يا مجوسى قال صدق اصلح
الله القاضى قال قد اقر لك مال تعطينى مالى والا الحبس

فقال القاضي للمرزبان المجوسي ما يقول قال هذا المال على
السيده ام جعفر قال له حفص يا احمق تقر ثم تقول هذا
على السيده ام جعفر قال ما تقول يا رجل قال ان اعطاني
مالي والا حبسته فقال يا مجوسي ما تقول قال المال على
السيده قال حفص خذو بيده الى الحبس فلما حبس بلغ
الخبر الى ام جعفر فغضبت وبعثت الى السندي وقالت
وجه الي بمرزبان وعجل فاسرع السندي واخرجه من الحبس
وبلغ الخبر الى حفص ان مرزبان قد اخرج من الحبس فقال
احبس انا ويخرج السندي والله لاجلست للقضا او
يرد مرزبان الى الحبس وغلق بابه فسمع السندي ذلك
فجا الى ام جعفر فقال الله الله في فان القاضي حفص بن
غياث لا ياخذه في الله لومة لايم واخاف من امير المومنين
الرشيد يقول لي بامر من اخرجته رده الى الحبس وانا
اكلم حفصا القاضي فيه فاجابته ورد به الى الحبس وقالت
ام جعفر للرشيد قاضيك هذا احمق حبس وكيلي فاستخف
به تكتب اليه ومره لا ينظر في الحكم عليه فامر لها بالكتاب
وبلغ ذلك حفصا فقال للرجل احضر لي شهود الا تسجل
لك على المجوسي بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسي
فجا خادم السندي ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب
امير المومنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعي
حتى نفرغ منه فقال كتاب امير المومنين قال اسكم ما يقال
لك فلما فرغ حفص من السجل اخذ الكتاب من الخادم
وقراه وقال اقرا السلام على امير المومنين واخبره ان كتابه
ورد وقراته وقد انفذت الحكم عليه فقال الخادم قد والله
عرفت ما صنعت ابيت ان تاخذ كتاب امير المومنين حتى

تفرغ منه فما تريد والله لاخبرن امير المومنين بما فعلت فقال
له حفص قل له ما احببت فجا الخادم واخبر الرشيد بذلك
فضحك وقال للحاجب مر لحفص بن غياث بثلثين الف
درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا من مجلس
القضا فقال ايها القاضي قد سررت امير المومنين وقد امر
لك بثلثين الف درهم فما كان السبب في هذا قال حفص تمم
الله سرور امير المومنين واحسن حفظه وكلايته ما زدت على ما
افعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا اعلم الا انني سجلت
على مرزبان المجوسي بمال وجلت عليه قال يحيى فمن هذا
سر امير المومنين فقال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق
الشريعه البسه ردا المهابه القضيه الثامنه قال ابو الحسن
عبد الواحد الحصني حضرت القاضي ابا حازم وقد جاه
طريف المخلدي من امير المومنين المعتضد بالله وقال له
يقول امير المومنين لك لنا على فلان البيع مال وقد بلغنا
ان غرماه اثبتوا عندك وقد قسطت لهم من ماله فاجعلنا
كاحدهم وقسط لنا فقال له ابو حازم قل لامير المومنين
اطال الله بقاه ذاكرا لما قال لي وقت ان قلدني القضا
قد اخرجت الامر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز
ان احكم في مال رجل لمدع الا ببينه فرجع طريف واخبره
فقال له قل فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين
من اعيان الدوله كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان
عندي واسال عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا
امضيت ما ثبت عندي فامتنع اوليك من الشهاده
فزعا ان لا يقبل قولهما ولم يدفع الى المعتضد شيا فهكذي
تكون القضاة القضيه التاسعه ذكرها وكيع القاضي

قال كنت اتقلد لابى حازم عبد الحميد القاضى وقوفا
فى ايام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل
فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافه
ادخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذى تحت يدي
وهو مجاور القصر وبلغت السنه اخرها وقد جبيت مال
الوقف الا ما اخذه المعتضد فجيت الى القاضى ابي حازم
فعرفته اجتماع مال السنه واستاذنته فى قسمته فى سبله
على اهل الوقف فقال هل جبيت ما على امير المومنين منه
فقلت ومن يجسر يطالب الخليفه فقال والله لا قسمت
الارتفاع او تاخذ منه ما عليه ووالله لين لم يزح العله
لاوليت له عملا ثم قال امض اليه الساعه وطالبه فقلت
ومن يوصلني فقال امض الى صافى الحرمى وقل له انك
رسول قد انفذ به مهم ليستاذن لك فاذا وصلت عرفه
ما قلت لك فجيت فقلت لصافى الحرمى ذلك فاستاذن
لى وادخلنى وكان اخر النهار فلما صرت بين يدى الخليفه
ظن ان امرا عظيما قد حدث فقال هى قل فقلت انى
اتولى لعبد الحميد قاضى امير المومنين وقوف الحسن بن
سهل وفيها ما قد ادخله امير المومنين الى قصره ولما جبيت
مال هذه السنه امتنع من تصرفه الى ان اجبى ما على امير المومنين
وانفذنى الساعه قاصدا بهذا السبب وامرنى ان اقول انى
حضرت فى مهم لاصل قال فسكت المعتضد ساعه مفكرا
ثم قال اصاب عبد الحميد يا صافى احضر الصندوق
فلما احضره قال كم يجب لك قلت اربعمايه دينار قال
تعرف النقد والوزن فقلت نعم فقال هاتوا ميزانا ثم قال
اتزن اربعمايه دينار فقبضتها وانصرفت الى ابى حازم

وعرفته ذلك فقال ضمها الى ما عندك من الوقف وفرقه
غدا فى سبله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه واطيع
امره وارضى ربه وابرا ذمته القضيه العاشره قال الدارقطني
سمعت عبد الرحيم بن القاضى اسماعيل بن اسحق يقول كان
فى حجر ابى يتيم فبلغ وله ام واخت هى فى دار الخليفه المعتضد بالله
فقالت ام اليتيم لاختها كلمى امير المومنين حتى يرفع اسمعيل
القاضى الحجر عن ولدى فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان
ابن وهب وزيره وقال له قل لاسماعيل القاضى يفك الحجر
عن فلان فقال له الوزير ان امير المومنين يامرك ان تفك
الحجر عن فلان فقال القاضى حتى اسال عنه فقال امير المومنين
يامرك بذلك فقال حتى اسال عنه وقام فسال عنه فلم يخبر
عنه برشد فتركه ومضى على ذلك ايام فرجعت والدة الصبى
الى اختها وسالتها ان تعاود امير المومنين وكان المعتضد
لا يعاود من خشونته فعاودته فقال اليس قد امرت
فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال
امرتك تامر اسماعيل القاضى ان يرفع الحجر عن فلان
فقال قد كنت قلت له ذلك فقال حتى اسال عنه فقال قل له
يرفع الحجر عنه فدعاه الوزير وقال له ثانيا ان امير المومنين
يامرك ان ترفع الحجر عن فلان فاطرق القاضى ساعه
ثم استدعا دواه وورقه وكتب شيا وختمه فاستعظم الوزير
ان يختم عنه كتابا ولم يقل له شيا لمحله من العلم والورع
ثم دفع ذلك الى الوزير وقال توصل هذا الى امير المومنين
فانه جوابه فاخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم
ان هذا جواب امير المومنين ففتح المعتضد الكتاب
وقراه والقاه وقال لا تعاوده فى هذا فاخذ عبيد الله بن

سليمان الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فهذه سيرة
القضاه المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين
في اعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت
احكامهم وجرت اقلامهم وشكرت اياميهم ولم يتعلق بغيرهم
ايامهم تنبيه قد يضعف عصام التقوى في بعض الاوقات
ويعم ظهور الفساد لمتابعة الشهوات ويدفع الانسان الى
الحالة الموعود بها على السنة الرواة والثقاة ويذهب
القرون المشهود له بالخيرية لتطاول المدد وامتداد الفوات
فيقل وجود من يقوم بفصل الاحكام وينتصب لقضايا الانام
وينوب في هذه الحالة من الحكام ممن يحمي الشريعة عن اضاعتها
ويرعاها حق رعايتها ويتصف بصفات يستحق بها
تقلد ولايتها ولا يراقب الا الله تعالى في اقامة وظيفتها
فمتى جرت بذلك ادوار الاقدار وتحقق هذا النبا العظيم
واتصل الهوى المتبع فانقطع الصراط المستقيم وضعف
الحق حتى لو نطق لقال من غير نظره في النجوم اني سقيم ولا نعتقد
ان ذلك مع نفاقه يجوز ترك الرعايا سدا او سدى اعفالا
احوال القضايا ابدا بل يتعين العمل بقدر الامكان من
الجانبين مقلدا ومقلدا ويطلب من فوض الله اليه امر عباده
وعباده الاصلح لذلك اذا لم يجد على سيرة المتقدمين احدا
وما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسور
الركن الثالث الحسبة وهي في الحقيقة امر بالمعروف
ونهي عن المنكر وهي من ارسخ قواعد الدين واقامة شعارها
من اقوم المسالك الى التمسك بحبل الله المتين وهي ولاية جليلة

لا يقوم بها غير القوي الامين ولا يودي فرضها الا من امن
بالله واليوم الاخر واقام الصلاه وايتا الزكاه ولم يخش الا
الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين والنظر فيما يتعلق فيه
بقسمين الاول في الشروط المعتبره في القايم بها والمنتصب لها
والثاني فيما يلزمه من اعمالها ويباشره من احوالها اما القسم الاول
وهو الشروط المعتبره فيه فان يكون حرا عدلا ذا راي وصرامه
وخشونه في الدين عالما بالمنكرات الظاهره لينكرها امينا لا
يقبل رشوه ولا يرتكب خيانه واعتبر ابو سعيد الاصطخري رحمه الله
ان يكون من اهل الاجتهاد وجعل له ان يحمل الناس على رايه
واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلما فيه وغير ابي سعيد لم يعتبر
ذلك ولا جعل له وعلى الجملة فلا بد لمن امتطا مطا هذه الولايه
الطاهره والرياسة المشهود لها بالجلاله والنفاسه من اقامة
اوضاعها المبنية على الحمايه والحراسه ومعرفة احكامها
المتعلقه بالسياسه ولا يكفي مجرد القراه والدرايه بل
يفتقر الى نفس متصفه باليقظه والكياسه متجلببه بشي من
التجربه والفراسه فانها ولايه شامله للاعيان والرعاع
عام في جميع الاوضاع حاكمه تقطع اتباع الاطماع نافذه
في تاديب اهل المكر والخداع مسلطه على ردع ذوي
التحيل والتمحل من الصناع مسيطره في استنباط حال
الظالم والمظلوم عند الخصام والنزاع فلهذا يحتاج الى
نفس متيقظه عارفه والى معرفه تالده وطارفه والى تجربه
لانواع الوقايع مشارفه والى فراسه ليحقق الحق اذا
تعارضت البينه كاشفه والى ديانه عند اوامر الشريعه
الشريفه واقفه فهذه صفات من يصلح للاحتساب
والشروط التي لا بد من اعتبارها في هذا الكتاب

اما القسم الثانی وهو تفصیل ما یاتیه من الاعمال وما یدره وما یامر
به وما ینکره وذلک کله ثلاثه انواع احدها خالص حق الله وثانیها
خالص حق العباد وثالثها مشترک بین الله تعالی وبین العباد النوع
الاول حقوق الله تعالی من انواع العبادات کالصلوة والصیام والطهارات
والزکوات والجماعات وغیرها من شعایر الاسلام فاذا رای ذا علم
ان انسانا ما یعتمد الخلل فیها ویقصد الاستهانة بها کمن یصلی
جنبا او محدثا او متلاعبا بالصلاه او یاکل فی نهار رمضان
من غیر عذر یتجاهر بمنع اخراج الزکاه الواجبه علیه استهتارا واهل
بلده او محله عطلوا صلاة الجماعات فی مساجدهم واغلقوها
عمدا غیر معذورین او ترکوا الاذان اوقات الصلوه وتطابقوا
علیه واهملوا التغسل موتاهم وتکفینهم من غیر عذر الی غیر ذلک مما
یطرق الی الدین خللا واستهتارا والقضی علی فاعله بقلة
دینه وسوء عقیدته ویلتحق بذلک التجاهر بالمحرمات والتسمح
باظهار المنکرات ومنه کشف العورات فی مجامع الناس والحمامات
استهانه واستهتارا بالدیانات والمروات فهذه کلها وما
یجری مجراها ویشارکها فی معناها داخله فی باب الاحتساب
یلزمه انکارها بما یحسمها من الاسباب ویامر فیها بسلوک
السنن المشروع الکاشف شبه الارتیاب ویودب العاصی
بها بما یناسبه من التادیب الا اذا تاب واقلع واناب
النوع الثانی حقوق العباد کالعقود والمعاملات وما
یتعلق بالمزروعات والمکیلات والموزونات وما یعتمده
ارباب المعایش والصناعات فیلزمه النظر فی امورها لاصلاح
فاسدها واعتبار ما خرج منها علی المعروف من عوایدها ویلاحظ
معامله ساکنی الاسواق فی مالوف قواعدها ویتفقد احوال
جلوسها فی مصاطبها ومقاعدها فیحسم مواد الفساد ویقوم عوج

المتناد

المتناد ویامر بسلوک سبیل الرشاد ویصرف قسطا وافرا
من عنایته وحظا وافیا من یقظته ودرایته الی احوال الخبازین
ومقادیر الاذرع والاکیال والموازین وتضایق سلک الدروب
ومسالک المجتازین فیتطلع الی تصحیح مقدارها ویرتب
کلامها بقسطاسها ومعیارها ویودب من یعتمد الخیانه
فیها فان بها صنانا سفلة السوقه وشرارها ثم الی الالتفات
البالغ الی اصلاح الشوا فی تطهره من الدما وقت علاجه واستعمال
قدر صالح من الملح فی جوانبه لتکمیل انضاجه واعتبار نقص
الثلث منه لاستحقاق فتح تنوره واستخراجه وتنظیف
الالات التی یباشرها بایعه کنفافه ورواجه ویعتمد فی ذلک
کله متابعه طریق الواجب فیه ومنهاجه ولولا ان الاطناب
مسائم والاسام مولم لشرح القلم من الانواع التی یدخلها
التدلیس ویجری فیها الغش والتلبیس من انواع المرکبات
واصناف المختلطات کالاشربه والادهان والمعاجین
والربوب والادقه والحلاوات والشموع والقسی وانواع
الوتر وصنوف الماکولات والاطعمه والکسوات ما یجار فیه
سامعه من تعداده ویکثر تعجبه من جمعه وایراده کل ذلک مما
یتعین علی المتنصب لمنصب الاحتساب بذل جده واجتهاده
فی اعتباره واختباره وافتقاده وانتقاده ویحسم بسیاسته
مادة الدعا ویسلک جدد حفظ اموال التجار والغربا الواردین
من الامصار والرعایا فیما یدعوهم الیه حاجة الاضطراب
باقامة الضمان للسماسره والدلالین والباعه والکیالین والبقله
والحمالین والمکاریه والجمالین وان کان فی مکان فیه سفن ومراکب
فللنوتیه والملاحین ولکل مجهول یباشر صناعه فی امتعه یتسلمها
من اربابها ویتفرد بها دون اصحابها النوع الثالث

ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وبين حقوق العباد لصاحب
الحسبه مامور باعتباره وهو داخل تحت امره وانكاره كالطرقات
العامه والشوارع المسلوكه والاسواق المشتركه فكل من احدث
بنا او غرس شجره او اخرج جناحا او ميزانا او جدد مصطبه تضر
بالمار وتضييق على العامه فيمنعه منه ويردعه عنه وكذلك من اراد
ان يشرف من سطحه على منازل الناس وينظر الى حرمهم يردعه عنه
ويكفه منه ويمنع اهل الذمه ان يعلوا ابناهم على بنا المسلمين وياخذهم
باقامة ما هو مشروط عليهم في عقد الذمه ويلزمهم بالغيار ولبس
يخالف هيئة المسلمين ومنعهم من تطاول بما هو اظهاره فعلا وقولا
ويكف عنهم من يقصدهم بظلم او اذى واذا كان في بعض المساجد
والجوامع امام يطيل القراه في الصلاه الى غايه يضعف عنها الكبير
والمتالم وينقطع بها ذو الحاجه يزجره عن ذلك ويامره بالتخفيف
كما فعل رسول الله صلعم مع معاذ بن جبل وان كان في الساده من
يجوع مماليكه وعبيده ولا يكسوهم فله الاحتساب عليه وكذا ان كلفهم
من العمل ما لا يطيقون وان كان لاحد دابه يثقل عليها زياده
عن حملها بما يضر بها فله ان يمنع ذلك ويامر فيه باتباع طريق العدل
وسلوك سبل الحق حتى لو راى من بعض ذوي الاجرام وارباب
المناصب العظام والمراتب الجسام تقصيرا فيما يلزمه فعله كان له
الاحتساب فيه بالانكار عليه وقد نقل ان محتسب بغداد
مر يوما على باب قاضي القضاة بن حماد فراى الخصوم جلوسا على
بابه ينتظرون جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت
الشمس فوقف واستدعا حاجبه وقال له تقول لقاضي القضاه
الخصوم جلوس بالباب وقد بلغتهم الشمس وتاذوا بالانتظار
فاما جلست واما بلغتهم عذرك لينصرفوا ثم يعودوا اذا زال
عذرك وجلست فحمله دينه على الاحتساب على قاضي القضاة

وكا

وكان بيده زمام الاحتساب وله ولايه الامر والنهي فيما سبق
من الاسباب فلذي له التاديب والتعزير على قدر الجرايم
والذنوب الا انه لا يبلغ بتعزيره ادنى الحدود وجوز في التعزير
الضرب والصفع وحلق الراس دون اللحيه ويجوز فيه ان يصلب
حيا ولا يزيد في صلبه على ثلثه ايام ولا يمنع فيها من الطعام والشراب
ولا من وضوه للصلاه ويصلي بالايما ويعيد الصلاه اذا اطلق
ويجوز ان يشهد المعزر في الناس وينادي عليه بذنبه اذا كان قد
تكرر منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه في التعزير عند اكثر
الاصحاب ويفرق الضرب في التعزير على جميع البدن بعد اتقا
الوجه والمقاتل ولا يجوز ان يجعله كله في مواضع واحد من الجسد
على راي جمهور الاصحاب وذهب ابو عبد الله الزبيري رحه
من اصحابنا الى جواز ذلك ويجوز في التعزير الحبس والنفي واختلف
الاصحاب في مدة الحبس فذهب الزبيري الى تقديرها بغايته
ستة اشهر لا تزيد عليها وقال غيره لا تتقدر واما النفي فظاهر
مذهب الشافعي رضه ان غاية مدته مقدره بما دون سنه ولو بيوم
واحد ليلا يساوي النفي المشروع في الحد في باب الزنا وقد يكون
التعزير في حق بعض الناس بالكلام الخشن والشتم دون الفعل
وان راي المصلحه في العفو عن التعزير جاز بخلاف الحدود فانه لا يجوز
العفو عنها بحال **الركن** الرابع في الاوقاف وما يتعلق بها
ولاية الاوقاف من باب التعاون على البر والتقوى ولا ينهض بحمل
ثقلها الا الامين الاقوى فان ابوابها متسعه وارباها متنوعه شعابها
متفرعه فانهم اصناف مختلفون وطوايف موصوفون فيهم الاشراف
المتصلون برسول الله صلعم الهاشميون والعباسيون والعلويون
والحسينيون وغيرهم ومنهم الفقها الشافعيه والحنفيه والمالكيه
والحنابله وغيرهم ومنهم الصوفيه والفقرا والقرا والاضرا والاسرا

وابنا السبيل والمرضى والمجانين ومنها تكفين الموتى واسداد الثغور وفياط الطرقات وعمارة المساجد ومصابيحها وبسطها وايمتها وموذنوها وقومتها ومصالح المدارس واقامة وظايفها وكذلك الربط والخوانك والمشاهد ومواطن العباده الى سوى ذلك من وقف على تعليم اليتامى الخط ووقف على من انكسرت له انيه لا يقدر على عوضها وغير هذا من ابواب الطاعات وجهات الخيرات. فهذه الوقوف العامه جميعها على اختلاف مصارفها وبيان جهاتها مشتركه فى ان المقصد بها التقرب الى الله تعالى فانها معدوده من الصدقات داخله فى باب القربات فيجب اتباع شرط واقفها والعمل بها والكلام الان فى فصلين الاول فى صفات الناظرين فى الاوقاف وما يشترط فى صحة ولايتهم من الاوصاف والثانى فى ما يجب عليهم من القيام فيها ويلزم عند مباشرتها

الفصل الاول فى الصفات لما كانت الوقوف العامه مستحقه لاقوام موصوفين غير معينين يتعذر عليهم مباشرة التصرفات فيها بانفسهم لعدم تعينهم جرى امر الناظر فيها والمتوسلى لها مجرى الناظر والمتولى فى اموال العاجزين عن التصرف بانفسهم كالاوصيا والامنا وكل صفه مشترطه لصحه نظر الاوصيا والامنا فى اموال العاجزين عن التصرف بانفسهم كالاوصيا والامنا وكل صفه مشترط لصحة نظر الاوصيا والامنا فى اموال العاجزين عن التصرفات لصبى او جنون يشترط فى صحة نظر المتولى للوقف العام وكلما يمنع من صحة ولايتهما يمنع من صحة ولاية الوقف العام فالفاسق والخاين والعاجز لا يجوز ان يكون وصيا فى ذلك ولا امينا عليه حتى لو اوصى الاب على اطفاله بالنظر فى اموالهم الى فاسق يعتمد عليه فانه لا يصح وصيته ولا يعتبر قوله وكذا لو اقام الحاكم امينا للنظر فى مال بعض اليتامى اوغيرها وهو فاسق فانه

لا يصح توليته ولا يحل اقامته له وكان تصرفه باطلا فكذلك ولاية النظر فى الاوقاف المذكوره لا يجوز لفاسق ولا لخاين ولا الفاجر سوا كان النظر مفوضا اليه من الواقف او من السلطان ولا يحل له ولا بد من اهليته لها وصفات اهليته الامانه فانها اصل العداله والكفايه ولا يليق فى جواز ولايته احدى الصفتين فانه لو كان كافيا ولكن هو فاسقا او امينا ولكن هو عاجز فانه لا يحل توليته ولا يجوز ان يفوض اليه النظر فى ذلك فان تولى كان اثما عاصيا مضمونه عليه تصرفاته فان كان وقت التوليه متصفا بهما فطوى عليه ما زال به احداهما بان يجدد فسقه بخيانه او غيرها او بعجزه بزمانه او غيرها تعين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها حتى لقد صرح عالم خراسان امام الحرمين رضه بان الواقف لو صح وشرط النظر لنفسه فى وقفه ثم اختل فيه الوصفان او احدهما ان السلطان لا يتركه بل يصرفه عنه والتحقيق فيه ما ذكرناه من ان الولايه فى الوقف العام تصرف فى حق الغير نظر اله من غير جهته فيعتبر فى صفاته لصحة ولايته ما يعتبر فى حق الوصى والامين والقيم من العداله وغيرها وكلما يقدح فى الامانه والكفايه يقدح فى الولايه

الفصل الثانى فى بيان ما يلزمهم من التصرفات وما يجب عليهم منها وجملة الاقوال فى ذلك تنكشف باجمال وتفصيل اما الاجمال فانه يجب اتباع الشروط المتنوعه والعمل بها من اقامة الوظايف ورعاية المصارف حسب ما صدر عن الواقف واما التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل والحيوط واستثمار غلاله وترجيه اماكنه وتمييز جهاته والنهوض بكل ما فيه مستزاد متنوع فى ريعه حتى لا ينسب الى تقصير ولا ينظر اليه بعين تفريط ولا يجوز ان يغير شيا من الاوقاف عن صورته فلا يجعل الحمام خانا ولا الخان دكانا ولا الدار بستانا ولا يحدث فى الوقف ما يغيره عن صنعته فان فعل ذلك منعه السلطان والزمه ان

يزيل ما احدثه ويعيده الى ما كان عليه الا ان يكون الواقف قد
جوز له ذلك وجعله له بطريقه ولا يجوز ان يوجر الوقف على خلاف
شرط واقفه واحوال الواقف ثلاثه فانه اما ان يكون قد صرح بالمنع
وشرط ان لا يوجر الوقف اصلا وراسا واما ان يكون قد صرح بالاجازه
والاذن فيها واما ان يكون قد سكت ولم يذكر شيا لا منعا ولا
اذنا الحالة الاولى ان يصرح بالمنع ويشرط ان لا توجر فالظاهر
من مذهب الشافعي رضه اتباع شرطه ولا يوجر ومن الاصحاب من راى
ذلك على خلاف المصلحه وانه حجر على الموقوف عليه فيما هو حقه فيجوز
الاجاره ومنهم من قال لا يزاد على سنه واحده حفظا للوقف الحالة
الثانيه ان يصرح بالاذن في ان يوجر فان عين مده ونص عليها فلا
يجوز ان يزيد عليها في عقد الاجاره فان اجرة مده زايده على المده
المعينه في الاذن وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود
وان فعل ذلك في عقود متعدده متتابعه على المدة المعينة الماذون
فيها لا غير فان كان الواقف قد شرط انه لا يعقد عقدا حتى تنقضي
مدة العقد الاول فلا يجوز ما فعله الناظر وكانت الاجاره باطله
في غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك ففي صحة العقود
للمدة المستقبله الواقعه بعد العقد الاول خلاف مشهور الحالة
الثالثه ان يكون قد سكت عن القسمين منعا واذنا فها هنا تجوز
الاجاره على ما تقتضيه المصلحة برعاية ما هو الاغبط والاحوط
ولذلك الحكم اذا جهلت الحال ولا خلاف على الاقسام كلها
اذا جوزت الاجاره انها مقيده باجرة المثل فان آجر بدونها
فالعقد باطل والاجاره مردوده ثم الاولى ان الناظر في الوقف
اذا آجره لا يزيد على ثلاث سنين فان الامام ابا سعيد المتولي
رضه قال ان الحكام اصطلحوا على ان لا توجر الاوقاف
اكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى لا تندرس الاوقاف

ويطول

ويطول بقاوها في يد انسان واحد فيدعيها ملكا ويجب عليه ان
يوصل الى كل ذي حق حقه من المصارف منه ولا يحرم احدا
من المستحقين ولا يعطي منه من لا حق له فيه ولا يدخل فيه من
ليس من اهله ولا يخرج احدا من اهله عنه الا ان يكون قد جعل الواقف
له ذلك وفوضه اليه بطريقه ولا يجوز ان يجعل لنفسه منه ما لا يستحقه
فان خالف ما ذكرناه وعمل ما هو ممنوع منه عالما بانه لا يجوز له
واصر متبعا هواه مضيعا ما اداه فقد خالف الله تعالى وعصاه
وزالت امانته وظهرت خيانته فلا يجوز ابقاوه ويتعين
صرفه وازالته وكان الواقف وارباب الوقف خصماوه عند
الله تعالى لتفريطه في حقهم وارتكابه ما لا يجوز فعله في وقفهم
وكان مطالبا بما فرط فيه مواخذا بما اضاعه منه

تمت القواعد الثلاث تتلوها القاعدة
الرابعه قال الكاتب الاول لما نسخت
هذا الكتاب وانتهيت الى هذا
الباب وجدت المصنف رحمه
الله ضمن القاعدة الرابعه مسايل
من كتب الفقه على مذهب الامام
الشافعي رضي الله عنه جعلها
وسيلة الى معرفة العلما الذين
دانوا لحمل العلم في صدورهم
وتعبوا في اكتسابه حتى حصلوا

منه غايه مستطاعهم ومقدورهم
امسكت عن كتابتها لان الكتب
المصنفه لهذا النوع كثيره
ولم تخلو منها وخصوصًا الخليفه
في هذا الزمان والحاكم بهذا
الاوان على مذهب الامام الاعظم
ابي حنيفة النعمان رضى
الله عنه

قال المصنف في اخر الكتاب تنبيه واشاره كما ان
الانقطاع الى الله طلبا لعبادته والزهادة في الدنيا للتفرغ لطاعته
طريق موصل الى النجاة من اليم عقوبته ووسيله مفضيه الى الفوز
بدخول جنته وعنوان سعادة سالكه بتوفيقه وهدايته فقد
جعل الله لهذا المطلب الاعظم طرقا اخرى واقام لها ابوابا شرح
لكل واحد منهم لسلوكها صدرا وفاوت مراتب اعمالهم في التقرب
اليه فجعل لكل شي منها قدرا فاعمها نفعا واعظمها عند الله سبحانه
وقعا واحب فاعلها الى الله تعالى عقلا وشرعا من رزقه الله تعالى
قدرة وسلطانا فاقام الحق وبسط العدل واحيا الشرع واغاث
الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم وقمع المفسد وجبر الكسير وفك
الاسير وفرج عن المكروب وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وحمى
حوزة الدين ونظر في مصالح المسلمين فهذا من اقرب الطايعين
الى الله تعالى منزلة واقومهم طريقه واخصهم بمحبة الله تعالى فقد نقل

عن النبي صلعم انه قال الناس عيال الله فاحبهم اليه انفعهم
لعياله والله عز وجل المسوول ان يعضد الملك السلطان لاقامة
هذه السنن بتاييده ويجعله في الدنيا والاخره بابتهاج
هذه السنن من اسعد عبيده وينظم له جواهر هذه الصفات
في حلية عقوده ويمده من ملايكة المسومين بجند يكونون من
انصاره وجنوده بمحمد واله الطيبين الطاهرين
وليكن هذا الدعا المستجاب انشا الله تعالى لهذا
الكتاب ختام كلماته وتمام مقاماته وستره
هفواته ومكفرة سيئاته كما انه نظرة
قسماته وغرة سماته انشا الله تعالى
والحمد لله رب العالمين
تحرر في مستهل شوال المبارك من شهور سنة ثلث وعشرين والف
على يد العبد الفقير فرج بن فرج بن فرج
الكاتب

الرسالة العضديه

الحمد لله على فضله والصلاة والسلام على انبيايه ورسله وبعد
فهذا مختصر لطيف في علم الاخلاق رتبته على اربع مقالات

المقالة الاولى

في النظري منه الخلق ملكة تصدر عنها الافعال النفسانيه
بسهوله من غير رويه ويمكن تغييرها للتجربه ولورود الشرع به
واتفاق العقلا ويختلف الاستعدادات فيه بحسب الامزجه
وقوى النفس ثلاث النطق فاعتدالها الحكمه وافراطها
الجراره وتفريطها الغباوه والغضب فاعتدالها الشجاعه
وافراطها التهور وتفريطها الجبن والشهوه فاعتدالها العفه
وافراطها الفجور وتفريطها الجمود والفضايل هي الاوساط
فهي ثلاثه والاطراف رذايل فهي سته هذه بحسب الكميه
ومنها ردآء الكيفيه اما في الحكمه فكمن يتعلمها لمجاراة
العلما ولمماراة السفها واما في الشجاعه فكمن يمارسها للصيد
والغنيمه واما في العفه فكمن يترك اللذه ويقصد اعتياضا
اكثر منها في الاخره والجاه في الدنيا وانما هي فضايل اذا لم
يشبها غرض وصدرت بلا رويه لانها خير وكمال ثم لكل فضيله
شعب فللحكمه سبعه صفا الذهن استعداد الذهن
وقبل النفس لاستخراج المطلوب بلا تشويش جودة الفهم صحة
الانتقال من الملزومات الى اللوازم الذكا سرعه اقتراح
النتايج حسن التصور البحث عن الاشيا قدر ما هي عليه سهولة
التعلم قوة النفس على درك المطلوب بلا زيادة سعي
الحفظ ضبط الصور المدركه الذكر استحضار المحفوظات
وللشجاعه احدى عشره كبر النفس استحقار اليسار والفقر
والكبر والصغار عظم الهمه عدم المبالاة بسعادات الدنيا

وشقاوتها الصبر قوة مقاومة الالام والاهوال النجده
عدم الجزع عند المخاوف الحلم الطمانينه عند سورة الغضب
السكون الثاني في الخصومات والحروب التواضع استعظام
ذوي الفضايل ومن دونه في المال والجاه الشهامه الحرص على
ما يوجب الذكر الجميل من العظايم الاحتمال اتعاب النفس في
الحسنات الحميه المحافظه على الحرام والدين من التهمه الرقه
التاذي عن اذى يلحق الغير وللعفه احد عشر الحيا
انحصار النفس عن خوف الارتكاب الصبر حبس النفس عن
متابعة الهوى الدعه السكون عند هيجان الشهوه النزاهه
اكتساب المال من غير مهانه ولا ظلم وانفاقه في المصارف
الحميده القناعه الاقتصار على الكفاف الوقار التاني في
التوجه نحو المطالب الرفق حسن الانقياد لما يودي الجميل حسن
الصمت محبة ما يكمل النفس الورع ملازمة الاعمال الجميله الانتظام
تقدير الامور وترتيبها بحسب المصالح السخا اعطا ما ينبغي
لمن ينبغي وهذا تحته سته انواع الكرم الاعطا بالسهوله
وطيب النفس الايثار ان يكون مع الكف عن حاجته النبل
ان يكون مع السرور المواساة ان يكون مع مواساة الاصدقا
السماحه بذل ما يجب تفضلا المسامحه ترك ما لا يجب تنزها
العداله اسم ما يجمع ساير الافاضل ولها شعب الصداقه وهي
محبة صادقه بحيث لا يشوبها غرض ويوثره على نفسه في
الخيرات الالفه اتفاق الارا في المعاونه على تدبير المعاش
الوفا ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطا
التودد طلب مودة الاكفا مما يوجب ذلك المكافاة
مقابلة الاحسان بمثله او زيادة حسن الشركه رعاية العدل
في المعاملات حسن القضا ترك الندم والمن في المجازاة

صلة الرحم مشاركة ذوي القرابة في الخيرات الشفقة صرف
الهمة الى ازالة المكروه عن الناس الاصلاح التوسط بين
الناس في الخصومات بما يدافعها التوكل ترك السعي فيما
لا يسعه قدرة البشر التسليم الانقياد لامر الله تعالى وترك
الاعتراض فيما لا يلايم الرضى طيب النفس فيما يصيبه ويفوته
مع عدم التغير العبادة تعظيم الله تعالى واهله وامتثال الاوامر

المقالة الثانية

في حفظ الاخلاق واكتسابها من حصل له فضيلة بكسب او
طبع فليحفظها بملازمة اهلها وعدم صحبة الاشرار واباه
والاسترسال في الملاهي والمزاح والمرا وليرض نفسه
بوظايف علمية وفكرية وليذكر جلالته ودوامه وصفاه
وحقارة الدنيا وزوالها ونكدها وليختار من اصدقا الصدق
من ينبهه على عيبه وتيفحص قول اعدايه فيه ولعلم منه عيوبه
فيتركها وينظر في معايب الناس فيتجنبها وان راى
فتورا قطعها بالرياضات الصعبة ومن حصل له مرض فليعالجه
بارتكاب الفضيلة المقابلة ثم التعنيف ثم الرذيلة المقابلة
للتحفظ ثم لا يتجاوز الى الطرف الاخر ثم الرياضات
الشاقة ولنذكر امراضا جزئية يكثر وقوعها مع علاجها
الحيرة سببها تعارض الادلة وعلاجها ممارسة القوانين
العقلية الجهل البسيط اصحابه كالانعام لفقدهم ما به
يمتاز الانسان عنها بل هم اضل لتوجهها نحو كمالاتها
ويعالج بملازمة العلما ليظهر له نقصانه عند محاورتهم
الجهل المركب ان قبل العلاج فبملازمة الرياضيات
ليطعم لذة اليقين ثم التنبيه على مقدمته بالتدريج والغضب
تنوع اسبابه وهي التعجب والتكبر وهما بدع ممن جرى مجرى

الول مريض وهو ميت غدا ويحتاج الى ابنا جنسه والافتخار
ابعد منهما لانه بفضيلة الغير ويعرف قلة اعتباره بالسير
بلى حيث لا يعرف والمراد اللجاج وهما قاطعان للنظام
ومن عجز عن الاقتصاد في المزاح فليتركه والغدر والضيم
وهما لمتاع الدنيا وهو قليل وللتعرض من غيره معه يظهر قبحه
وطلب ما يتنافس فيه من الجواهر ومع حقارتها يكثر العدو ولا
يغني عند الحاجة شيئا وان بقيت لك لم تبق لها واما الغضب
بعد الاهتياج فصعب يستر العقل بدخانه المظلم فكلما قرب
منه يكون كالوقود له وربما نفع تغيير الطبيعة وشرب الما البارد
والنوم وقد يكون من الشهوة اذا منعت وربما زادت كيفية
حتى يشتم البهايم والجمادات ومشاهدة هذه الافعال واستهجانها
من غير تنبيه على قبحها والجبن يتبعه الذل والاختلال وانهتاك
الحرم وعلاجه الخوف من المخاوف والاقدام على المعاطب وذكر
وجوب الموت والخوف يترك سببه ان امكن والا فالتوطين
الحرص بالتفكر في مشاركة الحيوانات وقلة لذتها وقصر مدتها
وخساسة المطالب واستخراج حكم القوة الشهوية واحالة الراي
عند تسويلات النفس والاشتغال بالعمليات وغيرها مما يلهي
عنها والاجتناب عما يغري بها البطالة مقتضاها هلاك النفس
والبدن وهي تشبه بالجماد وابطال الحكمة فليجانس ارباب الجد
فيتامل اثارهم ويسمع حكاياتهم ومذمة اهل الكسل وسوء عاقبتهم
وما يجره من الاشتغال بما لا يعني الحزن منشاؤه توقع حصول
جميع المطالب وبقايها وهو جهل فليتوجه الى الباقيات الصالحات
الحسد منشاؤه الحرص والجهل بان استيعاب جميع الخيرات
ممتنع واثره الحزن الدايم وشره ما بين العلما اذ خط واحد لا
يتوقف على حرمان الاخر والغبطة طلب حصول الخير له مع عدم

الزوال عن الغير وهي في الاخروي محموده دفي الدنيا حرص الطمع
دل ينشا من الحرص والبطاله والجهل بحكمة الله تعالى في الحاجه
الى التعاون الحقد يزول بتصور الاخوة الحقيقيه والكذب
وهو شر من عدم النطق لافادته اعتقادا غير حق وربما جلب مضارا
فليتذكر تبعاته من المدمه وعدم الاعتماد والاستخفاف ومنه
العجب ينشى بالصلف ومنه النفاق

المقالة الثالثه

في سياسة المنزل والنظر في امور اربعه المال والدخل والخرج
والحفظ اما الدخل فما يتعلق بالتدبير كالتجاره والصناعه
فانهما ادوم واقل افه ويجب مراعاة العدل والمروه واما الحفظ
فيكون الخرج اقل من الدخل بلا تقتير وبالاستثمار والمتمول يقسم
ماله بين نقد ومتاع وعقار للاحتياط واما الخرج فما كان في
سبيل الله فليجتنب فيه الكراهة والمن والاذى والريا وليخص
من يكتم فقره وما كان من مروه فالتعجيل والستر والتحقير
والمواصله واختيار المصنع وما كان للضروره من دفع مضره
او جلب نفع فالاقتصار على الضروره واما ما كان للحاجه
فالاقتصار والميل الى السرف الثاني الزوجان ليطلب
بالتاهل النسل ونظام المنزل لا مجرد الشهوه والعقل والعفه
والحيا لا بد منهما وان زادا النسب والجمال فاولى واما الجمال
المفرط فكلا لكثرة الطالبين لهن وضعف عقولهن وكذا مجرد
الجمال ويجب ايقاع الهيبه في نفسها باظهار الفضايل وستر
العيوب وقلة الانبساط وتربيتها بما يناسب ومشاورتها
في الجزئيات وتحكمها في المنزل واكرام اقاربها ورفع الغيره
وشغل خاطرها بامور المنزل وليجتنب فرط محبتها وان ابتلي
بها فليستره ولا يطلعها على اسراره ولا يشاورها في الكليات

وليستر عنها مقدار ماله ويجنبها الملاهي ومجالسة العجايز
وعلى النسا العفه واظهار الكفايه والخشيه وحسن التبعل
وقلة العتاب ومن احس منها بفساد فليتركه البته الثالث
الخدم وهم كالاعضا للمنزل فلينظر في حال الكل واصلاحها
ثم في حال كل واحد وليهيي معايشهم ويتعرف احوالهم
ولا يخليهم من لطف بلا ضعف وعنف بلا ظلم ولا يبالغ في
العتاب ويعين لكل شغلا ولا يكلفهم فضل متقه والعبد
اولى الرابع الولد وليحسن تسميته ثم ترضعه معتدلة المزاج
حسنة الاخلاق ويحفظ اخلاقه ويداوي بامر وليكن مخالطوه
من اهل الخير وليشتغل بصناعه يستعد لها واما الولد فيعلم
ان والداه موجداه ورباه القريبان بل احتياجهما يوجب زيادة
العنايه بهما فيبذل في الرضى والمحبه والطاعه والاحسان غاية
الامكان والمعلم رتبه الكمال له الذي افاض عليه الصورة الانسانيه
والحياة الابديه

المقالة الرابعه

في تدبير المدن الحاجه الى التعاون اوجبت التمدن وخيرها ما كان
عن محبه وهي اما للخير او للنفع او للذه او مركب منها وقد
يتساوى الطرفان وقد يختلفان ودوامها بحسب ذلك
واركانها مالك ومملوك وامثال اما المالك فينبغي ان يكون
اصيلا عالي الهمه متين الراي ثابت العزم صبورا موسرا ذا اعوان
ولا يظفر الا صاحب دين او ثار وعليه ثلثة امور احدها تعديل
ارباب القلم والسيف والمعامله والمزارعه فلا يمكن احدهما
من الغلبه على الباقي الثاني تعظيم الاخيار وتقويتهم ومنع
الاشرار وتاديبهم بالزجر ثم بالحبس ثم قطع آلة الشر واما
القتل فلا الا ما امر به الشرع الثالث التسويه بينهم
في الرزق والكرامات وتيسر ذلك بالتزام الشرع وسهولة

الحجاب وحفظ الثغور وامن الطرق ومداومة الفكر وترك
اللذات ومشاورة اولى العقل والنهى واما المملوك
فعليه بغاية التعظيم والامتثال والملازمه بلا امال والتزين
والمدح له الادا المنزل له فى الخلوه والرفق فى تغيير رايه
والكتمان لاسراره واجتناب ارباب التهم والشفاعه
فيهم والايثار له بكل حظ والموافقه فى كل شى وترك الحرص
وليشفع لامته وليظهر ان ماله ودمه مبذولان وليجعلها
فى زينته ولايشاركه فيما يختص باشاله وليحذر منه عند
غضبه ولايتشكى منه ولا فى ضميره وليمت بتواصل الخدمه
وان جعله اخا جعله ربا وليتنسوف عن خصومته بالاستنفا
ولايضطرب فيما يقال فيه ولايداخل فيما يستره عنه ولايسار
بحضرته ولايطلب التقدم على الاقدمين واما الامثال
فثلاثه الاول الاصدقا ويحسن اليهم ويدارسهم ويهابهم ويهش
معهم ويعاونهم ويكافيهم بالخير ويتجاوز عن ذنوبهم ويقبل
عتابهم الا اذا تيقن الاستصلاح ويكتم السر والمال منهم
هذا كله فى الصديق الغير حقيقى واما الحقيقى فيسقط معه
التكلف فانه نفسه الثانى الاعدا يعفوا عنهم ويداريهم
ويشكوهم الى الروسا ليعرفوا عداوتهم ولايقبلون قولهم
فيه ويتجسس عن عزايمهم ومعايبهم ويخفيها ويلازم
الصدق والعدل ويخالط خلطاهم ولايسبق عليهم فى
فضيله واما الطعن والشتم والشماته فحاشا واذا اعتمد
عليه فلا يخنه ويدفع ضررهم بالاستصلاح ثم الاحتساب
ثم القهر بلا ظلم وردئه الثالث المعارف فيجب الرفق
وحسن المحضر مع الكل والتكبر مع المتكبر واكرام النصحا
واهل الصلاح والاستفاده من الفضلا ومساعدتهم بالمال

والخدمة

133

والخدمة لهم وقضا حوايج الناس بالممكن وتهذيب اخلاق
المتعلمين والشفقه عليهم واعطا السايل الا اذا الح وطمع
غير محتاج ورحم الضعفا والاحسان اليهم ولزوم العادات
من التعازي والتهانى والعيادات واظهار الفرح لفرحهم
والغم لغمهم بحيث لايخرج الى حد النفاق والله سبحانه وتعالى اعلم
تمت الرسالة العضديه فى علم
الاخلاق

حكمة بزرجمهر

قال عبد الله بن المقفع كان كسرى انوشروان محبا لاهل الادب
وذوي الحكمة فدخل عليه بزرجمهر بن بختكان وكان نبغ في اول
مملكته فاجتبى الاداب من مظانها وطلب الحكمة من معادنها
ولم يكن كسرى عرفه ولا علم ما عنده وكان عنده جماعة من الحكما
والادبا حضورا امام الملك وقال ان راى الملك عمره الله ان ياذن
لي في الكلام فان عندي حكمة ولي ادب ثاقب وعلم جامع احببت
ان اظهره للملك فان الحكيم ليس بملوم في اظهار حكمته وابدا ظاهر
ادابه ومكنون علمه قال كسرى دونك فتكلم قال بزرجمهر ان افضل
الكلام الايجاز والاكثار ضلال والباطل خبال من ثقل الحق بفلح
لكل حق حقيقة ولكل انسان خلقة فليلتمس من الامور حقايقها
وليجري الامور على طرايقها واس الامور معرفة الله وعموده خوف
الله ودرونه طاعة الله من يطع الله يرفعه ومن يتعزز عليه
يذله القصد اقرب من التعسف والكف اهون من التكلف والتقدم
انجا من التخلف اقرب العدو ذو القرابه واصدق الاصدقا النصائح
وكن في الدنيا ببدنك وفي الاخره بقلبك الصدق قوه والكذب
عجز والسر امانه والجوار قرابه والمعرفه صداقه والعقل تجربه والخلق
عاده والصمت زين والسخا غنا والشح فقر والرفق لب عداوة
العاقل اسلم من مودة الجاهل القوي من عجز عما يضره والضعيف
من قوي على ما لا ينفعه والغني من غني بقوته وان غلبت على العلم
فلا تغلبن على العمل وان غلبت على المنطق فلا تغلبن على الصمت
فان الصمت سبيل البلغا وهو اجلب للمودات وانفى للحسد
المجانبه تطلب العداوه وتمحق القديم ولكن رغبتك في المال
كرغبتك في انفاقه في وجوهه لا يكونن رضاك وغضبك
بيدي غيرك اقبل العذر ممن يعتذر اليك ولا تتكلم الا بما ينفعك
فتكون كالمرسل سهمه ولا تطلب الامور مدبره ولا تطمع فيما ليس لك

فان ذلك مفتاح الفقر لا تساترن من فوقك فان ذلك سخفا منك
ولا تحقرن من دونك فان ذلك لوم العلم يرفع الوضيع والجهل
يضع الرفيع فلما سمع انوشروان امر يكتب اسمه مع اولئك الحكما وامر له
بصله وقرب مجلسه فوق مجالسهم وامرهم بسواله من الحكمة التي تنفع
سامعيها وتزيد في عقول متعلميها فسال منهم سايل فقال ما بال
القضا والقدر قال بزرجمهر يا نهمان يرى العاقل مقترا عليه
والجاهل الضعيف غنيا موسرا وسيل اي الخصال بالمرء اجمل
قال وقار بلا مهابه وسماح بلا طلب مكافاه وسيل اي الاشيا
احق ان يحترس منها قال لا شي احق ان يحترس منه من العجب واتباع
الهوى وفرط التواني في الاعمال المهمه وسيل اي السخا افضل
قال ما ابتدات به قبل السوال وترك المن فيه وسيل اي الذخاير
افضل قال لا ذخيره مثل اصطناع المعروف الى اهله ومن يستحقه
فاما اصطناعه الى غير اهله فان صاحبه كباذر في ارض سبخه او
مناجي اصم او مستدعي كلام اخرس سيل كيف للمرء ان يتدبر
لنفسه حتى يكون بالخير مذكورا وبالادب موصوفا قال قوام ذلك ان
يحب للناس ما يحبه لنفسه ويكره للناس ما يكرهه لنفسه وما لا يرضى
لنفسه فلا يفعله بغيره فاذا فعل ذلك ذكر بالخير ويطلب الادب
النافع وليوصف بالفضل وياخذ من يومه لغده ومن دنياه
لاخرته فيدرك افضل الذخر سيل هل في الاعمال شي شر من
التواني قال نعم ما كان منها في غير حينه واوانه لان ما تقدم في
طلبه قبل وقته ادرك في وقته وما طلب في وقته ادرك بعد
وقته واذا طلب بعد وقته لم يدرك سيل اي التواني انفع
في درك الامور قال انتظار الفرص سيل اي الاشيا من
الخير لا يحسد عليه صاحبه قال التواضع سيل ما بال تحويل
الصداقه الى العداوه ايسر من تحويل العداوه الى الصداقه

قال نظير ذلك ان تضييع المتاع ايسر من جمعه سيل ب
العيوب اعسر صلاحًا قال الحرص واتباع الهوى سيل
اى الناس اترى قال اكثرهم اخوانا سيل اى الناس اقوى
فى المنافع قال اعونهم للناس سيل اى الناس اشجع قال اقهرهم
للهوى سيل اى الاخلاق اعم نفعا قال الحلم عن السفيه وكظم
الغيظ سيل اى الخصال انفع لصاحبه قال التودد الى الناس
سيل اى الاخلاق احلى عاقبه قال الزهد فى الدنيا والقناعه
سيل اى شى اقر للعين قال الولد الطيب والزوجه الصالحه
سيل ما افضل شى يعتقده اهل العقول من الخصال المحموده
قال قلة الاسف على ما فات وقلة الحزن عند المصايب وترك
الرجا لما يخاف فيه الغرور وترك الفشل والخور فى الشده
وقلة النظر فى الرجا فهذا ما يعتقد عليه اهل العقول سيل ما
شر طبايع الملوك قال الجبن عن الاعدا والبخل عن الاعطا وترك
معاملة العقلا وسرعة العجلا فى الاشيا سيل لم بال العقلا
لا يكترون ملامة الجهال قال كما لا يلام العميان على قلة البصر
والمشايخ على كثرة الشيب سيل باى شى يعرف العالم
قال بتقدير معاشه وفضل عفافه سيل لم بال العقلا
يفرحون بالمال مع عظيم وزره قال لما يجبون من اكتساب
الاجر به واصطناع المعروف فيه سيل اى السلطان افضل
قال الذى يامنه البرى ويخافه المريب سيل من اغنى الناس
قال اقنعهم بما رزق الله ثم خرج من عنده فلما انتهى الى مجمع الناس
بباب الملك قاموا اليه معظمين له لما ظهر له من حكمته وكمال ادبه
فسالوه ان ينشر عليهم من فضل علمه مما فيه داعيه الى طاعة الملك
والقيام بما يجب من حقه فقال ان السلطان المقتصد المراقب
لربه راعى حق ولا يصلح لخواص الناس وعوامهم الا الاجتهاد

في

فى طاعته والمثابره على امره ومحبته وحب من احبه واخلاص النصيحه له
وبذل المهج دونه وكتمان اسراره ونشر محاسنه والذب باليد واللسان
عنه وايثار مرضاته والتاتى لموافقته وتقدير الامور على محبته
وان كان ذلك مخالفًا له ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه
وترك مواصلة من باعده واقصاه فذو العقل من الرعيه
لا يحمله اساة كانت من الملك اليه على الطعن عليه والاستخفاف
بحقه والانتقام لحظه وترك مناصحته والتثاقل عن طاعته
ولا يبطر اذا اكرمه الملك ولا يجترئ عليه اذا قربه ولا يطغى اذا
سلطه ولا يلحف فى سواله ولا يستثقل ما حمله الملك من امره
ولا يتغير له اذا سخط عليه ولا يدع المثابره على ما يزداد قربه
منه واثره عنده فان احدًا لا يستطيع ان يصيبه بخير الا بما يوفق
الله الملك فيه ولا يدفع عنه سوًا الا بما يلهمه الله فى الدفع عنه

في ذكر ما وضع اردشير بن بابكان من اس الملك وتدبير الخواص

كان اذا اراد ان يختار رجلا ليجعله فى اساورته بعث رجلا امينا
بصيرًا بالرجال عارفا بانساب العجم ومراتب من سلف منهم فيختار
الشباب اهل النشاط فيامر ان يسلم الى معلمى الرمى والفروسيه
فيتعلمون الرمى وركوب الخيل فاذا مهروا دعاهم الامين فيرموا بين
يديه فاذا رضيهم امر باثبات اسمايهم ويحلون بجميع حلاهم وينسبون
الى شعوبهم ثم يوجههم فى البعوث ويوجه معهم امينا من قبله لينظر
كيف رباطة جاشهم وشدة قلوبهم وجودة قتالهم ومبلغ
صبرهم وماذا يفعله بين الصفين كل واحد منهم فيامر ان يكتب فعله
ويحبس جوايزهم ليغتبط بذلك سواهم وكان يامر بصلات من
اصيب فى طاعته ويتفقد امورهم فكان يزيد ذلك الاساوره
احتشادًا فى الحرب واما تدبيره فى اختيار الكتاب كان يامر من
حضر بابه من الشباب الذين مهروا فى الكتابه ان يختار منهم من يرضى لبه

وعقله وهمته فيثبت اسماهم واسما ابايهم وان يحضروا كتاب الملك
لياخذوا عليهم وياخذوا من ادابهم فاذا استبان من عقل الرجل
منهم ونفاذه في الكتابه والحساب اخبر الملك بامره فيدعوا به
ويستنطقه فاذا رضيه وجه به مع بعض عماله في النواحي ويجري عليه
مايصلحه ويتقدم اليه ان لايظلم احداً من الرعيه ولم يكن يوجه
احداً من العمال الا بعث معه كاتبا من قبله قد رضيه ووثق بامانته
ولم يكن احد من العمال يستطيع ان يستكتب احداً من الناس الا
من يوجهه الملك معه وكان يرى للكاتب منزلا لايرا ها لسواهم
ويقول هم نظام امورنا والسنتنا التي تنطق وعدتنا التي نعتدّ
بها لنتناول عدونا في الارضين القريبه والبعيده وهم احنا ونا
وامنا رعايانا الذين يحفظون علينا وعليهم حسابنا وهم العدول
بيننا وبينهم فحقهم علينا واجب لذلك ولما يكون من اسرارنا
وحسيم امورنا عندهم **تدبيره في اختيار القضاه** كان بامرامينا
قد اتخذه من اعلم اهل ملته ان يسل عمن يحضر بابه وفي اقطار
بلاده عن جميع من يذكر بالنسك في الدين والفقه في المله ممن يرضى
حكمه وفهمه فيكتب ذلك الامين اسما من كان من هذه الطبقه
واسما ابايهم وشعوبهم فيدعوا بهم الملك واحدا واحداً فيمتحنهم
فيحتبس من يرضيه منهم ويصرف من لم يرضه الى فاذا بعث
الجباه والامراء وجه في كل كوره رجلا من الذين اختارهم وكان
يقول ان اولى من كرم علينا وعلى رعيتنا اهل الفقه ولا يصلح
من الرعايا الا بانصاف المظلوم وقدع الظالم وذلك افضل
ما ينبغي لنا احكامه لان الله تعالى لم يكل حفظ امره الا الى الملوك
الذين استولاهم حفظ عباده فيجب عليهم السعي فيما يصلحهم
ومنع اقويايهم من ضعفايهم **تدبيره في الثغور والبعوث**
فكان اذا اراد ان يبعث الى عدو بعثا او يغزي جيشا بدا

بالارسال الى عدوه بالاعذار والانذار فمن اعترف بالطاعه وادى
الحق قبل ذلك منه وبعث اليه الجباه والكتاب يتولون الحكم بينهم
وبينه ويبعث معهم قاضيا يحتكمون اليه فاما من لم يعترف بالطاعه
ورد رسله ارسل اليهم الجيوش ويولي الجيوش رجلا امينا حازما ويتقدم
اليه ان لايتعرض لشي من الغنايم او اعطي الظفر ويبعث مع صاحب
الجيش كاتبا يتولى امر التدبير في المسير والنزول تبركا منه براي
الكتاب ويمنا برفقهم وحزمهم ويقول لصاحب الجيش ان الاساوره
سباع الانس لايعرفون الا اهراقه الدما فاياك ومعافنة احد منهم
الا عند الفشل في اللقا والامر الفظيع من الجرايم واني ملكتك امر
هذا الجيش ولكن انت المكايد لعدوهم والمتولي لغنايمهم وقسمته بينهم
فاذا دنا من العدو كتب الكاتب على لسان امير الجيش كتابا بليغا الى
اهل الارض التي يريدون الايقاع بهم فيعذر وينذر فان تمادوا في
عصيانهم سار اليهم وعبا الكاتب الجنود وصف الصفوف ووكل كل
طايفه منهم بالوقوف خلف الصفوف فلا يولي احد منهم الدبر الا قتله
ويقول الكاتب لقايد الجيش قف في القلب وسط اصحابك فانك
نظام هذا الجيش وقوامه ولا تورث ولدك واهل بيتك العار الدايم
ومر اهل الصفوف ان يحملوا حملة رجل واحد ويرموا التغشي بكثرة
السهام ابصار العدو وينهاهم عن اللعب على دوابهم قبل اللقا
ليلا يتعبوا فيما لايجدي فان ظفروا نادى فيهم ارفعوا السلاح
ولا تقتلوا الامن في المعركه ويكفوا ايديهم عمن يولي الدبر ثم ينظر
الكاتب فيما افا الله من الغنايم فيقول للملك خمسه ويقسم سايره
بينهم بالعدل والانصاف ولا يعترض امير الجيش لشي الا ما تعطيه من
حظه ثم يكتب كتابا عن لسان امير الجيش بما كان بينهم وبين العدو
وكيف نصروا **تدبيره في قدوم الوفود عليه من قبل الملوك**
كان يامر عماله على الثغور ان يحبسوا الوفود ويكرموا مثواه حتى يعلموا

امره ويكتبوا اسمه ومن معه ومن بعثهم فاذا ورد على الملك
الكتاب بذلك كتب الى عماله الذين على طريق الوفود ان يامروا
اهل ارضهم بتزيين ما ظهر من منازلهم ومساكنهم وينظفوا افنيتهم
ويكنسوا طرقهم وياخذوا زينتهم حتى اذا هيا ذلك كتب الى
عامله الذي احتبس عنده الوفود ان يسرحهم على طريق كذا
حتى اذا قدموا اخذ الملك اهبته لقدومهم وبسط لهم البسط
الفاخره وتزين ويامر مرازبته وعظماء اساورته ان يتزينوا
ثم ياذن للوفود فيدخلوا عليه فيقرب مجالسهم ويصغي الى كلامهم
ويرد احسن الرد ثم يقول كيف رايتم ما مررتم به من عمارة ارضي
وبلادي وصلاح اهلها فيخبروه بالذي راوا ثم يامر بانزالهم
واكرامهم حتى اذا استراحوا امر اساورته الذي يثق برميهم
ويعرف فروسيتهم ان يجتمعوا ثم يركب الملك ويامر الوفود فيركبوا
معه ويخرج بهم الى الصيد وقتل السباع فيرمون بين يديه رميا
معجبا وينزلون الى السباع فيقتلونها كل ذلك بعين الوفود ثم ينصرف
وقد امر بالطعام فيجمع اهل الفضل والرياسه من جنوده فيجلسوا
بين يديه ويوضع بين ايديهم الموايد ويوضع للملك المايده فلا يجلس
عليها احد غيره ويجلس مجلسا مشرفا على تلك الموايد فيرمقهم بعينه
يمنة ويسرة ليلا يقصرون في بعض امورهم فاذا فرغوا من طعامهم
قاموا عن مجلسهم الى مجلس اخر فيغسلون ايديهم ثم ينصرفون
كل رجل منهم الى المكان المرتب له فيجلس فيه ويحضر اواني الذهب
والفضه ويقدم اليهم الوان الاشربه فيبدا الملك فيشرب كاسا
ثم يوضع فلا يسقى بكاسه احد غيره ثم يدعا بالملاهي والمعازف
واهل المجلس صموت لا يرفعون ابصارهم من هيبة الملك
ولا يهم كل امر الا نفسه وان يظهر منهم زله في كلامه او فعله
فيعاقب عليه كل ذلك بمحضر من الوفود فيتعجبوا من حسن دعة

رعيته ووقارهم وعظيم هيبتهم لملكهم ليخبروا بذلك ملوكهم
فاذا اراد صرفهم بعث اليهم فاحضرهم وقضا حوايجهم وامر
لهم بالجوايز وجواب كتبهم وان كانوا اتوه بهدية بعث معهم
بافضل منها فكانوا ينصرفون الى اصحابهم فيفسرون لهم ذلك
فيدخل هيبته قلوبهم فيعترفون له بالطاعه ويصالحوه على المهادنه

تدبيره في بنا المدن وكان يامر بالارضين اذا اراها واعجبته
او حمدت عنها اريحيه ان يبنا مكان منها مدينه فيسكنها طوايفا
ممن يوتى به من اطراف الارضين ليكثر بذلك رعيته ويعمر بلاده
ويتسع سلطانه وكان يقول انما ابني هذه المدن لينتفع
بها من يكون بعدي ذماما في حياتي فلست احتاج اليها على ان
المدن جمال لما يليها من القرى وماوى عظمايهم ومكان اسواقهم
وفيها نما من الرعايا وذكر لنا باقي وفخر لنا في حياتنا

تدبيره في اهل بيوتات الشرف كان يامر باهل البيوتات
والشرف وذوي الاحساب ان يتعرف شانهم ويختبر حالاتهم
فاي اهل بيت منهم بلغه ان بهم خصاصه وصلهم وحباهم

والاجر مايه دراع في مثل ذلك وسماه دكان المظلومين وكان
يصعد الى اعلى قصره من ناحية ذلك الدكان يومين في كل شهر
قد سماها للناس حتى عرفوها لا يشغله عن ذلك شاغل ينظر من
على ذلك الدكان فيدعوهم ويقوم بنصفهم لا يكل ذلك الى احد
تدبيره في عمارة الارض وكان يامر بكل ارض قد ساءت
حالات اهلها لتقل خراجهم ان ينقص من خراجها بقدر ما
يقوى اهلها ويامر باصلاح سكورهم ويامر لهم ببذور يبذرونها
في ارضهم ويبعث اليهم في ذلك الامنا الثقات ويبعث
بعد ذلك من يتبع اثار الامنا ويصلح لهم امورهم الى ان
ينعشوا من خلتهم ويقوى حالاتهم وكان له في ذلك
امنا يجولون في البلدان فياتوه باخبار كل بلده ولا يكتمونه
شيا من امورها انتهى والله الموفق للصواب
نقله العبد الفقير ابو الفرج بن فرح الكاتب من كتاب نهاية الارب
في اخبار الفرس والعرب